أحاديث أم المؤمنين عائشة - السيد مرتضى العسكري

رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: ١٤٥
الطابع الزمني: ٢٠٢١-٠٤-١٧-٠٤-١٥-٥٢
المكتبة الشاملة رابط الكتاب

المحتويات

١ أحاديث أم المؤمنين عائشة - السيد مرتضى العسكري ج 1 ٥

٢ أحاديث أم المؤمنين عائشة - السيد مرتضى العسكري ج 2 ٧٨

عن الكتاب

الكتاب : أحاديث أم المؤمنين عائشة -
المؤلف : السيد مرتضى العسكري
المحقق :
الناشر : التوحيد للنشر
الطبعة : الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م مطبعة صدر.
عدد الأجزاء : ٢
مصدر الكتاب :
[الكتاب]

عن المؤلف

١ أحاديث أم المؤمنين عائشة - السيد مرتضى العسكري ج 1

أحاديث أم المؤمنين عائشة
السيد مرتضى العسكري ج ١
---
[١]
المجمع العلمي الاسلامي ويعلمهم الكتاب والحكمه احاديث ام المومنين عائشة
---
[٣]
دراسات في الحديث والتاريخ احاديث ام المؤمنين عائشة الجزء الاول تأليف السيد مرتضى العسكري
---
[٤]
إسم الكتاب: أحاديث أم المؤمنين عائشة. أدوار من حياتها. الجزء الاول المؤلف: العلامة السيد مرتضى العسكري. الناشر: التوحيد للنشر. الطبعة والتاريخ: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م. الفلم والزنك: تيزهوش. المطبعة: مطبعة صدر. عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخة.
---
[٥]
الاهداء بسمه تعالى فقدت زمان طبع هذا الكتاب أولا: أخي الاكبر العالم الثقة الحاج السيد علي آل شيخ الاسلام. وبعده: أخي في الله البر الثقة الحاج آغا محمد نجل الفقيه الورع العالم الرباني المجاهد في سبيل الله الحاج آغا حسين الطباطبائي القمي، وإليهما اهدي ثواب هذا الكتاب. المؤلف
---
[٧]
مقدمة الطبعة الخامسة بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين. وبعد، مضى على طبعه الكتاب الاولى نيف وثلاثون سنة وكثرت الاخطاء في طبعاتها المتكررة فقام ولدي السيد كاظم العسكري بتصحيح الكتاب وأضفت إليه بحث حكمة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وآله جوابا على ما تقوله المستشرقون وغيرهم من خصوم الاسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الامر، جعله الله سبب هداية لمن أراد أن يتذكر، وتقبل أعمالنا، إنه سميع الدعاء المؤلف
---
[٩]
بسمه تعالى العالم المصري الفقيه الشيخ محمود أبو رية. صاحب البحوث الضافية النافعة في الحديث والاجتماع. ولد عام ١٨٨٩ وتوفي بجيزة القاهرة عام ١٩٧٠ م. تحدث عن كتاب أحاديث عائشة في كلمته التالية: يحسب العامة وأشباه العامة من الذين يزعمون أنهم على شئ من العلم أن التاريخ الاسلامي (وبخاصة في دوره الاول) قد جاء صحيحا لا ريب فيه، وأن رجاله جميعا ثقات لا يكذبون، وهم - من أجل ذلك - يصدقون كل خبر جاء عن هذه الفترة، ويشدون أيديهم على تلك الاحاديث التي شحنت بها الكتب المشهورة في الحديث، تلك التي حملت الطم والرم، والغث والسمين، والصحيح القليل، والموضوع الكثير. وقد بلغ من ثقتهم بأحاديث هذه الكتب، أن من يشك في حديث منها يعد في رأيهم فاسقا ! وإذا كان الله قد آتاهم عقولا ليفهموا بها، وفهوما يزنون بها، فإنهم يعطلون هذه المواهب استمساكا بالتقليد الاعمى، والتعبد لمن سلف ! وإذا أنت بصرتهم بالحق، وبينت لهم المحجة والواضحة، لووا رؤوسهم، وأصروا على معتقداتهم واستكبروا استكبارا. وليتك تسلم من ألسنتهم، بل يرمونك بشتائمهم وسبابهم، ويسلقونك بألسنتهم، وقد بلوت ذلك منهم عندما أخرجت كتابي (أضواء على السنة المحمدية) الذي أرخت فيه الحديث، وكشف كيف روي، وما شاب رواياته من الموضوعات، ومتى دون، وما إلى ذلك مما يجب بيانه. فإنهم ما كادوا يقرأونه حتى هبت علي أعاصير الشتائم والسباب من كل ناحية، من مصر
---
[١٠]

والحجاز والشام ! فلم أبال كل ذلك بل استعذبته لاني على سبيل الحق أسير، فلا يهمني شئ يلاقيني في هذا السبيل مهما كان. ومن عجيب أمر هؤلاء الذين يقفون في سبيل الحق حتى لا يظهر، ويمنعون ضوء العلم الصحيح أن يبدون، أنهم لا يعلمون مقدار ما يجنون من وراء جمودهم، وأن ضرر هذا الجمود لا يقف عند الجناية على العلم والدين فحسب، بل يمتد إلى ما وراء ذلك. فإن الناشئين من المسلمين وغير المسلمين الذين بلغوا بدراستهم الجامعية العلمية إلى أنهم لا يفهمون إلا بعقولهم، وما وصلوا إليه بعلمهم، قد انصرفوا عن الاسلام لما بدا لهم على هذه الصورة المشوهة التي عرضها هؤلاء الشيوخ عليهم. من أجل ذلك كله كان من الواجب الحتم على العلماء المحققين الذين حرروا أعناقهم من أغلال التقليد، وعقولهم من رق التعبد للسلف، أن يشمروا عن سواعد الجد، ويتناولوا تاريخنا بالتمحيص، وأن يخلصوه من شوائب الباطل والعصبيات، ولا يخشون في ذلك لومة لائم. وإني ليسرني كل السرور أن أشيد بفضل عالم محقق كبير من علماء العراق قد نهض ليؤدي ما عليه نحو الدين والعلم فأخرج للناس كتبا نفيسة كانت كالمرآة الصافية التي يرى فيها المسلمون وغير المسلمين تاريخ الاسلام على أجمل صوره في أول أدواره، ذلكم هو الاستاذ " مرتضى العسكري " فقد أخرج لنا - من قبل - كتاب (عبد الله بن سبأ) أثبت فيه بالادلة القاطعة، والبراهين الساطعة، أن هذا الاسم لم يكن له وجود، وأن السياسة (لعنها الله) هي التي ابتدعت هذا الاسم لتجعله من أسباب تشويه وجه التاريخ، وبين أن شيخ المؤرخين في نظر العلماء وهو الطبري قد جعل جل اعتماده في تاريخه ورواياته على رجل أجمع الناس على تكذيبه. ومن الغريب أن جميع المؤرخين الذين جاءوا بعد الطبري قد نقلوا عن ابن جرير كل رواياته بغير تمحيص ولا نقد، وهذا الرجل الكذاب هو: سيف

---

[١١]

ابن عمر التيمي. وأردف العلامة المؤلف هذا الكتاب النفيس بكتاب آخر أكثر منه نفاسة هو كتاب (أحاديث عائشة) وقد تناول في هذا الكتاب تاريخ هذه السيدة لا كما جاء من ناحية السياسة والهوى والعصبية، ولكن من أفق الحقيقة التي لا ريب فيها، وكتبه بقلم نزيه يرعى حرمة العلم وحق الدين. لا يخشى في الله لومة لائم. أشار الاستاذ في تمهيده لكتابه إلى ما في الاحاديث التي نسبت إلى النبي صلى الله عليه وآله من اختلاف بين حديث وآخر، وبين بعض تلك الاحاديث، وآي من القرآن الكريم مما كان مثار الطعن والنقد إلى النبي من اعداء الاسلام. ثم بين أن هذه الاحاديث إن هي إلا مجموعات مختلفة رويت عن رواة مختلفين، وعلى الباحث العالم النزيه أن يقوم بتصنيفها نسبة إلى روايها.. ثم يدرس أحاديث كل منهم على حدة، وبخاصة أحاديث الرواة المكثرين أمثال: عائشة، وأبي هريرة، وأنس، وابن عمر، مع دراسة حياة راويها، وبيئته وظروفه، ثم مضى يقول: " إن التاريخ الاسلامي منذ بعثة الرسول حتى بيعة يزيد بن معاوية لا يفهم [فهما] صحيحا إلا بعد دراسة أحاديث أم المؤمنين " دراسة موضوعية " ولان الاستاذ المؤلف: بصدد البحث عن التاريخ الاسلامي في دوره الاول فقد قدم هذه الدراسة على غيرها من الدراسات ". وبعد أن بين صعوبة هذه الدراسة لما يجد في سبيلها من عقبات متعددة أخذ في موضوع دراسته فبين نسب عائشة، ومولدها، وتزوجها من النبي صلى الله عليه وآله وما صنعته معه (كامرأة) - كما قال شوقي - من مكر وكيد (إن كيدهن عظيم). وأنها قد أقامت مع النبي نيفا وثمانية أعوام، ثم أخذ يذكر أنها كانت تؤيد خلفاء النبي: أبا بكر وعمر وعثمان في أول خلافته، ثم انحرافها عنه وترأسها للمعارضة له حتى بلغ من أمرها أنها كانت تحرض على قتله، وما أن قتل هذا

---

[١٢]

الخليفة بسبب خروجه عن نهج سابقيه، وتركه الامر لقومه يتصرفون فيه بأهوائهم، حتى (برزت) تعارض عليا معارضة شديدة لم يلق مثلها من غيرها، وكان أول شئ بدا منها لهذا الامام العظيم أنها ما كادت تعلم بنبأ بيعته حتى ثارت ثائرتها وصاحت: لا يمكن أن يتم ذلك ! ولو انطبقت هذه على هذه - أي السماء على الارض - وما لبثت أن ألبت عليه طلحة والزبير وقادوا جميعا الجيوش الجرارة لمحاربة علي (رضي الله عنه) في وقعة الجمل وكانت تركب جملا من المدينة إلى البصرة، وبعد أن انتهت هذه المعركة بسفك الدماء المحترمة، وبقتل طلحة، أعادها علي (رضي الله عنه) إلى المدينة مكرمة لم ينلها سوء، ولكنها لم تحفظ له هذا الجميل، ولم ترجع عن غيها،

وظلت ضده بكل وسيلة وكان من ذلك أن كانت تؤيد معاوية في حروبه ضد علي (رضي الله عنه) ولم تهدأ ثائرتها حتى قتل علي، فقرت عينها، وهدأت نفسها، وتمثلت عند قتله بقول الشاعر: فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر وقد كان ذلك بسبب ضغنها لعلي (رضي الله عنه)، وما يكنه صدرها له لانه زوج فاطمة بنت خديجة، وما كان لموقفه من حديث إلافك مما بينه شاعر الاسلام الكبير أحمد شوقي بأحسن بيان فقال يخاطب عليا (رضي الله عنه) بقوله: يا جبلا تأبى الجبال ما حمل * ماذا رمت عليك رية الجمل أثأر عثمان الذي شجاها * أم غصة لم ينتزع شجاها ذلك فتق لم يكن بالبال * كيد النساء موهن الجبال وإن أم المؤمنين لامرأة * وإن تك الطاهرة المبرأة أخرجها من كنها وسنها * ما لم يزل طول المدى من ضغنها.. الخ هذا بعض ما قاله شاعر الاسلام في علي (رضي الله عنه)، وما رمته به عائشة، وقد خاطبها علي (رضي الله عنه) في كتاب أرسله إليها وإلى طلحة والزبير أثناء وقعة الجمل، لو أنها عقلته وتدبرته لاشتد ندمها ولاستغفرت الله

---

[١٣]

مما اجترحت وإن كان الظن أن الله لا يغفر لها: قال (رضي الله عنه): وأما أنت يا عائشة فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمرا كان عنك موضوعا، ثم تزعمين أنك تريدين الاصلاح بين المسلمين فخبريني ما للنساء وقود الجيوش ؟ والبروز للرجال ؟ والوقوع بين أهل القبلة، وسفك الدماء المحترمة ؟ ثم إنك على زعمك طلبت دم عثمان، وما أنت وذاك ؟ وعثمان رجل من بني أمية وأنت من تيم ؟ ثم إنك بالامس تقولين في ملا من أصحاب رسول الله: اقتلوا نعثلا فقد كفر ! ثم تطلبين اليوم بدمه ! فاتقي الله وارجعي إلى بيتك وأسبلي عليك سترك والسلام. هذه لمعة خاطفة مما حواه كتاب (أحاديث عائشة) ولو نحن ذهبنا نبين ما فصله هذا العالم المحقق في كتابه هذا مما أوفى به على الغاية، ولم نر مثله من قبله لغيره، لاحتجنا إلى كتاب برأسه... وإذا كان لابد من كلمة نختم بها قولنا هذا الموجز فإنا نقول مخلصين: إنه يجب على كل من يريد أن يقف على حقيقة الاسلام في مستهل تاريخه إلى بيعة يزيد فليقرأ كتابي هذا العلامة: (عبد الله بن سبأ، وأحاديث عائشة) وليتدبر ما جاء فيهما، فإن فيهما القول الفصل. أما ما نرجوه من العلامة مؤلفهما فهو أن يغذ السير في هذا الطريق الذي اختطه حتى يتم ما أخذ نفسه به. والله ندعو أن يكتب له التوفيق، والسداد في عمله، إنه سميع الدعاء. محمود أبو رية القاهرة: عن جيزة الفسطاط ليلة الجمعة ١٨ رمضان المبارك ١٣٨١ هـ الموافق ٢٣ فبراير ١٩٦٢ م

---

[١٥]

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين. والصلاة على نبينا محمد وآله وأصحابه وزوجاته أمهات المؤمنين. والسلام على سائر أنبياء الله وعباده الصالحين.

---

[١٧]

تمهيد لقد انتبه كثير من الباحثين إلى ما في الحديث النبوي الشريف، من اختلاف بين بين حديث وآخر منه، أو بين بعض تلك الاحاديث وآي من القرآن الكريم، فحدا ذلك بفريق من علمائنا السالفين إلى " تأويل مختلف الحديث وبيان مشكله (١) "، ليدفعوا بذلك ما اورد على نبي الاسلام وحديثه. كما أن الخصومة قد دفعت فريقا آخر من الباحثين من أمثال الملاحدة ومبشري النصارى، ولفيف من المستشرقين، إلى توجيه مختلف الطعن والنقد إلى نبي الاسلام ودينه، مستندين في هجومهم العنيف إلى ما في ظواهر تلك الاحاديث من تهافت واختلاف. وقد فات أولئك وهؤلاء أن تلك المجموعة الضخمة من الاحاديث والتي يناقض بعضها بعضا ليست كلها سياقا واحدا ليؤلف مجموعها وحدة تدرس على ضوء أنها صادرة عن نبي الاسلام، وإنما هي مجموعات مختلفة من أحاديث رويت لنا عن رواة مختلفين، وعلى الباحث أن يقوم بتصنيفها نسبة إلى رواتها، فينسب إلى " أم المؤمنين عائشة " - مثلا - أحاديثها، وإلى " أنس " و " أبي هريرة " و " ابن عمر " (٢) أحاديثهم، ثم يدر أحاديث كل

---

(١) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم (٢٨٠ أو ٢٧٦ هـ) مؤلف " تأويل مختلف الحديث ". وابن فورك: أبو بكر محمد أو حسين بن فورك (٤٤٦ أو ٤٠٦ هـ) ألف " بيان مشكل الحديث ". والطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلمة أو سلامة بن عبد الملك الازدي

(٣٢١ أو ٣٢٢ ه) ألف: " بيان مشكلات الآثار ". (٢) أ - أنس بن مالك بن النضر الخزرجي النجاري جاء في حديثه انه خدم النبي عشر سنين وقد خرجوا له ٢٢٨٦ حديثا، توفي سنة (٩٢ أو ٩٣ ه) في البصرة ودفن هناك. ترجمته في الاستيعاب ص ٤٠ وفي اسد الغابة ١ / ١٢٧ - ١٢٩ وفي الاصابة ١ / ٢٢٧ وجوامع السيرة ٢٧٦.

---

[١٨]

منهم وأحاديث غيرهم من الرواة المكثرين عن النبي مع دراسة حياة راويها وبيئته. أدركت هذا خلال بحثي عن حوادث تاريخية وقعت في صدر الاسلام، ولفت نظري في تلكم الاحاديث ماروته " أم المؤمنين عائشة " خاصة، ورأيت أن التاريخ الاسلامي منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وآله حتى بيعة يزيد ابن معاوية لا يفهم فهما صحيحا إلا بعد دراسة أحاديث " أم المؤمنين " - أحد مصادر التاريخ الاسلامي المهمة - دراسة موضوعية، كما أني أرى أيضا أن فهم قسم من آي القرآن الكريم، والفقه الاسلامي، اللذين استند في بيانهما إلى أحاديثها متوقف على هذه الدراسة، ولما كنت بصدد البحث عن التاريخ الاسلامي دي دوره الاول، لم يكن لي بد من تقديم هذه الدراسة على غيرها من الدراسات. صعوبات الدراسة: وإن دراسة كهذه تدور حول الشخصيات الاسلامية الاولى لابد وأن تعترض سبيلها عقبات ليس من الهين تذليلها، ومن تلك العقبات أمام الباحث المسلم الشرقي: أولا: عقائده التي نشأ عليها، وعقائد مجتمعه الذي يعيش فيه، والذي يرى في تلك الشخصيات مالا يراه في غيرها من البشر، ويعتقد لعصرهم مالا يعتقده لغيره من العصور.

ب - أبو هريرة الدوسي. إختلفوا في اسمه ونسبه ولم يكن في الصحابة من روى عن النبي أكثره منه، اخرجوا له ٥٣٧٤ حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله توفي سنة ٥٧ أو ٥٨ ه ودفن في البقيع. جوامع السيرة ص ٢٧٦ وترجمته في ابن سعد ٧ / ٢٠، والاستيعاب وأسد الغابة، والاصابة. ج - عبد الله ابن الخليفة عمر بن الخطاب، توفي بمكة سنة ثلاث وسبعين وكان سبب موته ان الحجاج أمر رجلا فسم زج رمحه وزحمه في الطريق ووضع الزج في ظهر قدمه، وقد اخرجوا له، ٢٦٣٠ حديثا. جوامع السيرة ص ٢٧٦. ترجمته في الاستيعاب ١٥٧٩ وأسد الغابة. والاصابة.

---

[١٩]

والباحث إن لم يستطع تذليل هذه العقبة خرج من بحثه عقائديا يدافع عن عقيدة لا دارسا يبحث عن حقيقة. ولما أدركت هذه الحقيقة حاولت في بحثي هذا أن لا أنقاد لعواطفي في أم المؤمنين عائشة، وتكريمي لها، كزوج للرسول الاكرم من ناحية، وألا أجرد الشخصيات الاسلامية المحترمة، التي يدور البحث حولها عن فطرة الله التي فطر الناس عليها من ناحية ثانية كي أستطيع القيام بدراسة موضوعية لاحاديثها. ولست أزعم أني نجحت في هذه المحاولة ولكني بذلت الجهد في هذا السبيل، والحكم لغيري في ذلك والله يعلم أن الذي حداني إلى هذه الدراسة إنما هو رجاء انتفاع دارسي التاريخ الاسلامي، ودارسي قرآنه وأحكامه من هذا البحث، والله من وراء القصد. وثانيا: يعترض الباحث فيما إذا وفق إلى ترويض نفسه، وتذليل العقبة الآنفة الذكر عقبة أخرى بعدها، وهي الخوف من تأثير نشر هذه الدراسات على وحدة كلمة المسلمين، بعد أن بدأت تظهر في هذا العصر بشائر تألفهم وتآخيهم نتيجة لبذل المصلحين جهودا كبيرة في سبيل ذلك. وهل يجوز لمن يغار على مصالح المسلمين أن يبحث اليوم في الماضي السحيق، وينشر منه ما يوجب النقد والرد، ويثير الحفيظة، وينتج النفرة ؟ ! وإذا كان ذلك مما لا يستسيغه أحدا، إذن فليمتنع الجميع عن البحث والتحقيق كي لا يسبب ذلك عقم جهود المصلحين، ويؤدي بالمسلمين إلى مالا يحمد عقباه !. أما نحن فلا نرى هذا. فإننا حين ندعو الله مخلصين أن يوفق المسلمين لتلبية نداء المصلحين بنبذ الحزازات وتوحيد الكلمة، لا نريد ذلك على حساب العلم والمعرفة، ونعتقد أن المصلحين أنفسهم أيضا لا يريدونها كذلك، فإن المصلحين الغيارى يدعون إلى الاجتماع على صعيد الاسلام، والاسلام ليس برأي سياسي دولي، وإنما هو إيمان وعقيدة، وهما لا يتأتيان من كتم الحقيقة، بل إنهما ينتجان من البحث والنقد العلمي الخالص، على أن لا ينبعث ذلك من هوى النفس بدافع الحب والبغض.

---

[٢٠]

وما السبيل إلى معرفة مبادئ الاسلام وأحكامه غير البحث عن تاريخ الاسلام في بدء بدئه، وتمحيص الاحاديث النبوية، والتحقيق عن حال رواتها، لنفهم منها شأن نزول القرآن الكريم، ولنستطيع - على ضوء هذا العلم - استنباط الاحكام الاسلامية التي نريد أن نعمل بها، وندعو الناس إلى العمل بها أيضا، ولابد لنا في العمل من العلم. * * * والحق أن السعي لتقريب المسلمين بعضهم من بعض، والجهاد في سبيل اعادة حياة اسلامية، والقيام بالبحث والتحقيق في تاريخ الاسلام وحديث نبيه صلى الله عليه وآله لا ينافي بعضه بعضا، وإنما يتم بعضه بعضا، فإنه لا يتمكن من إقامة مجتمع إسلامي دون فهم لقرآنه وحديث نبيه صلى الله عليه وآله وتاريخه، كما لا يتأتى التآخي الصحيح إلا بالايمان بوجوب إعادة حياة إسلامية، وإلا فعلى م يجتمع المسلمون ؟ وما الذي يوحد كلمتهم ؟ كما لا يتأتى التآخي أيضا إلا بترويض المسلمين أنفسهم على سماع آراء بعضهم بعضا ومناقشتها مناقشة من يطلب الحق ليتبعه، ليصدق عليهم قول الله سبحانه: " فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه "، وهذا ما ندعو إليه، ونسأل الله أن يوفقنا جميعا إلى الاهتداء به. * * * وبالاضافة إلى ما ذكرنا فإن في التاريخ الاسلامي - كغيره من تواريخ الملل والنحل في العالم - عقبات ثلاثا غير ما ذكرنا طالما اعترضت سبيل الباحثين والدارسين، وعاقتهم عن سلوك طريق العلم. وأولى تلك العقبات وأهمها: عادة عبادة السلف الصالح، فقد دأب البشر منذ فجر تاريخه على عبادة سلفه، ومن هنا نشأت عبادة الاوثان، ولم يكن نسر، ويغوث، ويعوق، وود، وسواع (٣) غير رجال صلحاء احترمهم

---

(٣) راجع تفسير الآية ٢٤ من سورة نوح في الدر المنثور ٦ / ٢٦٩، وغيره من التفاسير.

---

[٢١]

قومهم أولا، ثم تدرجوا إلى عبادتهم. ومن العجيب في هذا الامر: أننا نجد السلف الصالح عندنا كان ينتقد بعضه بعضا، ويرده أشد الرد والنقد، ويجوز لنفسه قتل من خالفه في الرأي من معاصريه، حتى إذا انصرم عصرهم، وجاء الخلف من بعدهم، رأينا في المسلمين من يحرم نقدهم، فيغلق على نفسه وغيره باب العرفان والعلم. والعقبة المهلكة الثانية، هي سجية التعصب الذميم، والتعصب عقبة أمام العلم لما تسد على الانسان منافذ النور، ومهلكة نجد لها ضحايا في كل عصر وكل مصر، هذه الري في أوائل القرن السابع الهجري (٤) تدمرها العصبية المذهبية، يبيد الحنفية والشافعية الشيعة أولا، ثم يثني الشافعية بالحنفية، ويبيدونهم حتى يتركوا أحياءهم خرابا بيانا. وثالثة الاثافي في هذه العقبات تدخل السلطة، آلهة العصور في هذا الشأن، فهي التي أغلقت باب البحث رياء، وهي التي سدت باب الاجتهاد سنة ٦٦٥ ه (٥) وبقي كذلك حتى اليوم. ولا أدري ألم يأن للمسلمين أن يفتحوا باب البحث والتحقيق ! بعد أن فكروا في فتح باب الاجتهاد، أم إنهم لا يرضون بالتقليد بديلا ! ؟ لا لن يبقى الامر كذلك، فقد بزغ فجر العلم في عصرنا نتيجة سعي المصلحين، وسيأتي زمان يضحك أهله من متاعبنا كما ضحكنا من تعصب أهل الري الذميم. ومضافا إلى ما ذكرت من عقبات فإنا قد تعودنا أن نقرأ لاحد مدحا فلا نرضى أن نسمع له نقدا، أو نقدا فلا نرضى أن نسمع له ثناء، وفي هذا الكتاب رسمت أم المؤمنين كما وجدتا، سواء أكان ذاك لها ثناء، أو كان لها نقدا.

---

(١) راجع ياقوت في لغة الري ٤ / ٣٥٥، وهذه واحدة من آلاف. (٥) بيبرس البند قداري سد باب الاجتهاد بمصر. راجع خطط المقريزي ص ١٦١، وكان جديرا بمصر مبادرتها في هذا العصر إلى فتح الباب الذي أغلقته.

---

[٢٢]

فمن أراد أن يقرأ أم المؤمنين كما هي في الحديث والتاريخ، ويحلل شخصيتها من أحاديثها، فدونه أدوارا من حياتها في ما يأتي. وأما من لا يستطيع اجتياز ما ذكرت من عقبات والتي هي مشتركة بين الكاتب والقارئ فليدع الكتاب لاهله، والله الموفق للصواب.

---

[٢٣]

بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما * يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة

يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما * يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا * وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى.)

---

[٢٥]

حكمة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وآله: نبدأ بحوث الكتاب بإذنه تعالى ببيان حكمة تعدد زوجات الرسول في ما يأتي: قال الله سبحانه في سورة الاحزاب: (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما * ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما * لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا) (الآيات / ٥٢ ٥٠). شرح الكلمات: أ - أجورهن: مهورهن. ب أفاء: أفاء عليه فيئا، أي جعل له الغنيمة التي لم تلحق فيها مشقة له. ج - وهبت نفسها للنبي: أي طلبت من الرسول أن يتزوجها بلا مهر. د - حرج، الحرج: الضيق في باب النكاح. هـ - ترجي: ترجي هنا بمعنى تنحي عنك من تشاء.

---

[٢٦]

و - تؤوي: تؤوي هنا بمعنى تضم إلى نفسك من تشاء منهن. ز - الحلم: الحلم في اللغة: الاناة وضبط النفس عند الغضب مع القدرة، وفي المصطلح الاسلامي: من أسماء الله الحسنى، أي لا يعاجل بالعقوبة ويصفح. ح - رقيبا: الرقيب في اللغة: الحافظ المراعي، وفي المصطلح الاسلامي: من أسماء الله الحسنى، أي الحافظ الذي لا يغيب عنه شئ. تفسير الآيات: إننا نرى أن بعض الآيات ومن ضمنها هذه الآيات نزلت لتخبر عن انتهاء أمد العمل ببعض الاحكام التي نزلت بوحي غير قرآني، مثل الآية ٦٥ و ٦٦ من سورة الانفال التي قال الله فيها: (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين.. الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين..) إننا نرى حكم (إن يكونوا عشرين يغلبوا مائتين)، كان قد نزل بوحي غير قرآني، ولما انتهى أمد العمل به نزلت الآيتان ليخبر الله في الاولى بهما، أن الله كان قد أنزل بوحي غير قرآني أن يغلب عشرون مائتين. وفي الثانية يخبر سبحانه انتهاء أمد ذلك، والآن إن يكن منكم مائة يغلبوا مائتين. وكذلك الشأن في آيات خبر تعدد زوجات الرسول (ص) من سورة الاحزاب، فإن الله سبحانه أخبر فيها أنه كان قد أحل لخاتم أنبيائه من آتاهن مهورهن من أقاربه وغيرهن من المؤمنات اللاتي هاجرن معه، ثم أخبر تعالى أنه أحل له الزواج بغيرهن من المؤمنات وأحل له امرأة مؤمنة طلبت منه أن يتزوجها ووهبت له مهرها إن أراد النبي أن يستنكحها. وإن هذا الحكم خاص بالنبي من دون المؤمنين، وقد علم الله، أي عين ما فرض عليهم في أزواجهم وفي نساء ملكوها بشراء وغيره. تنحي عنك من تشاء ممن وهبت نفسها لك وتضم إلى نفسك من تشاء

---

[٢٧]

منهن أو يكون المعنى تؤخر من تشاء من أزواجك فلا تضاجعها، أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء، ولعل المقصود إحلال كل ذلك لخاتم الانبياء (ص)، وأنه أحل له أن ينحي من شاء من الواهبات أنفسهن ويضم إلى نفسه من شاء منهن ويؤخر مضاجعة من شاء من أزواجه ويضاجع من شاء منهم لا جناح عليه في كل ذلك، ويعمل في كل ذلك بما يرى فيه من المصلحة، وإن علمهن أن نزول الرخصة في كل ذلك من الله تعالى أقر لاعينهن وأدنى إلى رضاهن لما يعلمن أن ذلك من الله ولهن الثواب في طاعة الله برضاهن بذلك، ولو علمن أن ذلك من قبلك لحزن وحملن ذلك لميلك إلى بعضهن دون بعض، والله يعلم بما في قلوبكم من الرضا والسخط، وكان الله عليما بمصالح عباده، حليما في ترك التعجيل في عقوبتهم. ولا يحل لك النساء بعد نزول هذه الآيات ولا أن تبدل بهن، تطلق بعضهن وتتزوج بغيرهن إلا ما ملكت يمينك من الكتابيات، فأحل له أن يتسراهن. ونرى أن هذه الآيات نزلت بعد فتح مكة وانتهاء

الحرج الذي كانت المؤمنات المهاجرات يعشنه، وكان عدد زوجات الرسول صلى الله عليه وآله يومذاك تسع نسوة من أمهات المؤمنين. وقد جاء في أصول الكافي في تفسير الآيات بسنده: عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عزوج: (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك) كم احل له من النساء ؟ قال: ما شاء من شئ. وفيه بإسناده عن أبي عبد الله (ع) قال، قلت: (لا يحل لك النساء من بعد، ولا أن تبدل بهن من أزواج) ؟ فقال: لرسول الله صلى الله عليه وآله أن ينكح ما شاء من بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وأزواجه اللاتي هاجرن معه، وأحل له أن ينكح من عرض المؤمنين بغير مهر وهي الهبة، ولا تحل الهبة إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله، فأما لغير رسول الله فلا يصلح نكاح إلا بمهر، وذلك معنى قوله تعالى: (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي). * * *

---

[٢٨]

رجعنا في تفسير الآيات إلى تفسير الطبري والقرطبي ومجمع البيان. ونقلنا أعلاه ما اخترنا مما ذكروا في تفسير الآيات. وبعد ذلكم ندرس في ما يأتي حكمة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وآله بإذنه تعالى. بيان الحكمة في تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وآله: تعرف حكمة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وآله مع ملاحظة الظروف الاجتماعية التي عاشها الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمون الاوائل في صدر الاسلام، وخاصة الظروف الاجتماعية التي كانت تعيشها النساء يومذاك. وفي هذا الصدد قال الله سبحانه: أ - في سورة النحل: (وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون) (الآيتان / ٥٧ - ٥٨). ب - في سورة الاسراء: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا) (الآية / ٣١). ج - في سورة الانعام: (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) (الآية / ١٥١). د - في سورة التكوير: (وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت) (الآيتان / ٨، ٩). قال القرطبي: الموءودة: المقتولة، وهي الجارية تدفن وهي حية، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب، فيؤودها أي يثقلها حتى تموت. وقال ابن عباس في تفسير الآيات: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة، وتمخضت على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وردت التراب عليها، وإن ولدت غلاما

---

[٢٩]

حبسته، ومنه قول الراجز: سميتها إذ ولدت تموت * والقبر صهر ضامن زميت والزميت: الوقور. وفي تفسير الطبري ما موجزه: كان الرجل من ربيعة أو مضر يشترط على امرأته، أن تستحيي جارية وتئد أخرى، فإذا كانت الجارية التي توأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته، وقال لها: أنت علي كظهر أمي إن رجعت إليك ولم تئديها، فتخذ لها في الارض خدا وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها حتى إذا أبصرته راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب (١٨). وفي تفسير القرطبي والطبري عن قتادة، قال: كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته، ويغذو كلبه، فعاتبهم الله على ذلك، وتوعدهم بقوله: (وإذا الموءودة سئلت) (١٩). قال المؤلف: إنما كانوا يغذون كلبهم لانه كان ينفعهم في حراسة بيتهم وماشيتهم، بينما لم تكن البنت تجلب لاولئك الوائدين نفعا. وقال أبو الفرج في الاغاني: وفد قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله بعض الانصار عما يتحدث به عنه من المؤودات التي وأدهن من بناته، فأخبر أنه ما ولدت له بنت قط إلا وأدها. ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله يحدثه فقال له: كنت أخاف سوء الاحدوثة والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنت قط إلا وأدتها، وما رحمت منهن موءودة قط إلا بنية لي ولدتها أمها وأنا في سفر فدفعتها أمها إلى أخوالها فكانت فيهم، وقدمت سألت عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولدا

---

(١٨) تفسير الطبري ٨ / ٣٨. ط. بولاق في تفسير (قد خسر الذين..). (١٩) ما نقلناه عن القرطبي إلى هنا في تفسيره الجامع، ١٩ / ٢٣٢ - ٢٣٣. والخبر الاخير رواه الطبري - أيضا - في تفسير، ٣٠ / ٤٦.

---

[٣٠]

ميتا. ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويفعت، فزارت أمها ذات يوم، فدخلت فرأيتها وقد ظفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئا من خلوق ونظمت عليها ودعا، وألبستها قلادة جزع، وجعلت في عنقها مخنقة بلح، فقلت: من هذه الصبية فقد أعجبني جمالها

وكيسها ؟ فبكت ثم قالت: هذه ابنتك، كنت خبرتك أني ولدت ولدا ميتا، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ. فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها، ثم أخرجتها يوما فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها وهي تقول: يا أبت ما تصنع بي ؟ ! وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: يا أبت أمغطي أنت بالتراب ؟ ! أتاركي أنت وحدي ومنصرف عني ؟ ! وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى واريتها وانقطع صوتها، فما رحمت أحدا ممن واريته غيرها. فدمعت عينا النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: " إن هذه لقسوة، وإن من لا يرحم لا يرحم " (٢٠). وقال القرطبي: إن قيس بن عاصم سأل النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله إني وأدت ثمان بنات كن لي في الجاهلية، قال: " فأعتق عن كل واحدة منهن رقبة " قال: يا رسول الله إني صاحب إبل، قال: " فأهد عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت " (٢١). وقال القرطبي: " إنه كان من العرب من يقتل ولده خشية الاملاق، كما ذكر الله عزوجل. وكان منهم من يقتله سفها بغير حجة منهم في قتلهم، وهم ربيعة ومضر، كانوا يقتلون بناتهم لاجل الحمية. وروي أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، كان لا يزال مغتما بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: مالك تكون محزونا ؟ فقال: يا رسول الله، إني أذنبت ذنبا في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت.

---

(٢٠) الاغاني ١٢ / ١٤٤. والخلوق: ضرب من الطيب. والودع: خرز بيض جوف في بطونها شق كشق النواة تتفاوت في الصغر والكبر، والواحد: ودعة. والجزع: الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض. والمخنقة: القلادة. وكيسها: عقلها. (٢١) القرطبي، التفسير الجامع، ١٩ / ٣٣٢ - ٣٣٣.

---

[٣١]

فقال له: أخبرني عن ذنبك، فقال: يا رسول الله، إني كنت من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت فتشفعت إلي امرأتي أن أتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت، وصارت من أجمل النساء فخطبوها، فدخلتني الحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زواج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذاوكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي، فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلي، وأخذت علي المواثيق بألا أخونها. فذهبت إلى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر فالتزمتني، وجعلت تبكي وتقول: يا أبت إيش تريد أن تفعل بي ؟ فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبت لا تضيع أمانة أمي، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة، وهي تنادي في البئر: يا أبت، قتلتني. فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت. فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، وقال: " لو أمرت أن أعاقب أحدا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك " (٢٢). وفي شأن هؤلاء أنزل الله تعالى: (وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ". (النحل / ٥٨). قال ابن الاثير في ترجمة صعصعة من أسد الغابة ما موجزه: صعصعة بن ناجية جد الفرزدق همام بن غالب الشاعر وكان من أشراف بني تميم وكان في الجاهلية يفتدي الموءودات وقد مدحه الفرزدق بذلك في قوله: وجدي الذي منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم توأد قال: قدمت على النبي صلى الله عليه وآله فعرض علي الاسلام فأسلمت وعلمني آيات من القرآن، فقلت: يا رسول الله إني عملت

أعمالا في الجاهلية فهل لي فيها من أجر ؟ قال: وما عملت ؟ قلت: ضلت ناقتان لي عشراوان فخرجت

---

(٢٢) القرطبي، تفسير سورة التكوير، الآية الثامنة، ١٩ / ٢٣٢ - ٢٣٤.

---

[٣٢]

أبغيهما على جمل لي فرفع لي بيتان في فضاء من الارض فقصدت قصدهما فوجدت في أحدهما شيخا كبيرا، فبينما هو يخاطبني وأخاطبه إذ نادته امرأة قد ولدت قال وما ولدت قالت جارية قال فادفنيها فقلت أنا أشتري منك روحها لا تقتلها فاشتريتها بناقتي وولديهما والبعير الذي تحتي. وظهر الاسلام وقد أحييت ثلاثمائة وستين موءودة أشتري كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل، فهل لي من أجر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا باب من البر لك أجره إذ من الله عليك بالاسلام (٢٣). ولما كانت إعالة البنت

تسبب ضائقة اقتصادية لوالدها، أمرت قريش بطلاق بنات رسول الله صلى الله عليه وآله كالآتي خبره: روى ابن إسحاق قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد زوج عتبة بن ابي لهب رقية أو أم كلثوم، فلما بادى قريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة، قالوا: إنكم قد فرغتم محمدا من همه، فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن. فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارق صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت، قال: لاها لله، إني لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يثني عليه في صهره خيرا، فيما بلغني. ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب، فقالوا له: طلق بنت محمد ونحن ننكحك أي امرأة من قريش شئت، فقال: إن زوجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها، فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها. ولم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامة لها وهوانا له، وخلف عليها عثمان بن عفان بعده (٢٤). هكذا فعلت قريش لما أرادت أن تكيد رسول الله كيدا يقعده عن دعوته

---

(٢٣) أسد الغابة ٣ / ٢١٠. (٢٤) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٩٦.

---

[٣٣]

للتوحيد وعمدت إلى إرجاع بناته إلى بيته ليشغلوه بهن عن مقارعتهم ومقابلتهم. وذلك لان المرأة لم تكن تشترك يومذاك في الغزو ولا في سفر التجارة وغيرهما من الاعمال الجالبة للثروة. ومن ثم كانت أبدا ودائما عالة على الرجل. * * * كانت تلكم ظروف العرب عامة في شبه الجزيرة العربية. وكانت ظروف المسلمين خاصة كالآتي: ظروف المسلمين في فجر الاسلام: إشتد إيذاء قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه في مكة فأمرهم الرسول صلى الله عليه وآله أولا بالهجرة إلى الحبشة. وأخير بالهجرة إلى المدينة وبذلك حرم المهاجرون منكل ما كانوا يملكون من وسائل العيش بمكة المكرمة، ثم التحق بهم الرسول صلى الله عليه وآله في المدينة واتخذها دار هجرته. وتدرج المسلمون في الالتحاق به، وكان جلهم لا يملكون من وسائل العيش شيئا فأسكن الرسول صلى الله عليه وآله الفقراء من رجالهم في صفة مسجده وعاشوا في أشد حالات الفقر وسموا باصحاب الصفة. وكان في من هاجر إلى المدينة نساء قد توفي أزواجهن أو من استشهد أزواجهن بعد ذلك في غزوات الرسول صلى الله عليه وآله ولم يكن لهن رجل يعيلهن وكان إسكانهن مع الرجال في صفة مسجده غير ميسور. ولما ذكرناه لم يكن للرسول بد من القيام بإيوائهن بنفسه صلى الله عليه وآله وإعالتهن. وبالاضافة إلى ذلك كانت تتحقق في زواج الرسول صلى الله عليه وآله ببعضهن مصالح كبيرة للاسلام والمسلمين مثل تبدل العداء والخصومة بين الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين مع قبيلة أبي سفيان، إلى التودد والالفة ورفع الخصومة. كما سندرس بإذنه تعالى بعض ذلك في الاخبار الآتية. * * *

---

[٣٤]

١ - خديجة بنت خويلد القرشية الاسدية أول أزواجه: وتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله خديجة قبل الوحي وعمره حينئذ خمس وعشرون سنة وقيل: إحدى وعشرون سنة، زوجها منه عمها عمرو بن أسد. ولما خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله قال عمها: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة بنت خويلد، هذا الفحل لا يقدع أنفه (*). وكان عمرها حينئذ أربعين سنة وأقامت معه أربعا وعشرين سنة. وكان سبب تزوجها برسول الله صلى الله عليه وآله أنها كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها تضاربهمإياه بشئ تجعله لهم منه. فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبله منها وخرج في مالها ومعه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال: هذا رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي. ثم باع رسول الله صلى الله عليه وآله سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد، ثم أقبل قافلا إلى مكة، فلما قدم على خديجة بما لها باعت ما جاء به، فأضعف أو قريبا، وحدثها ميسرة عن قول الراهب.

وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة مع ما أراد الله بها من كرامتها. فلما أخبرها ميسرة بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت له: " إني قد رغبت فيك لقرابتك مني، وشرفك في قومك، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك ". ثم عرضت عليه نفسها، وكانت أوسط نساء قريش

يقال: قدعت الفحل وهو أن يكون الفحل غير كريم. فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضرب أنفه بالرمح أو غيره حتى يقدع وينكف.المضاربة أن تعطي مالا لغيرك يتجر فيه. فيكون لك سهم معلوم من الربح.

---

[٣٥]

نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا. فلما قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله ما قالت، ذكر النبي ذلك لاعمامه، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وآله ولده كلهم قبل أن ينزل عليه الوحي: زينب، وأم كلثوم، وفاطمة، ورقية، والقاسم، والطاهر، والطيب. فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا قبل الاسلام، وبالقاسم كان يكنى رسول الله صلى الله عليه وآله. وأما بناته فأدركن الاسلام، فهاجرن معه واتبعنه وآمن به. توفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام. فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وآله المصائب بهلاك خديجة وأبي طالب، وكانت خديجة وزيرة صدق على الاسلام كان يسكن إليها. وسمى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك العام بعام الحزن. وكان موتها في رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، ودفنت بالحجون (٢٥). قيل: كان عمرها خمسا وستين سنة. ٢ - سودة بنت زمعة: سودة بنت زمعة القرشية العامرية. وأمها الشموس بنت قيس بن النجار الانصاري، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة بعد وفاة خديجة وقبل عائشة. وكانت قبله تحت ابن عمها السكران بن عمرو، أخي سهيل بن عمرو، من بني عامر بن لؤي، وكان مسلما فتوفي عنها، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله. وأسنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تصب منه ولدا. وتوفيت آخر خلافة عمر (٢٦).

---

(٢٥) جوامع السيرة ص ٣٢ ٣١، وأسد الغابة، الترجمة: ٦٨٦٧. ٧ / ٨٥ ٧٨. والحجون في معجم البلدان: جبل بأعلى مكة عنده أهلها. وقيل: مكان من البيت على ميل ونصف. (٢٦) أسد الغابة، الترجمة: ٧٠٢٧، ٧ / ١٥٨ ١٥٧.

---

[٣٦]

٣ - عائشة بنت أبي بكر: عائشة بنت أبي بكر، وأمها أم رومان ابنة عامر الكناني. تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الهجرة بسنتين، وهي بكر، وكان عمرها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله ست سنين، وقيل: سبع سنين. وبنى بها في شوال بالمدينة وهي بنت تسع سنين، وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين (٢٧). ٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب: وأمها وأم أخيها عبد الله: زينب بنت مظعون، أخت عثمان. وكان حفصة من المهاجرات، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وآله تحت خنيس بن حذاقة السهمي، وكان ممن شهد بدرا وجرح بها وتوفي بالمدينة. فلما تأيمت حفصة ذكرها عمر لابي بكر وعرضها عليه، فلم يرد عليه أبو بكر كلمة، فغضب عمر من ذلك، فعرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم. فانطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فشكا إليه عثمانا، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله سنة ثلاث عند أكثر العلماء. وتزوجها بعد عائشة، وطلقها تطليقة ثم ارتجعها. وعن ابن عمر قال: دخل عمر على حفصة وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك ؟ لعل رسول الله صلى الله عليه وآله قد طلقك ؟ إنه كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلي، إن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبدا. توفيت سنة خمس وأربعين. وقيل: سنة سبع وعشرين (٢٨). ٥ - زينب بنت خزيمة: كان يقال لها أم المساكين. كانت عند الطفيل بن الحارث فطلقها، فخلف عليها أخوه فقتل عنها ببدر. فخطبها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى نفسها

---

(٢٧) أسد الغابة، الترجمة رقم: ٧٠٢٧، ٧ / ١٥٧، والاصابة، الترجمة رقم: ٧٠٤، ٤ / ٣٤٨. (٢٨) أسد الغابة، الترجمة رقم: ٦٨٤٥، ٧ / ٦٥، والاصابة، الترجمة رقم: ٢٩٦، ٤ / ٢٦٤.

---

[٣٧]

فجعلت أمرها إليه فتزوجها في شهر رمضان سنة ثلاث. وكان دخوله بها صلى الله عليه وآله بعد دخوله على حفصة. فأقامت عنده ثمانية أشهر، وماتت في ربيع الآخر سنة أربع (٢٩). ٦ - أم سلمة بنت أبي أمية القرشية: وكانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الاسد بن المغيرة. وأمها عمة النبي صلى الله عليه وآله برة بنت عبد المطلب. وكانت ممن أسلم قديما هي وزوجها. وهاجرا إلى الحبشة فولدت له سلمة. ثم قدما مكة وهاجر إلى المدينة، فولدت له عمر ودرة (٣٠) وزينب. وقيل إنها أول امرأة خرجت مهاجرة إلى الحبشة وأول ظعينة دخلت المدينة. وتحدثت أم سلمة عن هجرتها إلى المدينة وقالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة من مكة، رحل بعيرا له وحملني، وحمل معي ابني سلمة، ثم خرج يقود بعيره، فلما رآه رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه ؟ علام تترك تسير بها في البلاد ؟ ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوني، وغضبت عند ذلك بنو عبد الاسد، وأهووا إلى سلمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الاسد رهط أبي سلمة، وحبسني بنو المغيرة عندهم. وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة. ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني، قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالابطح، فما أزال أبكي، حتى أمسي، سنة أو قريبا، حتى مر بي رجل من بني عمي، من بني المغيرة، فرأى ما ي، فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها، فقالوا لي: إلحقي بزوجك إن شئت، ورد علي بنو عبد الاسد عند ذلك ابني، فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري، ثم

---

(٢٩) أسد الغابة، الترجمة رقم: ٩٦٥٣، ٧ / ١٢٩. (٣٠) سماها ابن هشام في سيرته: (رقية)، ٤ / ٢٩٤.

---

[٣٨]

خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة - أخا بني عبدالدار - فقال: أين يا بنت أبي أمية ؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. فقال: هل معك أحد ؟ فقلت: لا والله، إلا الله وابني هذا. فقال: والله مالك من متترك. فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني، فوالله ما صحبت رجلا من العرب أراه كان أكرم منه، إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى ننزل. فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي إلى المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية، - وكان أبو سلمة نازلا بها - فدخلتها على بركة الله تعالى، ثم انصرف راجعا إلى مكة. وكانت تقول: ما أعلم أهل بيت أصابهم في الاسلام ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة. وشهد أبو سلمة بدرا. واستشهد في أحد. فلما تأيمت أم سلمة أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وآله يخطبها، فبعثت إليه تقول: إني امرأة غيرى وإني امرأة مصبية وليس أحد من أوليائي شاهد. فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر ذلك له، فقال: ارجع إليها فقل: أما قولك إني امرأة غيرى فسأدعو الله فيذهب غيرتك. وأما قولك إني امرأة مصبية فستكفين صبيانك، وأما قولك ليس أحد من أوليائي شاهد فليس أحد من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك، فقالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله صلى الله عليه وآله فزوجه. توفيت في خلافة يزيد بعد ما جاءها نعي الحسين بن علي (ع) سنة إحدى وستين أو اثنتين وستين، وهي من آخر أمهات المؤمنين موتا (٣١).

---

(٣١) أسد الغابة، الترجمة رقم: ٧٤٦٤، ٧ / ٣٤٠ - ٣٤٣.

---

[٣٩]

٧ - جويرية بنت الحارث: جويرية بنت الحارث سبيت في غزوة بني المصطلق، سنة خمس، وقيل: سنة ست، فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له. فكاتبته على نفسها، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله تستعينه في كتابتها. فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، سيد قومه، وقد اصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبت على نفسي، فأعني على كتابتي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أو خير من ذلك، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت: نعم،

ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله، فبلغ الناس أنه قد تزوجها، فقالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله. فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها. ولما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله حجبها، وقسم لها (*)، وكان اسمها برة فسماها رسول الله جويرية (٣١). ٨ - صفية بنت حيي بن أخطب، سبيت في غزوة خيبر: قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله القموصأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد اصطفاها لنفسه. وعن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعتق صفية وجعل عتقها صداقها. وعن زيد بن أسلم قال: اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه واجتمع إليه نساؤه فقالت صفية بنت حيي: إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزن أزواجه ببصرهن فقال: " مضمضن " فقلن من أي

قسم لها: أي جعل لها يوما كسائر زوجاته صلى الله عليه وآله. (٣٢) أسد الغابة، الترجمة رقم: ٦٨٢٢، ٧ / ٥٦.حصن أبي الحقيق اليهودي. معجم البلدان. (*)

---

[٤٠]

شئ ؟ فقال: " من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة ". وتوفيت سنة ست وثلاثين. وقيل: سنة خمسين (٣٣). ٩ - ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية: تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة زوجها سنة سبع في عمرة القضاء في ذي القعدة. قال العباس لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن ميمونة بنت الحارث قد تأيمت من أبي رهم بن عبد العزى، هل لك أن تزوجها ؟ فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله. ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من عمرته أقام بمكة ثلاثا. فأتى خمسة نفر من أهل مكة فقالوا: يا محمد صلى الله عليه وآله اخرج عنا فاليوم آخر شرطك. وكان شرط في الحديبية أن يعتمر من قابل ويقيم بمكة ثلاثا. فقال: دعوني أبتني بأهلي وأصنع لكم طعاما فقالوا: لا حاجة بطعامك. فخرج فبنى بها بسرف قريب مكة، وتوفيت سنة إحدى وخمسين (٣٤). ١٠ - زينب بنت جحش: خبر زواج النبي صلى الله عليه وآله بزينب بنت جحش: أ - في القرآن الكريم: قال الله سبحانه في سورة الاحزاب: (وما كان لؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا * وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا

---

(٣٣) أسد الغابة، الترجمة رقم: ٧٠٥٥، ٧ / ١٦٩. (٣٤) أسد الغابة، الترجمة رقم: ٧٢٩٧، ٧ / ٧٢٠٢.

---

[٤١]

زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا * ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا * الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا * ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما) (الآيات / ٣٦ - ٤٠). ب - في الروايات مع تفسير الآيات: خبر زواج زينب بزيد أولا، ثم بالنبي صلى الله عليه وآله بعد طلاق زيد إياها: كان من خبر زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أنه أصابه سباء في الجاهلية وبيع في بعض أسواق العرب، فاشتري لخديجة، ثم وهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وآله قبل أن يبعث وهو ابن ثماني سنين، فنشأ عند النبي صلى الله عليه وآله، وبلغ الخبر أهله فقدم أبوه وعمه مكة لفدائه فدخلا على النبي صلى الله عليه وآله وقالا: يا ابن عبد المطلب ! يا ابن هاشم ! يا ابن سيد قومه ! جئناك في ابننا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه ! فقال: من هو ؟ قال: زيد بن حارثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فهلا غير ذلك ؟ قالا: ما هو ؟ قال: ادعوه وخيروه فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا، قالا: قد زدتنا على النصف وأحسنت، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هل تعرف هؤلاء ؟ قال: نعم ! هذا أبي، وهذا عمي ! قال: فأنا من عرفت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما. قال: ما أريدهما وما أنا بالذي أختار عليك أحدا، أنت مني مكان الاب والعم ! فقالا: ويحك

يا زيد ! أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وأهل بيتك ؟ قال: نعم، ورأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبدا، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك أخرجه إلى الحجر - في بيت الله - فقال: يا من حضر ! اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك
أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا. ونسب زيد بعد ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقيله له: زيد
---
[٤٢]
ابن محمد صلى الله عليه وآله. أسلم زيد قديما وبعد الامام علي (ع). وزوجه الرسول من أم أيمن وكان وصيفة لعبدالله والد النبي وكانت من الحبشة، وتزوجت أولا من عبيد بن عمرو من بني الحارث وبعده تزوجت زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد. وتوفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بخمسة أشهر. وشهد زيد بدرا وأرسله النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة بشيرا بالفتح وزوجه ابنة عمته زينب بنت جحش وفي بيته أم أيمن. وكان من خبر زواجه ما ذكرناه. وأرسله النبي في السنة الثامنة من الهجرة إلى الشام في غزوة مؤتة وجعله أحد الامراء على الجيش فاستشهد فيها. وخبر زواج الرسول بزينب وزواج زيد وطلاقه إياها كالآتي: بعد الهجرة إلى المدينة خطب زينب ابنة أميمة ابنة عبد المطلب عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فأرسلت أخاها إلى النبي صلى الله عليه وآله تستشيره في أمرها، فقال: فأين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها ؟ فسألت: من هو ؟ فقال: زيد ! فغضبت وقالت: تزوج ابنة عمتك مولاك ! لست بناكحته ! أنا خير منه حسبا ! أنا أيم قومي، فأنزل الله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) (الاحزاب / ٣٦)، فرضيت فزوجها الرسول صلى الله عليه وآله من زيد بعد أم أيمن السوداء الحبشية، ولها أسامة بن زيد، فكانت تعلو على زيد وتشتد وتأخذ بلسانها، فكان يشكوها إلى الرسول صلى الله عليه وآله ويحاول تطليقها، واقتضت مشية الله وحكمته أن يتزوجها الرسول صلى الله عليه وآله بعد زيد ليلغى بذلك التبني بين المسلمين، وأشعره الوحي بذلك، فخشي الرسول صلى الله عليه وآله أن يقول الناس تزوج حليلة ابنه، فكتم الوحي في نفسه وقال لزيد: اتق الله وأمسك عليك زوجك، ولما ضاق
زيد ذرعا بزوجته زينب طلقها وانقضت عدتها، فنزلت الآيات على الرسول صلى الله عليه وآله مرة واحدة إلى قوله تعالى: (فلما قضى زيد منه وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في
---
[٤٣]
أزواج أدعيائهم.. *... * ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين..) (الاحزاب ٣٧ و ٤٠)، فتزوجها الرسول صلى الله عليه وآله وقال عز اسمه لسائر المؤمنين: (وما جعل أدعياء كم أبناء كم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل * ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) (الاحزاب ٥ ٤) (٣٥). ١١ - أم حبيبة: إسمها رملة أو هند بنت أبي سفيان الاموية. وأمها صفية بنت أبي العاص ابن أمية. ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاما. تزوجها حليفهم عبيدالله بن جحش الاسدي من بني أسد بن خزيمة. فأسلما ثم هاجر إلى الحبشة، فولدت له حبيبة، فبها كانت تكنى. وتنصر زوجها عبيدالله بن جحش وارتد عن الاسلام، وفارقها. قالت أم حبيبة: رأيت في المنام كأن زوجي عبيدالله بن جحش بأسوأ صورة ففزعت، فأصبحت فإذا به قد تنصر فأخبرته بالمنام فلم يحفل به وأكب على الخمر حتى مات. فأتاني في نومي فقال: يا أم المؤمنين ففزعت فما هو إلا أن انقضت عدتي، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى النجاشي ليخطبها له. قالت أم حبيبة: فما شعرت إلا برسول النجاشي يستأذن فإذا هي جارية له يقال لها أبرهة فقالت: إن الملك يقول لك وكلي من يزوجك، فأرسلت إلى خالد بن الوليد سعيد بن العاص بن أمية فوكلته، فأعطيت أبرهة سوارين من فضة، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال: أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة فأجبت وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير. فخطب خالد فقال: قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وزوجته أم حبيبة، وقبض
---

(٣٥) راجع مصادر البحث في بحث صفات المبلغين من المجلد الثاني من كتابنا عقائد الاسلام من القرآن الكريم.

---

[٤٤]

الدنانير. وعمل لهم النجاشي طعاما فأكلوا. قالت أم حبيبة: فلما وصل إلي المال أعطيت أبرهة منه خمسين دينارا قالت فردتها علي وقالت إن الملك عزم عليه بذلك وردت علي ماكنت أعطيتها أولا ثم جاءتني من الغد بعود وورس وعنبر وزباد كثير. فقدمت به معي على رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان ذلك سنة سبع. وحكى ابن عبد البر أن الذي عقد لرسول الله صلى الله عليه وآله عليها عثمان بن عفان. ولما بلغ أبا سفيان أن النبي صلى الله عليه وآله نكح ابنته قال: هو الفحل لا يقدع أنفه (٣٦). الواهبات أنفسهن: كان في النساء المسلمات يومذاك من يطلبن من الرسول صلى الله عليه وآله أن يتزوجهن ويهبن له مهورهن ويسمين في السيرة بالواهبة نفسها للرسول صلى الله عليه وآله كما يأتي بعض أخبارهن بإذنه تعالى: أ - في صحيح مسلم وصحيح البخاري - واللفظ للاول -، بسنده عن ام المؤمنين عائشة، قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وآله وأقول: وتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله عزوجل: (ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت) (الاحزاب / ٥١)، قالت: قلت: والله ! ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك (٣٧). ب - في صحيح البخاري قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وآله. فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل، فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما أرى ربك * (هامش) (٣٦) الاصابة، الترجمة رقم: ٤٣٤، ٤ / ٢٩٨. (٣٧) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، ص ١٠٦٥، الحديث ٤٩. وصحيح البخاري، كتاب التفسير، باب التفسير، تفسير سورة الاحزاب، ٣ / ١١٨.

---

[٤٥]

إلا يسارع في هواك. رواه أبو سعيد المؤدب ومحمد بن بشر وعبدة عن هشام عن أبيه عن عائشة، يزيد بعضهم على بعض (٣٨). ج - في طبقات ابن سعد ما موجزه: أسلم زوج أم شريك، وهي غزية بنت جابر الدوسية من الازد، وهو أبو العكر، فهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مع أبي هريرة مع دوس حين هاجروا. قالت أم شريك: فجاءني أهل أبي العكر فقالوا: لعلك على دينه ؟ قلت: إي والله إني لعلى دينه. قالوا: لا جرم والله لنعذبنك عذابا شديدا. فارتحلوا بنا من دارنا ونحن كما بذي الخلصة وهو موضعنا، فساروا يريدون منزلا وحملوني على جمل ثفال شر ركابهم وأغلظه. وجاء في الخبر بعد هذا، كيفيه تعذيبهم إياهما وإسلامهم بعد ذلك. ثم جاء في الخبر، وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله، وهي من الازد، فعرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وآله وكانت جميلة وقد أسنت، فقالت إني أهب نفسي لك وأتصدق بها عليك. فقبلها النبي صلى الله عليه وآله. فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير. قالت أم شريك: فأنا تلك. فسماها الله مؤمنة، فقال: (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي). فلما نزلت هذه الآية قالت عائشة: إن الله ليسرع لك في هواك (٣٩). د - في صحيح البخاري بسنده: عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: إني وهبت من نفسي. فقامت طويلا. فقال رجل: زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة. قال: هل عندك من شئ تصدقها ! قال: ما عندي إلا إزاري ! فقال: إن أعطيتها إياها جلست إلا إزار لك فالتمس شيئا، فقال: ما أجد شيئا، فقال: التمس ولو خاتما من الحديد، فلم يجد، فقال: أمعك من القرآن

---

(٣٨) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب هل للمرأة أن تهب نفسها، ٣ / ١٦٤. (٣٩) طبقات ابن سعد، ط. أوربا، ٨ / ١١٢ - ١١٣.

---

[٤٦]

شئ ؟ قال: نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها. فقال: زوجناكها بما معك من القرآن (٤٠). وفي رواية: فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست. فقام رجل من أصحابه فقال: أي رسول الله إن لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها. فقال صلى الله عليه وآله: هل عندك من شئ ؟ قال: لا والله يا رسول الله. قال صلى الله عليه وآله: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا. فذهب ثم رجع

فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئا. قال: انظروا ولو خاتما من حديد. ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتم من حديد، ولكن هذا إزاري. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تصنع بازارك إن لبسته لم يكن عليها منه شئ، وإن لبسته لم يكن عليك منه شئ. فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله موليا، فأمر به فدعي. فلما جاء قال: ماذا معك من القرآن ؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا، عددها. قال: أتقرأهن عن ظهر قلب ؟ قال: نعم، قال: إذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن (٤١). عن أبي جعفر (ع) قال: جاءت امرأة من الانصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلت عليه وهو في منزل حفصة، والمرأة متلبسة متمشطة، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إن المرأة لا تخطب الزوج، وأنا امرأة أيم لا زوج لي منذ دهر ولا ولد، فهل لك من حاجة ؟ فإن تك فقد وهبت نفسي لك إن قبلتني، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله خيرا، ودعا لها (٤٢).

---

(٤٠) و (٤١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب السلطان ولي، وباب النظر إلى المرأة قبل التزويج ٣ / ١٦٥ - ١٦٦. (٤٢) البحار ٢٢ / ٢٢١.

---

[٤٧]

نتيجة البحث على أثر انتشار الجوع والفقر في شبه الجزيرة العربية كانت الاسر الفقيرة في مكة تعتفد، أي تذهب إلى البر وتستسلم للموت، ليموت أفراد الاسرة واحدا بعد الآخر، وهذا الامر وإن كان قد عالجه هاشم في مكة إلا أن الفقر كان سائدا في غيرها من المناطق الفقيرة في شبه الجزيرة العربية، إلى حد أنهم كانوا يئدون بناتهم خشية الفقر والاملاق، ولذلك منعهم الله سبحانه عن ذلك وقال: (لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا) (الاسراء / ٥٥). ومن ثم قررت قريش أن يطلق أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله بناته ليقعده إعالتهم عن القيام بأداء رسالته، وكل ذلك كان في الحالات الاعتيادية للانسان العربي في العصر الجاهلي، وبناء على ما ذكرنا، كيف كانت حالة الانسان الذي ترك كل وسائل الحياة في موطنه مكة هاجر إلى الحبشة في أفريقيا أولا، ثم إلى المدينة وبعيدا عن موطنه وأسرته ووسائل عيشه. في مثل هذا الظرف آوى رسول الله صلى الله عليه وآله نيفا وثمانين من المهاجرين الفقراء في صفة مسجده. وتعاون المتمكنون من المسلمين في إعالتهم. كان من الحكمة أن يصاهر رسول الله صلى الله عليه وآله بعض خصومه لتلين قلوبهم عليه صلى الله عليه وآله وعلى المسلمين. وبسبب ذلك رأيناه صلى الله عليه وآله قضى عنفوان شبابه مع زوجة أيمة حتى بلغت خمسا وستين عاما أو دون ذلك من عمرها، وبلغ عمره الشريف خمسين عاما. تزوج بعد وفاتها بأيمة مسنة أخرى من المسلمات، ثم عقد على ابنة واحدة غير مزوجة في حياته الزوجية وتزوج بعدها حفصة بعد أن تأيمت وعرضها والدها عمر على أبي بكر فلم يرد عليه كلمة، فغضب من ذلك. فعرضها على عثمان حين توفيت زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم. فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. وأنقذ الرسول صلى الله عليه وآله الموقف المتأزم بين الصحابة الثلاثة وتزوج

حفصة. وتوفي أبو رهم زوج ميمونة، فتأيمت في مكة، فلما ذهب الرسول صلى الله عليه وآله للعمرة في السنة السابعة من الهجرة وعرضها زوج أختها العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله، وتداركها

---

[٤٨]

رسول الله صلى الله عليه وآله بزواجه بها. ثم تزوج بعدها من امرأة استشهد زوجها في غزوة بدر، وبقيت أيمة لا معيل لها. فأقامت عنده ثمانية أشهر وتوفيت. ثم تزوج من ابنة عمته أم سلمة بعد أن استشهد زوجها في أحد، وترك زوجته مع أربعة أولاد لا معيل لهم. ثم تزوج من ابنة شيخ بني المصطلق القبيلة التي كانت تسكن قريبا من المدينة وانكسرت في قتالها معه فأطلق الصحابة جميع الاسرى من قبيلة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله. وبذلك أصبحت قبيلة بني المصطلق من أنصار الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين. وكذلك فعل في زواجه بصفية ابنة رئيس اليهود في حصن قموص من قرى خيبر. وفي عمرة القضاء تزوج ميمونة بمكة بعد ما تأيمت

وبقيت بين المشركين وأخذها معه إلى المدينة. وزوج ابنة عمته زينب حفيدة عبد المطلب من مولاه زيد وكان قد تبناه. وبذلك كسر العرف الجاهلي في الاعتداد بالنسب. وجعل الكفء في الزواج: الاسلام والايمان. غير أن زينب لم تطق ذلك وجعلت من الحياة الزوجية في بيت زيد جحيما لا يطيق تحمله زيد. وكان يشكو ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويريد الفراق منها، ويصبره الرسول عليها. فأخبره الله أن عليه أن يتزوج مطلقة زيد الذي تبناه ليكسر بذلك عرفا جاهليا آخر وهو احتسابهم الابن المتبنى في جميع الشؤون كالابن من صلب أبيه. فأطاع الرسول صلى الله عليه وآله أمر الله في ذلك. ثم تزوج من أم حبيبة ابنة ألد أعدائه وشيخ قريش بعد أن هاجرت مع زوجها إلى الحبشة وتوفي زوجها وبقيت بلا معيل في بلد الغربة، فهل تعود إلى دار إبيها وأمها في دار الشرك ليفتنوها عن دينها. أم ماذا تصنع ؟ وإذابها يشملها حنو الرسول صلى الله عليه وآله ويخطبها ويجري عقد
النكاح بكل مظاهر الاحترام، ويبلغ أبا سفيان الخبر فيقول ما يدل على اعتزازه بهذه المصاهرة أنه: الفحل لا يقدع أنفه. وتتجلى حكمة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وآله في أخبار الواهبات أنفسهن، فقد كن يتهافتن على رسول الله (ص) تهافت الفراش على النور. كما دل على

---

[٤٩]

ذلك الاخبار السابقة. ولا عجب من ذلك، فإن المرأة إنسانة تحتاج الحياة الزوجية إلى جنب حاجاتها المعيشية الاخرى. ولم يكن من المعيب على المرأة المسلمة أن تظهر هذه الحاجة إلى نبيها دون غيره، ويتضح ذلك في خبر المرأة التي عرضت نفسها على النبي (ص) وقالت: إني وهبت نفسي، فقامت طويلا. فقال رجل: زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة، فقال النبي: هل عندك من شئ تصدقها ؟ قال: ما عندي إلا إزاري ! فقال: إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك، التمس شيئا. فقال: ما أجد شيئا. فقال التمس ولو خاتما من حديد، فلم يجد. فقال: أمعك من القرآن شئ ؟ قال: نعم، سورة كذا وسورة كذا وسماها، فقال: زوجتك بما معك من القرآن * * *

وهكذا يتضح لنا بجلاء وجوه الحكمة في تزوج الرسول صلى الله عليه وآله ببضع عشر امرأة مؤمنة، غير أن أحاديث أم المؤمنين عائشة التي سبق إيراد بعضها ونورد بعضا منها في البحث الآتي وبعضها الآخر في المجلد الثاني إن شاء الله تعالى. إن تلكم الاحاديث من أم المؤمنين عائشة هي التي شوشت تلكم الاخبار فإنها تلقي في الذهن أن تعدد الزوجات من قبل الرسول صلى الله عليه وآله كان استجابة منه لهوى النفس - معاذ الله - فإن أصحاب الصحاح والسنن من الاحاديث رووا عنها - مثلا - أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله بعدما نزل قوله تعالى: (ترجي من تشاء وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) قالت: والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. إننا نرى أن أم المؤمنين عائشة يمكن أن تتحدث بمثل هذا الحديث بعد عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وفي حكومة الخلفاء وحين كانت
المتحدثة الرسمية للحكومة، أما أن تخاطب الرسول صلى الله عليه وآله وتقول له في عصر حكومته في المدينة: (ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك) لا يمكن أن يقع ذلك، لان في هذا القول طعنا بمنشأ الوحي إذ أن منشأه هوى نفس الرسول صلى الله عليه وآله - معاذ الله -،

---

[٥٠]

بل وطعن في منزلة الوحي تعالى شأنه عن ذلك. ومهما يكن من أمر فان أمثال هذا الحديث من أم المؤمنين عائشة حجبت الرؤية الصحيحة لحكمة تزوج الرسول صلى الله عليه وآله بأكثر من عشر من المؤمنات به، وألقت في الاذهان أن ذلك كان منه صلى الله عليه وآله بدافع هوى النفس ومتابعتها، واستفاد منها خصوم الاسلام في ما كتبوا ونشروا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما نشروا. وأخيرا وبعد انتشار أمثال هذه الاحاديث في كتب صحاح الحديث ومسانيدها ألا ينبغي لنا أن نقوم بدراسات في سبيل تمحيص سنة الرسول صلى الله عليه وآله، إذا فليعذرنا العاتبون اللائمون ! ! مؤاخذة أبناء الغرب الزواج المبكر لدى المسلمين بالاضافة إلى ما ذكرنا يؤاخذ أبناء الغرب على رسول الله صلى الله عليه وآله زواجه بعائشة في صغر سنها، والسب في ذلك أنهم دائما يتخذون من مجتمعهم وأعرافهم مقياسا لمعرفة الحق والباطل، فما وافق أعرافهم في مجتمعهم حق وتقدم وإنسانية، وباطل وجهل وتخلف ما خالفها. وإذا

درسنا الظروف الخاصة بكل من المجتمع الشرقي والغربي أدركنا أن المناخ في مثل المحيط الهندي وشبه الجزيرة العربية حار يؤدي إلى النضج المبكر في البنت، فهي ترى العادة الشهرية في سن مبكر، وليس الامر كذلك في مناخ شديد البرودة مثل مناخ الغرب ولذلك فان الزواج بصغيرة السن كان عاما في ذلك المناخ ولم يخص الرسول صلى الله عليه وآله، ولم يكن يتأخر زواج الصغيرة عندهم إلا لظروف خاصة بالبنت، وفي الغرب - أيضا - تنكح البنت الصغيرة لكن لا من قبل زوجها بل من قبل أخلائها، ولا تدخل البنت في بيت زوجها بكرا وبلغني أن دخولها على
زوجها بكرا يعد منها تخلفا وجهلا. وبعد ذلك لست أدري هل تنقطع صلة الخليلين بعضهم مع بعض بعد الزواج في محيط يختلط فيه الجنسان بحرية مطلقة ! وكيف يكون أمر طهارة
---
[٥١]
المولد في مثل هذا المحيط ؟ أما في الاسلام فانه يحرم اتخاذ الخليل على الجنسين كما قال سبحانه وتعالى: (ولا متخذات أخذان) (النساء / ٢٤) وقوله تعالى: (ولا متخذي أخذان) (المائدة / ٥١) والمقصود من الخدن هنا الصديق من الجنس الآخر وجمعه الاخدان، كما يعاقب الاسلام العقوبة على الاتصال الجنسي غير المشروع ويجلد الطرفين مائة جلدة إذا لم يكن لديهما سبيل إلى الاتصال الجنسي المشروع، وفي حالة الاتصال الجنسي غير المشروع مع وجود الزوج للمرأة وللرجل الزوجة أو المملوكة يرجم الزاني منهما، وفي مثل هذا المجتمع يتيسر المحافظة على طهارة النسل، أما في المجتمع الغربي المتحلل عن كل هذه القيود كيف يتيسر المحافظة على طهارة النسل ؟ لست أدري ! بعد ذكرنا الحكمة في تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وآله ندرس في ما يأتي أدوارا من حياة أم المؤمنين عائشة:
---
[٥٣]
أم المؤمنين عائشة في سطور
---
[٥٥]
أم المؤمنين عائشة: عائشة: إبنة أول الخلفاء، أبي بكر، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم القرشي، وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر، ولدت في السنة الرابعة بعد البعثة، وتزوجها الرسول بعد وفاة زوجته الاولى خديجة، قبل الهجرة بسنتين، وعمرها ست سنوات، وبنى بها في شهر شوال، بعد مضي ثمانية عشر شهرا من هجرته إلى المدينة، وبعد غزوة بدر الكبرى، وقبض النبي وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وقد أقامت مع النبي ثمانية أعوام وخمسة أشهر، ومكثت بعده في خلافة أبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان من المؤيدين للحكم القائم، ثم انحرفت عن عثمان، وترأست المعارضين، حتى إذا قتل قادت مناوئي ابن أبي طالب وخصومه إلى حربه - حرب الجمل (١) - في البصرة، وبعد أن غلبت في الحرب أعادها ابن أبي طالب مكرمة إلى المدينة حيث بقيت هناك حتى إذا قتل ابن أبي طالب وتربع معاوية على دست الحكم وأخذ يروج نشر فضائل آل أمية خاصة وحزب عائشة ومعارضي ابن ابي طالب عامة أصبح لها في هذا الدور شأن خطير مما سنستعرضه في ما يأتي من هذا البحث إن شاء الله تعالى. وكنيتها أم عبد الله، تكنت باسم ابن اختها عبد الله بن الزبير (٢). وتوفيت (رض) ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلون من شهر رمضان، من السنة السابعة أو الثامنة أو التاسعة والخمسين، فصلى عليها أبو هريرة وهو
---
(١) سميت تلك الحرب بحرب الجمل لان أم المؤمنين عائشة قادت جيشها في تلك الحرب وهي راكبة على جمل. (٢) راجع نسب قريش ص ٢٣٧، وترجمتها في الاستيعاب.
---
[٥٦]
يومذاك خليفة مروان على المدينة (٣) ودفنت بوصية منها مع سائر أمهات المؤمنين في البقيع (٤).
---
(٣) وكان مروان قد اعتمر في تلك السنة واستخلف ابا هريرة. (٤) الاصابة (٣٨ - ٤٠) راجع ترجمتها في المستدرك ١٤، والاستيعاب، واسد الغابة.
---
[٥٧]

ادوار من حياتها

---

[٥٨]

في بيت الرسول صلى الله عليه وآله سماتها: حزنها المفرط كلما بنى الرسول بزوجة جديدة، تعقبها الرسول إلى المسجد، والى البقيع، كسر أواني الطعام، مع صفية، مع سودة، مع الواهبات أنفسهن، هي ومليكة، وهي وأسماء، مع مارية، قصة مارية، مع ذكرى خديجة، مع ابنة خديجة وصهرها. سماتها العامة: كانت أم المؤمنين عائشة (رض) من أولئك القلائل من البشر، ذوي الطموح الخارق الذين لا يقر لهم قرار دون بلوغ القمة من المجد، وممن لا يرضون لانفسهم أن يساميهم في العلياء بشر، وكانت إلى ذلك ذات مزاج عصبي حاد عنيف، فيها حدة طبع، وحدة ذكاء، وغيرة شديدة، تغار على قلب زوجها، فلا تريد أن تشاركها فيه أثنى غيرها، وتغار على ذوي قرباها، وتذهب نفسها حسرة على ضياع مصالحهم، هذه هي الصفات الغالبة على حياتها العامة وعلى حياتها الزوجية الخاصة، وهي بعد ذلك من النساء الخالدات في التاريخ أبد الدهر. في حياتها الزوجية (*): من مظاهر غيرتها الشديدة في حياتها الزوجية حزنها المفرط كلما بنى

بدأنا في دراسة حياة أم المؤمنين بحياتها الزوجية، لانا لم نجد في حياتها بدار أبيها - دور طفولتها الاولى - ما يساعدنا على تفهم أحاديثها فانها كانت قد خرجت من دار أبيها بعد

---

[٥٩]

االرسول بزوجة جديدة، كما حدثت هي بنفسها عن أثر الغيرة عليها عندما بنى بأم سلمة (١) وزينب ومارية وغيرهن ممن يأتي ذكرهن في هذا الفصل. تعقبها النبي صلى الله عليه وآله: وتعقبها النبي كلما فقدته في ليالي نوبتها، فقد حدثت وقالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وآله فظننت أنه أتى بعض جواريه، فطلبته فإذا هو ساجد يقول: رب اغفر لي (٢). وقالت: فقدت النبي ذات ليلة، فظننت أنه ذاهب إلى بعض نسائه، فتحسست ثم رجعت فإذا هو راكع (٣). وقالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهو يقول... الحديث (٤). وقالت: لما كانت ليلتي التي النبي صلى الله عليه وآله فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعها عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه، ثم اضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أني رقدت، فأخذ رداءه رويدا وانتعل رويدا وفتح الباب فخرج ثم أجافهرويدا فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري، ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع، فقام فأطال القيام، ثم رفع

إكمالها التاسعة من عمرها. (١) راجع طبقات ابن سعد ٩٤٨، وسير النبلاء ٢ / ١٤٧ سيأتي ترجمة زينب ومارية، أما أم سلمة فان اسمها هند بنت أبي أمية سهيل زاد الركب بن المغيرة المخزومية، وامها عاتكة بنت عامر، تزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي، وهاجر بها إلى الحبشة الهجرتين فولدت له هناك زينب ثم سلمة وعمرو ودرة، وحضر أبو سلمة أحدا فرمي بسهم ثم بقي بعد ذلك حتى انتفض الجرح ومات منه، فتزوجها الرسول بعده وتوفيت في عهد يزيد بن معاوية بعد قتل الحسين راجع ترجمتها في الاستيعاب واسد الغابة والاصابة وابن سعد ٨ / ٩٦ ٨٦. (٢) حدثت به هلال بن يساف. راجع مسند أحمد ٦ / ١٤٧. (٣) حدثت به أبا مليكة. راجع مسند أحمد ٦ / ١٥١. (٤) حدثت به أبا هريرة. راجع مسند أحمد ٦ / ٢٠١ وقريب منه حديثها لعبد الرحمن بن الاعرج ٦ / ٥٨.اجاف الباب: رده.

---

[٦٠]

يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرف، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت (*)، فسبقته، فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: مالك يا عائش حشياء رائبة (*): قالت: قلت: لا شئ يا رسول الله قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير، قالت: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته، قال: فأنت السواد الذي رأيت أمامي، قلت: نعم، فلهزني في ظهريلهزة فأوجعتني وقال: أظننت أن يحيف عليك الله ورسوله.. الحديث (٥). وقالت: إن رسول الله خرج من عندها ليلا، قالت: فغرت عليه، قالت: فجاء فرأى ما أصنع. فقال: مالك يا عائشة ! أغرت ؟ ! فقلت: ومالي أن لا يغار مثلي على مثلك ! فقال رسول الله صلى

الله عليه وآله: أفأخذك شيطانك ؟... الحديث (٦). وقالت: قام النبي صلى الله عليه وآله من الليل، فظننت أنه يأتي بعض نسائه فاتبعته فأتى المقابر، ثم قال: سلام عليكم دار قوم مؤمنين.. ثم التفت فرآني. فقال: ويحها لو استطاعت ما فعلت (٧). كسر أواني أزواج الرسول صلى الله عليه وآله: ومن آثار حدة طبعها كسرها أواني أزواج النبي اللائي كن يبعثن بطعام

الحضر: عدو الفرس، وأحضر: أي عدا مسرعا كعدو الفرس.حشياء: أي مصابة بالربو، وربا الفرس: إنتفخ من عدو أو فزع.اللهز: الضرب بجمع الكف. (٥) في حديثها لقيس بن مخرمة بن المطلب. مسند أحمد ٦ / ٢٢١. (٦) مسند أحمد ٦ / ١١٥ في حديثها لعروة بن الزبير. (٧) مسند أحمد ٦ / ٧٦ في حديثها للقاسم، وراجع ١١١ منه، وفي مسند الطيالسي الحديث ١٤٢٩.

---

[٦١]

إلى النبي عندما كان في دارها، كما صنعت ذلك بإناء أم سلمة، على ما أخرجه النسائي في صحيحه (٨) عن أم سلمة: أنها أتت بطعام في صحفة لها إلى رسول الله، فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فهر (*)، ففلقت به الصحفة، فأرسل النبي صفحة عائشة إلى أم سلمة. وكسر إناء حفصة (٩) على ما أخرجه أحمد في مسنده (١٠): عن أم المؤمنين عائشة في حديث لها: قالت صنعت له طعاما، وصنعت حفصه له طعاما. فقلت لجاريتي: اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبل فاطرحي الطعام، قالت: فألقته الجارية، فوقعت القصعة (*)، فانكسرت وكان نطعاقالت: فجمعه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: اقتصي ظرفا مكان ظرفك. كسر اناء صفية: في مسند أحمد (١١) عن عائشة قالت: بعثت صفية (١٢) إلى رسول الله بطعام

---

(٨) صحيح النسائي باب الغيرة من كتاب العشرة بسنده إلى أم سلمة النسائي (٢ / ١٥٩).الفهر: الحجر ملء الكف، أو الحجر مطلقا. الصحفة: اناء الطعام. (٩) حفصة ابنة الخليفة عمر بن الخطاب وامها زينب بنت مظعون، ولدت قبل مبعث النبي بخمس سنوات، وتزوجها خنبس بن حذافة وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها بعد رجوع النبي من غرزة بدر، ثم تزوجها النبي، وتوفيت في شعبان سنة خمس واربعين في خلافة معاوية وصلى عليها مروان ودفنت في البقيع، طبقات ٨ / ٨٠ - ٨٦ وراجع ترجمتها في الاستيعاب، واسد الغابة والاصابة. (١٠) مسند أحمد ٦ / ١١١، والكنز ٣ / ٤٤ بتفصيل، وفي ٤ / ٤٤ الحديث ٩٨٣ كتاب الشمائل من قسم الافعال.القصعة: إناء الطعام.النطع: بساط من الجلد. (١١) ٦ / ٢٧٧ و ١٤٤، والنسائي ٢ / ١٤٨ و ١٥٩، وهامش الحلبية ٢٨٣ - ٢٨٤. (١٢) صفية بنت حيي بن أخطب من سبط هارون بن عمران من بني اسرائيل وامها برة بنت السموأل من بني قريظة، وقد تزوجها سلام بن مشكم القرظي، ثم فارقها فتزوجها كنانة بن

---

[٦٢]

قد صنعته له، وهو عندي، فلما رأيت الجارية أخذتني رعدة حتى استقلنيأفكل فضربت القصعة فرميت بها، قالت: فنظر إلي رسول الله صلى الله عليه وآله فعرفت الغضب في وجهه، فقلت أعوذ برسول الله صلى الله عليه وآله أن يلعنني اليوم، قالت: قال أولي، قالت: قلت: وما كفارته يا رسول الله ؟ قال طعام كطعامها وإناء كإنائها. مع صفية: وفي طبقات (١٣) ابن سعد: استبت عائشة وصفية، فقال رسول الله لصفية: ألا قلت: أبي هارون وعمي موسى، وذلك أن عائشة فخرت عليها. وروى الترمذي عنها أنها قالت: " قلت للنبي: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجمته - تغير

الربيع من يهود بني النظير فقتل عنها يوم خيبر، واصطفاها النبي صلى الله عليه وآله من سبي خيبر، ورأى النبي بوجهها خضرة، قال: ما هذا ؟ قالت: يا رسول الله رأيت في المنام قمرا أقبل من يثرب حتى وقع في حجري فذكرت ذلك لزوجي، فقال لي: تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة ؟ فضرب وجهي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: إن اخترت الاسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك، فقالت: يا رسول الله لقد هويت الاسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، ومالي في اليهودية إرب، ومالي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والاسلام: فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي. فاعتدت ثم تزوجها الرسول، ولما نزل المدينة أنزلها في العالية في بيت من بيوت حارثة، فجاءت عائشة متنقبة حتى

دخلت عليها، فقال لها النبي: كيف رأيتها ؟ قالت: رأيت يهودية، قال: لا تقولي هذا فإنها قد أسلمت وحسن اسلامها. واجتمع نساء النبي عليه في المرض الذي توفي فيه فقالت صفية: اما والله يا نبي الله لوددت ان الذي بك بي فغمزتها أزواج النبي صلى الله عليه وآله وأبصرهن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: مضمضن. فقلن: من أي شئ يا نبي الله ؟ قال: من تغامزكن بصاحبتكن، والله إنها لصادقة. وتوفيت سنة ٥٢ في خلافة معاوية ودفنت في البقيع، لخصت ترجمتها من طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٢٠ - ١٢٩.استقلني أفكل: أخذتني رعدة. (١٣) ٨ / ١٢٧ عن ابن ابي عون. وراجع الحديث ١٩٨٠ من كتاب النكاح في سنن ابن ماجة، وفيه قالت عائشة: يهودية وسط يهوديات ص ٦٢٧.

---

[٦٣]

بها طعمه، أدركه لشدة نتنها - " (١٤) وفي المستدرك (١٥) عن صفية قالت: دخلت علي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أبكي، فقال: يا ابنة حيي ما يبكيك ؟ قلت: بلغني أن عائشة وحفصة ينالان مني.. الحديث. مع سودة: في الاجابة (١٦): سمعت أم المؤمنين عائشة سودة (١٧) تنشد: " عدي وتيم تبتغي من تحالف " فقالت عائشة لحفصة: ما تعرض إلا بي وبك يا حفصة، فإذا رأيتني أخذت برأسها فأعينيني. فقامت فأخذت برأسها، وخافت حفصة فأعانتها، وجاءت أم سلمة فأعانت سودة فأتي النبي صلى الله عليه وآله فأخبر وقيل له: أدرك نساءك يقتتلن. فقال: " ويحكن مالكن ؟ ". فقالت عائشة: " يا رسول الله ألا تسمعها تقول: " عدي وتيم تبتغي من تحالف ". فقال: " ويحكن ليس عديكن ولا تيمكن، إنما هو عدي تميم وتيم تميم.. " الحديث.

---

(١٤) الترمذي على ما رواه الزركشي في الاجابة ص ٧٣ وكذلك فسره. (١٥) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٢٩ وفي تلخيصه أيضا. (١٦) الاجابة / ١٨. (١٧) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس من بني لؤي، وأمها الشموس بنت قيس النجاري من الانصار، تزوجها ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس، أسلما بمكة قديما وهاجرا إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم رجعا إلى مكة وتوفي زوجها، ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة خديجة، ودخل بها بمكة، توفيت في عهد معاوية شوال سنة ٥٤. طبقات ابن سعد ٨ / ٥٧ ٥٢.

---

[٦٤]

مع مليكة: أخرج ابن سعد في طبقاته (٤٣) وقال: تزوج النبي مليكة بنت كعب، وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة، فقالت لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك، فاستعاذت من رسول الله فطلقها، فجاء قومها إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله إنها صغيرة وإنها لا رأي لها وإنها خدعت فارتجعها، فأبى رسول الله، وكان أبوها قتل في يوم فتح مكة، قتله خالد بن الوليد بالخندمة (*). مع أسماء: وأخرج ابن سعد في طبقاته (٤٤) عن ابن عباس، قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله أسماء بنت النعمان، وكانت من أجمل أهل زمانها وأشبه، قال: فلما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله يتزوج الغرائب، قالت عائشة: قد وضع يده في الغرائب، ويوشكن أن يصرفن وجهه عنا، وكان خطبها حين وفدت كندة عليه إلى أبيها، فلما رآها نساء النبي صلى الله عليه وآله حسدنها، فقلن لها: إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله منه إذا دخل عليك، فلما دخل، وألقى الستر، مد يده إليها، فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: " أمن عائذ الله ! إلحقي بأهلك ". وروى (٤٥) حمزة بن أبي اسيد الساعدي عن أبيه، وكان بدريا قال: تزوج

---

(٤٣) ٨ / ١٤٨، والذهبي في تاريخه ١ / ٣٣٥، وابن كثير في تاريخه ٥ / ٢٩٩ وفي الاصابة ٤ / ٣٩٢ في الترجمة المرقمة ١٠١٦، وقد تخيرنا اللفظ من طبقات ابن سعد. وفي انساب البلاذري ١ / ٤٥٨ أوفى من ابن سعد.الخندمة جبل بمكة معجم البلدان. (٤٤) ٨ / ١٤٥، وأخرجه اليعقوبي عند ذكره ازواج النبي من تاريخه مختصرا، وفي المحبر ٩٤ - ٩٥ وبعده: وخرج والغضب يرى في وجهه، فقال له الاشعث بن قيس لا يسوءك يا رسول الله.. الحديث فزوجه ابنته. (٤٥) الطبري في ذيل المذيل ١٣ / ٧٩. والحاكم في المستدرك ٤ / ٣٧ وفي تلخيصه وفي المحبر أيضا.

---

[٦٥]

الرسول صلى الله عليه وآله أسماء بنت النعمان الجونية فأرسلني فجئت بها، فقالت حفصة لعائشة أو عائشة لحفصة: اخضبيها أنت، وأنا أمشطها ففعلن، ثم قالت إحداهما: (إن النبي يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول أعوذ بالله منك، فلما دخلت وأرخى الستر مد يده إليها، فقالت: أعوذ بالله منك ! فتلبكمه على وجهه، واستتر به وقال: " عذت معاذا " ثلاث مرات. قال أبو أسيد: ثم خرج علي فقال: يا أبا أسيد ! ألحقها بأهلها ومتعها برازقيتين - يعني كرباستين - فكانت تقول: أدعوني الشقية) (٤٦). يظهر من هذه النصوص، أن المتعوذة بالله من الرسول بتعليم من أم المؤمنين أيضا كانت أكثر من واحدة. مع مارية: أخرج ابن سعد في طبقاته (٤٧) عن عائشة، قالت: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة (*)، وأعجب با رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت حارثة بن النعمان (٤٨) - إلى قولها - وفزعنا لها فجزعت، فحولها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى العالية (*)، فكان يختلف إليها

تل عليه: أرخاه. (٤٦) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ / ٧٠٣ الترجمة ٢، وفي الاصابة ٣ / ٥٣٠ يترجمه نعمان ابن أبي الجون الترجمة ٨٧٣٦ مفصلا، وفي الترجمة ٥٧ ج ٤ ص ٢٢٧ - ٢٩٨، والحاكم في المستدرك ٤ / ٣٦، وفي تلخيصه وقال اليعقوبي عند ذكره أزواج النبي من تاريخه: " والجونية امرأة من كندة "، وليست بأسماء. ثم ذكر باختصار تمام القصة المذكورة آنفا وختمها بقوله: فزعموا أنها ماتت كمدا. وكذلك ذكره في المحبر ٩٥، وأنساب الاشراف ١ / ٤٥٧. (٤٧) طبقات ٨ / ٢١٢، والاصابة بترجمة مارية، وأنساب الاشراف ١ / ٤٤٩ - ٤٥٠.جعدة: شعرها غير مسترسل. (٤٨) حارثة بن النعمان الانصاري الخزرجي من بني النجار، شهد بدرا وما بعدها من المشاهد مع الرسول، توفي عصر معاوية، أسد الغابة ١ / ٣٥٨ - ٣٥٩، والاصابة ١ / ١٥٣٢.العالية من المدينة وقراها وعما يرها ما كان من جهة نجد إلى تهامة. وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة، ويقصد هنا من العالية مال كان لبني النظير ثم صار للنبي صلى الله عليه وآله.

هناك، فكان ذلك أشد علينا، ثم رزقه الله الولد وحرمناه... الحديث. قصة مارية: أخرج ابن سعد في طبقاته (٤٩) وقال: بعث المقوقسصاحب الاسكندرية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في سنة سبع من الهجرة بمارية وبأختها سيرين وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا وبلغته الدلدل وحماره عفير، ويقال: يعفور، ومعهم خصي يقال له: مابور، شيخ كبير، كان أخا مارية، وبعث ذلك كله مع الحاطب بن (٥٠) أبي بلتعة، فعرض حاطب بن أبي بلتعة على مارية الاسلام، ورغبها فيه، فأسلمت وأسلمت أختها، وأقام الخصي على دينه، حتى أسلم بالمدينة بعد على عهد رسول الله، وكان رسول الله معجبا بأم إبراهيم، وكانت بيضا جميلة، فأنزلها رسول الله في العالية في المال الذي يقال لها اليوم مشربة أم إبراهيم، وكان رسول الله يختلف إليها هناك، وضرب عليها الحجاب، وكان يطأها بملك اليمين، فلما حملت وضعت هناك، وقبلتها سلمى مولاة رسول الله، فجاء أبو رافع (٥١) زوج سلمى فبشر رسول الله

---

(٤٩) ٨ / ٢١٢.يقال: الفراعنة لملوك مصر، والقياصرة لملوك الروم، والنجاشي لامبراطور الحبشة، والمقوقس لصاحب الاسكندرية. (٥٠) حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير من بني خالفة بطن من لخم، كنيته أبو عبد الله حليف بني أسد، مولى عبد الله بن حميد الاسدي، أو كان حليف الزبير بن العوام الاسدي، وأرسله النبي سنة ست إلى المقوقس فبعث المقوقس معه هدية للنبي ومارية وسيرين اختها وجارية اخرى وخصيا اسمه مابور توفي سنة ثلاثين وصلى عليه الخليفة عثمان. أسد الغابة ١ / ٣٦١ - ٣٦٢ والاصابة الترجمة ١٥٣٨، والاستيعاب الترجمة ٥٣٤. (٥١) أبو رافع مولى رسول الله. اختلفوا في اسمه، والاشهر ان اسمه أسلم، زوجه رسول الله مولاته سلمى. شهد الخندق وما بعدها، وتوفي قبل قتل عثمان، أو في خلافة علي. وسلمى كانت مولاة صفية شهدت خيبر وكانت قابلة بني فاطمة، واشتركت في غسل فاطمة بنت رسول الله. راجع ترجمتها من الاستيعاب ١٥٢، وأسد الغابة ١ / ٧٧. والاستيعاب الترجمة المرقمة ١٢٠ من الكنى و ٧٣ من الاسماء.

بإبراهيم، فوهب له عبدا، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، وتنافست الانصار في إبراهيم وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي صلى الله عليه وآله لما يعلمون من هواه فيها، (وغار نساء رسول الله صلى الله عليه وآله واشتد عليهن حين رزق منها الولد) (٥٢). وفي الطبقات أيضا " وكانت ثقلت على نساء النبي صلى الله عليه وآله وغرن عليها ولا مثل عائشة ". وحدثت أم المؤمنين وقالت: " لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله إلي فقال: أنظري إلى شبهه بي. فقلت: ما أرى شبها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا ترين إلى بياضه ولحه، قالت: من سقي ألبان الضأن، ابيض وسمن " (٥٣). وكان من أثر ما صدر من أم المؤمنين عائشة وحفصة في حق مارية نزول سورة التحريم، كما نوردها في ما يلي: بسم الله الرحمن الرحيم (يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة ازواجك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم). في تفسير الطبري عن ابن عباس قال: كانت حفصة وعائشة متحابين وكانتا زوجتي النبي صلى الله عليه وآله فذهبت حفصة إلى أبيها فتحدثت عنده فأرسل النبي صلى الله عليه وآله إلى جاريته فظلت معه في بيت حفصة وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة فرجعت حفصة فوجدتها في بيتها فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله جاريته ودخلت حفصة فقالت قد رأيت من كان عندك والله لقد سؤتني. فقال النبي صلى الله عليه وآله والله إني لارضينك فإني مسر اليك سرا فاحفظيه. قالت: ما هو ؟

---

(٥٢) طبقات ابن سعد ترجمة ابراهيم ابن النبي ١ / ١٣٤، وأنساب الاشراف ١ / ٤٤٩ - ٤٥٠. (٥٣) طبقات ابن سعد بترجمة إبراهيم ابن النبي ١ / ١٣٧، وأنساب الاشراف ١ / ٤٤٩ - ٤٥٠.

[٦٨]

قال: إني أشهدك أن سرتي هذه علي حرام رضا لك، وكانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبي صلى الله عليه وآله فانطلقت حفصة إلى عائشة فأسرت إليها: أن ابشري إن النبي صلى الله عليه وآله قد حرم عليه فتاته. فلما أخبرت بسر النبي صلى الله عليه وآله أظهر الله عزوجل النبي صلى الله عليه وآله فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه (يا أيها النبي لم تحرم) - إلى قوله تعالى - (وهو العليم الحكيم) (٥٤). وقريب منه رواية عروة بن الزبير في طبقات ابن سعد (٥٥) وفي رواية الضحاك: كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله فتاة فغشيها فبصرت به حفصة وكان اليوم يوم عائشة وكانتا متظاهرتين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اكتمي علي ولا تذكري لعائشة ما رأيت فذكرت حفصة لعائشة فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله صلى الله عليه وآله حتى حلف أن لا يقربها أبدا فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يكفر يمينه ويأتي جاريته (٥٦): (وإذا سر النبي إلى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير). في تفسير الطبري: (هو في قول ابن عباس وقتادة وزيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن والشعبي والضحاك بن مزاحم: حفصة. وقد ذكرنا الرواية في ذلك قبل). وروى وقال: واذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا، قوله لها لا تذكريه فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض وكان كريما صلى الله عليه وآله.

---

(٥٤) تفسير الطبري (٢٨ / ١٠١) وفي ص: ١٠٢ رواها عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب. (٥٥) ط / أوربا (٨ / ١٣٥) باب (ذكر المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله..). (٥٦) اللفظ للطبري في تفسيرة (٢٨ / ١٠١) وراجع طبقات ابن سعد ط اوربا (٨ / ١٣٤).

[٦٩]

وقوله: فلما نبأها به يقول: فلما خبر حفصة نبي الله صلى الله عليه وآله بما اظهره الله عليه من افشائها سر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عائشة (قالت: من أنبأك هذا) يقول قالت حفصة لرسول الله من أنبأك هذا الخبر وأخبرك به (قال نبأني العليم الخبير) يقول تعالى ذكره: قال محمد نبي الله لحفصة خبرني به العليم بسرائر عباده.. (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير). في تفسير الطبري عن ابن عباس قال: " مكثت سنة وانا اريد أن أسأل عمر بن

الخطاب عن المتظاهرتين فما أجد له موضعا أسأله فيه، حتى خرج حاجا وصحبته حتى إذا كان بمر الظهران، ذهب لحاجته وقال أدركني بإداوة من ماء فلما قضى حاجته ورجع أتيته بالاداوة اصبها عليه فرأيت موضعا، فقلت: يا امير المؤمنين ! من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فما قضيت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة (رض) ". تواترت هذه الرواية عن ابن عباس وفي بعض ألفاظها بعض الاختلاف في بعض الاسانيد (٥٧). في تفسير الطبري عن ابن مسعود والضحاك وسفيان: فقد صغت قلوبكما: فقد زاغت قلوبكما. وعن ابن عباس: فقد صغت قلوبكما يقول: فقد زاغت قلوبكما يقول: قد اثمت

---

(٥٧) مر الظهران: قرية بوادي ظهران قرب مكة. والخبر بتفسير الطبري (٢٨ / ١٠٤ - ١٠٥) وصحيح البخاري (٣ / ١٣٧ و ١٣٨) كتاب التفسير، تفسير سورة التحريم، الباب ٢ والباب ٣ وج ٤ / ٢٢ كتاب اللباس، باب ما كان يتجوز رسول الله من اللباس والزينة، وصحيح مسلم كتاب الطلاق، الحديث المرقم ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤، ومسند احمد (١ / ٤٨).

---

[٧٠]

قلوبكما (٥٨). وفي تفسير السيوطي الدر المنثور عن ابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب وابن عباس في قوله: (وصالح المؤمنين) قال: هو علي بن أبي طالب. وعن اسماء بنت عميس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " وصالح المؤمنين " قال: علي بن أبي طالب (٥٩). (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا). (قانتات) قال الراغب في مفردته: القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع. (سائحات) قال الراغب: " سائحات: صائمات، قال بعضهم: الصوم ضربان: حقيقي وهو ترك المطعم والمنكح، وصوم حكمي وهو حفظ الجوارح عن المعاصي كالسمع والبصر واللسان، فالسائح هو الذي يصوم هذا الصوم دون الصوم الاول، وقيل: السائحون: هم الذين يتحرون ما اقتضاه قوله: (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها). (يا أيها الذين أمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون * يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعلمون). " قوا أنفسكم.. " في تفسير الطبري عن علي بن أبي طالب: قوا أنفسكم وأهليكم قال: أدبوهم علموهم.

---

(٥٨) تفسير الطبري (٢٨ / ١٠٤). (٥٩) تفسير السيوطي (٦ / ٢٤٤).

---

[٧١]

(يا أيها الذين أمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شئ قدير * يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير). لما ورد في الخطاب إلى زوجتي الرسول المتظاهرتين أمر بالتوبة، وفي وصف الزوجات اللاتي عسى ربه أن يبدلهن بالمطلقات: التائبات. وصف في هذه الآية التوبة المطلوبة بالنصوح. وقال الراغب في تفسير النصوح: (هو من قولهم: نصحت له الود: أي أخلصته، وناصح العسل خالصه، أو من قولهم: نصحت الجلد: خطته، و " توبوا إلى الله توبة نصوحا " من أحد هذين: إما الاخلاص وإما الاحكام). وفي تفسير السورة قال السيد قطب: (هذه السورة تعرض في صدرها صفحة من الحياة البيتية لرسول الله صلى الله عليه وآله وصورة من الانفعالات والاستجابات الانسانية بين بعض نسائه وبعض، وبينهن وبينه ! وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته صلى الله عليه وآله وفي حياة الجماعة المسلمة كذلك... ثم في التوجيهات العامة للامة على ضوء ما وقع في بيوت رسول الله وبين أزواجه). (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين * وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين * ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين).

---

[٧٢]

(فخانتاهما) في تفسير الطبري عن ابن عباس، قال: " ما بغت امرأة نبي قط. فخانتهما، قال: في الدين ". وكانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به فكان ذلك من أمرها. وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطا أحد أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء ". (فلم يغنيا عنهما) في تفسير الطبري عن سعيد بن جبير: (لم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتهما زوجيهما شيئا، ولم ينفعهما أن كان زوجاهما نبيين) (٦٠). (احصنت فرجها). قال الراغب في المفردات: " المحصنة إما بعفتها أو تزوجها أو بمانع من شرفها وحريتها ". قال السيد قطب في تفسيره: (الحادث الذي نزل بشأنه صدر هذه السورة هو واحد من تلك الامثلة التي كانت تقع في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، وفي حياة أزواجه). (وبمناسبة هذا الحادث وما ورد فيه من توجيهات، وبخاصة دعوة الزوجين المتآمرتين فيه إلى التوبة، اعقبه في السورة دعوة إلى التوبة والى قيام أصحاب البيوت على بيوتهم بالتربية، ووقاية أنفسهم واهليهم من النار، كما ورد مشهد للكافرين في هذه النار، واختتمت السورة بالحديث عن امرأة نوح وامرأة لوط كمثل للكفر في بيت مؤمن. وعن امرأة فرعون كمثل للايمان في بيت كافر. وكذلك عن مريم ابنة عمران التي تظهرت فتلقت النفخة من روح الله وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين). قال المؤلف:

(٦ () في تفسير الطبري " أزواجهما شيئا ولم ينفعهما أن كانت أزواجهما أنبياء " وهو خطأ.

---

[٧٣]

من بلاغة القرآن تطابق العدد بالتثنية في المثل بين المرأتين الكافرتين زوجتي النبيين والاخريين المؤمنتين مع المتظاهرتين في صدر السورة. مع ذكرى خديجة: أخرج البخاري في صحيحه (٦١)، في باب غيرة النساء من كتاب النكاح عن عائشة، قالت: " ما غرت على امرأة لرسول الله كما غرت على خديجة، لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله إياها وثنائه عليها، وقد أوحى الله إلى رسول الله، أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب " (*). وأخرج (٦٢) في باب مناقب خديجة منه، أنها قالت: ماغرت على أحد من نساء النبي ما غرت على خديجة، وما رأيتها ! ولكن النبي كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة وفي رواية قال بعده اني لاحب حبيبها (٦٣). وفيه أيضا عن أم المؤمنين قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة (٦٤) على رسول الله صلى الله عليه وآله، فعرف استيذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال " اللهم هالة " قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجايز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها ! ؟ وفي مسند أحمد بعد هذا: " فتغير وجه رسول الله تغيرا ما كنت أراه إلا

---

(٦١) ٢ / ٢٠٩.القصب ما كان مستطيلا من الجوهر، الدر الرطب الزبرجد الرطب المرصع بالياقوت. (٦٢) البخاري ٢ / ٢١٠. (٦٣) راجع ترجمتها في الاصابة. (٦٤) خديجة بنت خويلد القرشية الاسدية، وامها فاطمة بنت زائدة من آل لؤي، تزوجها أبو هالة هند التميمي، فولدت له هندا، ثم خلف عليها عتيق بن عائذ المخزومي وتزوجها الرسول وعمرها اربعون سنة، وهو ابن خمس وعشرين، فولدت له أولاده كلهم ما عدا ابراهيم، وتوفيت في السنة العاشرة من البعثة، راجع ترجمتها في الطبقات، والاستيعاب الترجمة ٨٤ وأسد الغابة والاصابة.

---

[٧٤]

عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى ينزل، أرحمة هو أم عذاب ؟ " (٦٥). وفي رواية (٦٦) قال لها: " ما أبدلني الله خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزوجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء " انتهى. وفي رواية الاستيعاب قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها. ما فتئ الرسول يذكر زوجه الاولى خديجة، ويعيش مع ذكراها مؤثرا ذوي قراباتها وأصدقائها ببره وإحسانه. حتى أوغر بذلك صدر أم المؤمنين عائشة، فاعترضت عليه غير مرة، وزاد في الطين بلة ما تلقته من الرسول أخيرا من تقريع ولوم في ذلك، وما سمعته من المدح والقدح المتقابلين مما حز في نفسها وآلمها كثيرا، فأثر ذلك تأثيرا سيئا في علاقاتها مع فاطمة ابنة خديجة من رسول

الله، وفي علاقاتها مع زوج فاطمة وبينها الذين خصهم الرسول بمزيد من عطفه، وحدبه عليهم، ومن آثار ذلك ما رواه أحمد في مسنده (٦٧) عن النعمان ابن بشير، حيث قال: استأذن أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فسمع صوت عائشة عاليا وهي تقول: " والله لقد عرفت أن عليا أحب إليك من أبي ومني مرتين أو ثلاثا... الحديث ". وكانت - أحيانا - لا تذكره بخير، روت عائشة ان النبي خرج يمشي بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر..

---

(١) * (٦٥) مسند أحمد ٦ / ١٥٠ و ١٥٤ عن موسى بن طلحة. (٦٦) مسند أحمد ٦ / ١١٧، وراجع أسانيد الحديث وألفاظ في كل من سنن الترمذي ص ٢٤٧ باب ما جاء في حسن العهد، وسنن ابن ماجة، باب الغيرة من أبواب النكاح ١ / ٣١٥، والبخاري أيضا في ٢ / ١٧٧، و ٤ / ٣٦ و ١٩٥، والاصابة ٤ / ٣٨٣، وراجع أسد الغابة ٥ / ٤٣٩، والاستيعاب بترجمة خديجة، ومسند أحمد ٦ / ٥٨ و ١٠٢ و ٢٠٢ و ٢٧٩، وابن كثير في تاريخه ٣ / ١٢٨ والكنز ٦ / ٢٢٤ الحديث ٣٩٧٣ و ٣٩٧٤. (٦٧) مسند أحمد ٤ / ٢٧٥، وراجع خصائص النسائي، ص ٢٨، ومجمع الزوائد ٩ / ١٢٦.

---

[٧٥]

قال ابن عباس للراوي هل تدري من الرجل الآخر ؟ قال: لا، قال: علي بن أبي طالب ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع.. (٦٨). وقد وصف بعض ذلك ابن أبي طالب في خطبته التي قال فيها: " أما فلانة فقد أدركها ضعف رأي النساء، وضغن غلا في صدرها، كمرجل القين (*). " ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إلي لم تفعل " (٦٩) ! وفي الكنز (٧٠): " وأما عائشة فقد أدركها رأي النساء وشئ كان في نفسها علي يغلي كالمرجل، ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إلي لم تفعل، ولها بعد ذلك حرمتها الاولى، والحساب على الله، يعفو عمن يشاء ويعذب من يشاء ". ويناسب في المقام أن نورد ما ذكره ابن أبي الحديث في شرحه لهذه الخطبة (٧١): قال ابن أبي الحديد: وقد كنت قرأته على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني (ره) أيام اشتغالي عليه بعلم الكلام، وسألته عما عنده فيه، فأجابني بجواب طويل أنا أذكر محصوله، بعضه بلفظه وبعضه بلفظي، فقد شذ عني الآن لفظه كله بعينه، قال: أول بدء الضغن كان بينها وبين فاطمة، وذلك لان رسول الله تزوجها عقيب موت خديجة، فأقامها مقامها، وفاطمة هي ابنة خديجة، ومن المعلوم أن ابنة الرجل إذا ماتت أمها وتزوج أبوها أخرى

---

(٦٨) الطبري ١ / ١٨٠١. ط. أوربا.المرجل: قدر كبير والقين الحداد اي كغليان قدر من حديد. (٦٩) شرح ابن أبي الحديد ٢ / ٤٥٦ - ٤٦٠ في (ومن كلام له (ع) خاطب به اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم فمن استطاع منكم عند ذلك.. إلى قوله واما فلانه). (٧٠) ٨ / ٢١٥ - ٢١٧، ومنتخبه ٦ / ٣١٥ - ٣٣١. (٧١) وقد لخصنا كلام ابن أبي الحديد وربما اشرنا في الهامش إلى مصادر الاحاديث التي يستشهد بها. شرح النهج (٢ / ٤٥٧ - ٤٦٠).

---

[٧٦]

كان بين الابنة وبين المرأة كدر وشنآن، وهذا لابد منه، لان الزوجة تنفس عليها ميل الاب، والبنت تكره ميل أبيها إلى امرأة غريبة، كالضرة لامها، بل هي ضرة على الحقيقة وإن كانت الام ميتة، ولانا لو قدرنا الام حية لكانت العداوة مضطرمة، متسعرة، فإذا كانت قد ماتت، ورثت ابنتها تلك العداوة.. ثم اتفق أن رسول الله مال إليها وأحبها، فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله. وأكرم رسول الله فاطمة إكراما عظيما أكثر مما كان الناس يظنونه، وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم، حتى خرج بها عن حد حب الآباء للاولاد، فقال بمحضر الخاص والعام مرارا لا مرة واحدة، في مقامات مختلفة لا في مقام واحد: إنها سيدة نساء العالمين (٧٢)، وإنها عديلة مريم بنت عمران (٧٣)، وإنها إذا مرت في الموقف، نادى منادى من جهة العرش، يا أهل الموقف ! غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد (٧٤). وهذا من الاحاديث الصحيحة، وليس من الاحاديث المستضعفة، وإن إنكاحه عليا إياها ما كان إلا بعدما أنكحه الله تعالى إياها في السماء، بشهادة الملائكة (٧٥)، وكم قال - لا مرة -: " يؤذيني ما يؤذيها، ويغضبني ما يغضبها " (٧٦)، و " إنها بضعة مني. يريبني ما يريبها " (٧٧). فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن عند الزوجة، حسب زيادة هذا

---

(٧٢) كنز العمال ٦ / ٢١٩ الحديث ٣٨٥٣ (عن عائشة)، والحديث ٣٨٥٤ (ش ع عبد الرحمن ابن أبي ليلى). (٧٣) الكنز

٦ / ٢١٩، الحديث ٣٨٤٥، و ٣٨٥٥. (٧٤) المستدرك ٣ / ١٥٣ و ١٥٦ والكنز ٦ / ٢١٨، ٣٨٣٠، و ٣٨٣١ و ٣٨٣٢. (٧٥) المستدرك ٣ / ١٥٨ - ١٥٩، والكنز ٦ / ٢١٨ الحديث ٣٨٣٤ عن المسور بن مخرمة، و ٣٨٣٦ عن ابن الزبير، وص ٢١٩ الحديث ٣٨٦٤. (٧٦) والترمذي ١٣ / ٢٤٦ في فضل فاطمة. (٧٧) الكنز ٦ / ٢٢٠ الحديث ٣٨٦٦، وراجع ترجمة خديجة وفاطمة في الطبقات ٨، والاستيعاب وأسد الغابة والاصابة، وخلاصة تذهيب الكمال، وحلية أبي نعيم.

---

[٧٧]

التعظيم والتبجيل، والنفوس البشرية تغيظ على ما دون هذا فكيف هذا ؟ ثم حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها - أعني عليا عليه السلام - فإن النساء كثيرا ما يجعلن الاحقاد في قلوب الرجال، لا سيما وهن محدثات الليل، كما قيل في المثل، وكانت تكثر الشكوى من عائشة، ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها، فينقلن إليها كلمات عن عائشة، ثم يذهبن إلى بيت عائشة فينقلن إليها كلمات عن فاطمة، وكما كانت فاطمة تشكو إلى بعلها، كانت عائشة تشكو إلى أبيها، لعلمها أن بعلها لا يشكيها على ابنته، فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثر ما، ثم تزايد تقريظ رسول الله لعلي، وتقريبه واختصاصه، فأحدث ذلك حسدا له، وغبطة في نفس أبي بكر عنه، وهو أبوها، وفي نفس طلحة وهو ابن عمها، وهي تجلس إليهما، وتسمع كلامهما، وهما يجلسان إليها ويحادثانها فأعدي إليها منهما كما أعدتهما قال: وليست أبرى عليا من مثل ذلك، ثم كان بينها وبين علي في حياة الرسول أحوال وأقوال، كلها تقتضي تهييج ما في النفوس، نحو ما روي أنه سائره يوما وأطال مناجاته (٧٨)، فجاءت، وهي سائرة خلفهما، حتى دخلت بينهما، وقالت: فيم أنتما فقد أطلتما، فيقال إن رسول الله - صلى الله عليه وآله - غضب ذلك اليوم، وما روي من حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم، فوقفت لها فأكفأتها، ونحو ذلك مما يكون بين الاهل وبين المرأة وأحمائها، ثم اتفق أن فاطمة ولدت أولادا كثيرة، بنين وبنات ولم تلد هي ولدا، وأن رسول الله كان يقيم بني فاطمة مقام بنيه، ويسمى الواحد منهما ابني، ويقول: " دعوا لي إبني " و " لا تزرموا على ابني " و " ما فعل ابني ؟ " فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل، ثم رأت البعل يتبنى بني ابنته من غيرها، ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق، هل تكون محبة لاولئك البنين ولامهم ولابيهم أم مبغضة ؟ وهل تود دوام ذلك واستمراره أم زواله وانقضاءه ؟ !

---

(٧٨) في باب مناقب علي من كتاب المناقب بسنن الترمذي ١٣ / ١٧٣ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا يوم الطائف فانتجاه فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: " ما انتجيته ولكن الله انتجاه ".

---

[٧٨]

ثم اتفق أن رسول الله صلى الله عليه وآله سد باب أبيها إلى المسجد، وفتح باب صهره (٧٩)، ثم بعث أباها ببراءة إلى مكة، ثم عزله عنها بصهره (٨٠)، فقدح ذلك أيضا في نفسها، وولد لرسول الله إبراهيم من مارية، فأظهر علي بذلك سرورا كثيرا، وكان يتعصب لمارية، ويقوم بأمرها عند رسول الله صلى الله عليه وآله ميلا على غيرها، وجرت لمارية نكبة، فبرأها علي منها، وكشف بطلانها، أو كشفه الله على يده، وكان ذلك كشفا محسا بالبصر، لا يتهيأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل ببراءة عائشة، وكل ذلك مما يوغر صدر عائشة عليه، ويؤكد ما في نفسها منه، ثم مات إبراهيم، فأبطنت شماتة، وإن أظهرت كآبة، ووجم علي من ذلك، وكذلك فاطمة، وكانا يؤثران مارية، ويريدان أن تتميز عليها بالولد، فلم يقدر لهما ولا لمارية ذلك، وبقيت الامور على ماهي عليه... وكان علي لا يشك أن الامر له، وأنه لا ينازعه فيه أحد من الناس، ولهذا قال له عمه: أمدد يدك أبايعك، فيقال: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان. قال: يا عم وهل يطمع فيها طامع غيري ؟ ! قال: ستعلم ! قال: فإني لا أحب هذا الامر من وراء رتاج (*)، وأحب أن أصحر به، فسكت عنه (٨١). فلما ثقل رسول الله في مرضه، أنفذ جيش أسامة، وجعل فيه

---

(٧٩) مسند أحمد ومنتخب الكنز ٥ / ٢٩، والكنز ٦ / ١٥٢ الحديث ٢٤٩٥ والمستدرك ٣ / ١٢٥. والترمذي ١٣ / ١٧٦ ولم يسد باب أبي بكر لانه كان بالسنح. (٨٠) مسند أحمد ١ / ٣٣١ المستدرك ٣ / ٥٢ عن ابن عباس، وص ٦ من خصائص النسائي، ومسند أحمد ج ١ / ٢ عن طريق أبي بكر ومسند أحمد ١ / ٣٥١ عن طريق علي، وص ٢٠ من خصائص النسائي وعبد

الله بن عمر راجع: المستدرك ٣ / ٥١.الرتاج: الباب المقفل. (٨١) راجع: المرشحون للبيعة من عبد الله بن سبأ، المدخل ص ٣١ نجد تفصيل المحاروة هناك مع بيان رأينا فيه.

---

[٧٩]

أبا بكر (٨٢) وغيره من أعلام المهاجرين والانصار فكان علي حينئذ بوصوله إلى الامر - إن حدث برسول الله حدث أوثق، ويغلب على ظنه أن المدينة لو مات نخلت من منازع ينازعه الامر بالكلية، فيأخذه صفوا وعفوا، وتتم له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضد منازعته عليها، فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها - يعني عائشة - إليه وإعلامه بأن رسول الله يموت ما كان. ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف، فنسب علي إلى عائشة أنها أمرت بلالا مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس، لان رسول الله كما روي قال ليصل بهم أحدهم، ولم يعين، وكانت صلاة الصبح، فخرج رسول الله وهو في آخر رمق يتهادى بين علي والفضل بن العباس، حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر، ثم دخل، فمات ارتفاع الضحى، فجعل يوم صلاته حجة في صرف الامر إليه (٨٣). وقال: أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله في الصلاة، ولم يحملوا خروج رسول الله إلى الصلاة لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن، فبويع على هذه النكتة التي اتهمها علي أنها ابتدأت منها، وكان علي يذكر هذا لاصحابه في خلواته كثيرا، ويقول: إنه لم يقل " إنكن لصويحبات يوسف " إلا إنكارا لهذه الحال، وغضبا منها، لانها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وإنه استدركها بخروجه، وصرفه عن

---

(٨٢) روى ابن سعد في الطبقات عن جيش اسامة، وقال: فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الاولين والانصار إلا انتدب في تلك الغزوة. فيهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة ابن الجراح، وسعد بن أبي وقاص.. فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين، فغضب رسول الله، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما مقالة بلغني عن بعضكم في تأميري اسامة ؟.. ثم نزل فدخل بيته، وذلك يوم السبت. وتوفي يوم الاثنين، راجع الطبقات. ط. ليدن ج ٢ ق ١ ١ / ١٣٦، وفي ج ٤، ق ١ / ٤٦ منه عن ابن عمر، وراجع تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ / ٣٩١، وكنز العمال ٥ / ٣١٢، ومنتخبه ٤ / ١٨٠. (٨٣) لنا بحث مفصل في ذلك باسم صلاة أبي بكر.

---

[٨٠]

المحراب، فلم يجد ذلك ولا أثر، مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر، ويمهد له قاعدة الامر، وتقرر حاله في نفوس الناس، ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين، والانصار (٨٤)، ولما ساعد على ذلك من الحظ الفلكي، والامر السمائي الذي جمع عليه القلوب والاهواء. فكانت هذه الحال عند علي أعظم من كل عظيم، وهي الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، ولم ينسبها إلا إلى عائشة وحدها، ولا علق الامر الواقع إلا بها، فدعا عليها في خلواته وبين خواصه، وتظلم إلى الله منها، وجرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور حتى بايع (٨٥). وكان يبلغه وفاطمة عنها كل ما يكرهانه منذ مات رسول الله، إلى أن توفيت فاطمة وهما صابران على مضض ورمض، واستظهرت بولاية أبيها واستطالت وعظم شأنها، وانخذل علي وفاطمة، وقهرا. وأخذت فدك، وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مرارا، فلمتظفر بشئ (٨٦)، وفي ذلك تبلغها النساء الداخلات والخارجات عن عائشة كل كلام يسوءها ويبلغن عائشة عنها وعن بعلها مثل ذلك إلا أنه شتان ما بين الحالتين، وبعد ما بين الفريقين، هذه غالبة، وهذه مغلوبة، وهذه آمرة، وهذه مأمورة، وظهر التشفي والشماتة ولا شئ أعظم مرارة ومشقة من شماتة العدو ! فقلت له - ره -: أفتقول أنت: إن عائشة عينت أباها للصلاة ورسول الله صلى الله عليه وآله لم يعينه ؟ !

---

(٨٤) راجع: عبد الله بن سبأ، السقيفة، تجد تفصيلا وافيا هناك. (٨٥) راجع: عبد الله بن سبأ، ص ٥٦ ٤٣. (٨٦) راجع طبقات ابن سعد ج ٢ ق ٢ / ٨٦ ط. أوربا، (باب ذكر ميراث رسول الله)، وصحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ٣٨ ٣، وصحيح مسلم باب قول رسول الله (نحن لا نورث ما تركناه صدقة) ١ / ٧٢ و ٣ / ١٥٣، والطبري بعد ايراد السقيفة، وابن كثير

٦ / ٢٨٥ - ٢٨٦، وابن عبد ربه ٣ / ٦٤، ومسند أحمد ١ / ٤ و ٩ و ١٠ و ١٤، و ٢ / ٣٥٣.

---

[٨١]

فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، ولكن عليا كان يقوله، وتكليفي غير تكليفه، كان حاضرا ولم أكن حاضرا، فأنا محجوج بالاخبار التي اتصلت بي (٨٧)، وهي تتضمن تعيين النبي لابي بكر في الصلاة وهو محجوج بما كان قد علمه، أو يغلب على ظنه من الحال التي كان حضرها. قال: ثم ماتت فاطمة، فجاء نساء رسول الله كلهن إلى بني هاشم في العزاء إلا عائشة، فإنها لم تأت، وأظهرت مرضا، ونقل إلى علي عنها كلام يدل على السرور (٨٨). ثم بايع علي أباها، فسرت بذلك، وأظهرت من الاستبشار بتمام البيعة واستقرار الخلافة وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا، واستمرت الامور على هذه مدة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان، والقلوب تغلي والاحقاد تذيب الحجارة، وكلما طال الزمن على علي تضاعفت همومه وغمومه، وباح بما في نفسه إلى أن قتل عثمان، وقد كانت عائشة أشد الناس عليه تأليبا وتحريضا، فقالت: أبعده الله. وأملت أن تكون الخلافة في طلحة، فتعود الامرة تيمية كما كانت أولا، فعدل الناس عنه إلى علي بن أبي طالب، فلما سمعت ذلك صرخت: واعثماناه قتل عثمان مظلوما، وثار ما في الانفس حتى تولد من ذلك يوم الجمل وما بعده. قال ابن الحديد: هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب - ره - ولم يكن يتشيع. إنتهى. (٨٧) راجع باب أحاديثها في صلاة أبي بكر من هذا الكتاب. (٨٨) في ترجمة فاطمة من النبلاء ٢ / ٩٤، قالت فاطمة لاسماء: إذا مت فغسليني أنت وعلي ولا يدخلن أحد علي. فلما توفيت جاءت عائشة فقالت أسماء لا تدخلي، فشكت إلى أبي بكر فجاء فوقف على الباب فكلم أسماء فقالت: هي أمرتني، قال فاصنعي ما أمرتك. ثم انصرف.

---

[٨٢]

قد أوردنا قسما كبيرا من محاورة ابن أبي الحديد وشيخه (٨٩) في شرح كلام علي بن أبي طالب، لما كان فيها من إيضاح لغوامض لنا عن حياة أم المؤمنين الزوجية، وعلاقاتها بأسرة النبي الاقربين في عصره، والاحداث التي نشأت عنها بعده، ونقتصر عليه في دارسة بعض نواحي حياتها الزوجية، لما في عرضها مفصلا من خروج بنا عن الدراسة الممهدة لفهم أحاديثها إلى دراسة مفصلة لحياتها وأثرها على المجتمع الاسلامي، مما ينبغي بحثها في دراسات أخرى. والذي نستخلصه من كل ما مر، أن أم المؤمنين كانت امرأة غيرى، تغار على زوجها الرسول، وأن غيرتها هذه كانت تؤثر على حياتها الزوجية، وعلاقاتها بزوجات الرسول وسراياه وسائر أفراد أسرته. وسنرى - مضافا إلى ما رأينا في ما مر - أنها كانت تغار على مصلحة ذوي قرباها، وحزبهم (٩٠) أيضا بمثل تلك القوة والشدة، وأن هذه الصفة (الغيرة) الشديدة) المصحوبة بحدة الطبع كانت تدفعها إلى أعمال عنيفة، وأقوال حادة مما عقدنا الفصول الآتية لدراسة أكثرها.

---

(٨٩) سيأتي بحث بعض ما أشار إليه اللمعاني في الابواب الآتية من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. (٩٠) كان لام المؤمنين حزب داخل بيت الرسول على ما حدثت هي وقالت: " ان نساء النبي كن حزبين، فحزب عائشة وحفصة وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وآله.. الحديث. وفي بقية الحديث ما يدل على ان فاطمة كانت في الحزب المناوئ لها راجع البخاري باب من أهدى إلى صاحبه من كتاب الهبة ٢ / ٦٠. أما خارج بيت الرسول فسنرى فيما يأتي انها صرفت عمرها في حفظ مصالح ذوي قرباها وحزبهم مدى الحياة.

---

[٨٣]

على عهد الخليفتين

---

[٨٥]

الخليفتان الخليفتان هما: أ - أبو بكر الملقب بالصديق والعتيق، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، وأمه أم الخير سلمى، أو ليلى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. ولد بعد الفيل بسنتين أو ثلاث، وكان من السابقين الاولين إلى الاسلام. صاحب الرسول في هجرته إلى المدينة، وشهد بدرا وما بعدها، وبويع بالخلافة في السقيفة (١) بعد وفاة رسول الله وقبل دفنه، وتوفي لثماني ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، ودفن في حجرة رسول الله،

وعمره ثلاث وستون سنة، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال أو ستا وعشرين. ب - أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي القرشي العدوي، وأمه حنتمة بنت هشام أو هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسلم بعد نيف وخمسين رجلا وامرأة، وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا وما بعدها. استخلفه أبو بكر من بعده، وانتشرت الفتوح الاسلامية في عهده. طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لاربع ليال بقين من ذي الحجة سنة

---

(١) راجع أخبار السقيفة في " عبد الله بن سبأ " ص ٢١ - ٧٦ تجد تفصيلا وافيا لحوادثها ومواقف الصحابة وآرائهم فيها هناك.

---

[٨٦]

ثلاث وعشرين، وعمره خمس وخمسون أو ثلاث وستون (٢)، ودفن هلال المحرم سنة أربع وعشرين إلى جنب أبي بكر في حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال.

---

(٢) نشك في صحة ما قدره العلماء في عمر الخلفاء الثلاثة ونظن انهم كانوا يرغبون في توفيق سني عمر بعضهم وسني عمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

[٨٧]

إرجاع السلطة إليها في التقيا - تفضيلها في العطاء - منع ازواج النبي من الحج - حجهن في آخر عهد عمر - خفرهن في طريق الحج - قلة الحديث في عهد الخليفتين - أحاديثها في هذا العهد - عصور الحديث - رثاء عمر على لسان الجن - تبادل الحب والاحترام - جعل بيتها دارا للشورى - نتيجة البحث. لقد قضت أم المؤمنين عائشة حياتها في نزاع حاد عنيف، وتنافس حزبي صاخب إلا ما كان من أيامها على عهد الخليفتين، فإنها قضتها قريرة العين، منعمة الحال، هانئة بما كانت تراه من غلبة حزبها واستيلائه على الحكم، وبما أحيطت من رعاية خاصة أوصلتها إلى ما كانت خليقة بها من مكانة مرموقة في المجتمع الاسلامي حتى اليوم، فقد توفي الرسول صلى الله عليه وآله عن تسع زوجات ولم نجد في تلكم التسع من يرجع الخليفتان إليها في القتيا كما كانا يفعلان مع أم المؤمنين عائشة. ومما يؤيد ما ذكرناه ما أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣) عن القاسم قال: " كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرا إلى أن ماتت ". وما أخرجه عن محمود بن لبيد قال: " وكانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت يرحمها الله، وكان الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنن. وكما أننا لم نجد في تلكم التسع من فضلت في العطاء ما عداها، فقد

---

(٣) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٧٥.

---

[٨٨]

أخرج ابن سعد (٤) بترجمتها عن مصعب بن سعد، قال: " فرض عمر لامهات المؤمنين عشرة آلاف وزاد عائشة ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله ". وعن ذكوان مولى عائشة، قال: قدم درج من العراق فيه جوهر إلى عمر، فقال لاصحابه أتدرون ما ثمنه ؟ فقالوا: لا. ولم يدروا كيف يقسمونه ! فقال: أتأذنون أن أرسل به إلى عائشة لحب رسول الله اياها ؟ قالوا: نعم. فبعث به إليها، فقالت ماذا فتح الله على ابن الخطاب، اللهم لا تبقيني لعطيته لقابل (٥). والسلطة التي فضلتها في العطاء في هذا العد، وأرجعت إليها في الفتيا، حجرت عليها داخل المدينة فيمن حجرت عليه (٦)، ولم تتركها تخرج من المدينة حتى إلى الحج والعمرة، روى ابن سعد في طبقاته: " أن عمر بن الخطاب منع أزواج النبي صلى الله عليه وآله من الحج والعمرة (٧) ". ولما كانت الحجة التي حج فيها عمر بن الخطاب سنة ثلاث وعشرين (وهي آخر حجة حجها عمر في السنة التي توفي فيها) أرسل إليه أزواج النبي

---

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ٦٧، والزركشي في الاجابة ص ٧١ و ٧٥، والكنز ٧ / ١١٦، ومنتخبه ٥ / ١١٨، وبترجمتها في الاصابة ٤ / ٣٤٩، والطبري ٤ / ١٦١ وابن الاثير ٢ / ٢٤٧، والمستدرك ٤ / ٨، وشرح النهج ٣ / ١٥٤، والبلاذري في فتوح البلدان ص ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٤٩. والماوردي في الاحكام السلطانية ص: ٢٢٢. (٥) النبلاء ٢ / ١٣٣ ومستدرك الحاكم ٤ / ٨

وتلخيصه للذهبي. (٦) كان من سياسة الخليفة عمر ان يحجر على مشاهير المسلمين يومذاك ويمنعهم من الخروج من المدينة، وفي تاريخ الخطيب ٧ / ٤٥٣ بترجمة الحسن بن يزيد القزويني عن عبد الله بن عمر قال: جاء الزبير إلى عمر - وكان رجلا شجاعا مهيبا - قد كان يخاف منه الذي كان، فقال لعمر: إئذن لي أن أخرج فأقاتل في سبيل الله، قال: حسبك قد قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله لولا أني أمسك بفم هذا الشعب لاهلك أمة محمد صلى الله عليه وآله. وراجع شرح النهج: لابن أبي الحديد. (٧) طبقات ابن سعد ٨ / ٢٠٨.

---

[٨٩]

يستأذن في الخروج ما عدا زينب وسودة فإنهما لم تحجا بعد النبي، وقالتا: لا يحركنا ظهر بعير، وقالت سودة: قد حججت واعتمرت، فأنا أقعد في بيتي كما أمرني الله (٨)، فأذن لهن، وأمر بجهازهن، فحملن في الهوادج عليهن الاكسية الخضر - الطيالسة - الخضر - وهن حجرة من الناس، وبعث معهن عبد الرحمن ابن عوف (٩) وعثمان بن عفان، فكان عثمان يسير على راحلته أمامهن وينادي: ألا لا يدنو إليهن أحد، ولا ينظر إليهن أحد، فلا يدع أحدا يدنو منهن ولا يراهن إلا من مد البصر، فإذا دنا منهن أحد يصيح: إليك، إليك، وكان عبد الرحمن يسير على راحلته من ورائهن يفعل مثل ذلك (١٠). وروي عن المسور ابن مخرمة (١١) أنه قال: ربما رأيت الرجل ينيخ على الطريق لاصلاح رحل أو بعض ما يصلح من جهازه، فيلحقه عثمان وهو أمام أزواج النبي صلى الله عليه وآله فإن كان في الطريق سعة أخذ يمين الطريق أو يساره، فيبعد عنه، وإن لم يجد سعة

---

(٨) وذلك لقول رسول الله لازواجه في حجة الوداع: " هذه الحجة، ثم ظهور الحصر " وقوله لهن: " أيكن اتقت الله، ولم تأت بفاحشة مبينة، ولزمت ظهر حصيرها فهي زوجتي في الآخرة " طبقات ابن سعد ٨ / ٢٠٨. (٩) أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة. ولد بعد الفيل بعشر سنين، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة، فسماه الرسول عبد الرحمن. هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وشهد بدرا وما بعدها، وعينه عمر في الستة أهل الشورى. توفي بالمدينة سنة ٣١، أو ٣٢، ودفن بالبقيع. الاصابة ٢ / ٤١٠ ٤٠٨، والاستيعاب ٢ / ٣٩٠ رقم الترجمة (١٦٧٧)، وأسد الغابة ٣ / ٣١٧ ٣١٣. (١٠) أخرج هذه الروايات في حج أزواج النبي ابن سعد في طبقاته ٨ / ٢٠٩ - ٢١٠، عن كل من عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع، وعطاء بن يسار، وابي هريرة وابن سيرين ومحمد بن عمر. (١١) أبو عبد الرحمن المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري، امه عاتكة بنت عوف اخت عبد الرحمن بن عوف، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، ومات في حرب أهل الشام مع ابن الزبير مستهل ربيع الاول سنة أربع وستين من حجر منجنيق أصابه وهو يصلي في الحجر، ترجمته في أسد الغابة ٤ / ٣٦٥، وراجع ترجمته في طبقات ابن سعد والاستيعاب والاصابة. (*)

---

[٩٠]

وقف ناحية حتى يرحل الرجل أو يقضي حاجته. وقد رأيته يلقى الناس مقبلين في وجهه من مكة على الطريق، فيقول لهم يمنة أو يسرة، فينيخهم حتى يكونوا مد البصر حتى يمضين، وكن ينزلن مع عمر كل منزل، وكانا ينزلان بهن في الشعاب وينزلان في فئ الشعب ولا يتركان أحدا يمر عليهن. وفي رواية أخرى: ينزلانهن بصدر الشعب وينزلان بذنب الشعب، ولا يصعد إليهن أحد، وفي اخرى: " ينزلهن في الشعب الذي ليس له منفذ "، وفي أخرى: " وقد ستروا عليهن الشجر من كل ناحية " (١٢) إن أم المؤمنين عائشة لم تخرج في هذا العهد غير هذه السفرة من المدينة، وإنما قضت أيامها في بيتها، في حياة رتيبة هادئة لا يختلف أولها عن آخرها، ترجع إليها السلطة في ما تحتاج إليه من إفتاء، فتحدث هي عن رسول الله في ذلك، وكان ذلك لها من السلطة غاية الاجلال والتكريم، مضافا إلى تفضيلها في العطاء. ومن المظنون ظنا راجحا أن التحديث كان في هذا العهد نزرا يسيرا وذلك لانصراف المسلمين بقضهم وقضيضهم إلى الفتوح، واتفاق الرأي وخضوع الجميع للخلفاء حتى النصف الاول من خلافة عثمان، مضافا إلى أنهم في المدينة كانوا يعيشون جميعا مع من عاشر النبي، فلم يكن هناك مسوغ للاكثار من الحديث عن عصر الرسول، ومن المظنون أيضا أن من ذلك النزر اليسير ما روي عن أم المؤمنين في تأييد الخلافة القائمة يومذاك، فإنها كانت من أشد المؤيدين لها، ولم يكن ثمة تأييد أقوى من نشر الحديث عن رسول الله في

شأن الخلافة والخلفاء، ومن الجائز أن يكون من أحاديثها في هذا العصر وفي هذا الباب ما أخرجه مسلم في صحيحه عنها (١٣) قالت:

---

(١٢) اخرج جميع هذه الروايات في حج أزواج النبي ابن سعد في طبقاته ٨ / ٢١٠ ٢٠٩ عن كل من أبي جعفر وابراهيم بن سعد، وأبو نجيح، وأم ذرة، وام معبد بنت خالد بن خليف، والمسور بن مخرمة. (١٣) صحيح مسلم ٧ / ١١٠، باب فضائل أبي بكر، ومسند أحمد ٦ / ٤٧ و ١٤٤، وطبقات

---

[٩١]

قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه: " إدعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ". وعن أبي مليكة (١٤) قال: قالت عائشة: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعبد الرحمن بن أبي بكر: " إئتني بكتف ولوح حتى أكتب لابي بكر لا يختلف عليه. فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم، قال: أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك أبا بكر ! ". ومنها أيضا ما أخرجه مسلم (١٥) عن أبي مليكة: قال سئلت عائشة: من كان رسول الله مستخلفا لو استخلفه: قالت: أبا بكر. فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر ؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: من بعد عمر ؟ قالت: أبا عبيدة بن الجراح (١٦) ثم انتهت إلى هذا !

ابن سعد ٢ ق ١، ١٢٨ ١٢٧ ط ليدن، وكنز العمال ٦ / ١٣٩ و ٣١٧ الحديث ٥٢٨٣، وفي منتخبه ٣ / ٣٤٢، واللفظ لمسلم. (١٤) مسند أحمد ٦ / ٤٧، وقريب منه في البخاري، كتاب المرضى ٤ / ٥ باب قول المريض إني وجع، أو: وارأساه، وفي كتاب الاحكام منه ص ١٤٦ باب الاستخلاف عن القاسم بن محمد قريب منه، وسيأتي النقاش حوله في باب أحاديثها إن شاء الله تعالى. (١٥) مسلم في صحيحه ٧ / ١١٠، وفي الطبقات ٢ ق ١٢٨ ط. ليدن، وفي مسند أحمد ٦ / ٦٣، والمستدرك ٣ / ٧٨، وكنز العمال ٦ / ٤٢٨ الحديث ٦٣٨٥ وليس في المستدرك اسم أبي عبيدة. (١٦) أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري، وأمه أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامر بن عميرة. كان من السابقين إلى الاسلام، وممن هاجر الهجرتين، وتوفي في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ وهو أمير عليها من قبل عمر، ودفن بفحل الاردن. الاستيعاب بهامش الاصابة ٣ / ٤ ٢، وأسد الغابة ٣ / ٨٦ ٨٤، والاصابة ٢ / ٢٤٥.

---

[٩٢]

إلى غير هذا من حديث كثير روي عنها في فضائلهما مما سنستعرضه في باب أحاديثها إن شاء الله تعالى. عصور الحديث: وإنما جوزنا أن يكون عصر الخليفتين عصر نشر هذه الاحاديث، لانا نجد الاحاديث التي فيها ذكر الخلفاء الاربعة، وأن رسول الله كان يستخلفهم لو استخلف أحدا، إلى نظائر هذه الاحاديث في هذا الباب إنما تنقسم إلى أربعة أقسام: القسم الاول منها ما فيه ذكر الخلفاء الاربعة حسب تسنمهم الخلافة واحدا بعد الآخر حتى علي بن أبي طالب، فذلك ما نرى فيه أنه قد حدث من بعد علي بن أبي طالب وبعد تدرج الخلفاء الاربعة عليها. ومن هذا النوع من الحديث ما أخرجه المحب الطبري في الرياض النضرة (١٧) عن النبي انه قال: " كنت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أنوارا على يمين العرش قبل أن يخلق آدم بألف عام، فلما خلق أسكناه ظهره، ولم نزل ننتقل في الاصلاب الطاهرة إلى أن نقلني الله إلى صلب عبد الله، ونقل أبا بكر إلى صلب أبي قحافة، ونقل عمر إلى صلب الخطاب، ونقل عثمان إلى صلب عفان، ونقل عليا إلى صلب أبي طالب، ثم اختارهم لي، فجعل أبا بكر صديقا، وعمر فاروقا، وعثمان ذا النورين، وعليا وصيا، وفمن سبا أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبه في النار على منخره ". وإنما نرى تأخر وضع هذا النوع من الحديث عن عصر علي إلى ما بعده لان هذا الحديث مثلا مضافا إلى ما فيه من ذكر السب، والسب كان قد انتشر في عصر معاوية وبتحريض منه ولم يكن سب الصحابة والخلفاء الاوائل في

---

(١٧) الرياض النضرة ١ / ٣٠ عن محمد بن إدريس الشافعي.

---

[٩٣]

عصر الرسول متداولا بين الناس ليمنع الحديث عنه. إذ ذكر الخلفاء الاربعة مسلسلا، ينبغي أن يكون بعد مجيئهم كذلك إلى الحكم وليس قبله. وفي عصر علي وإن كان الخلفاء الثلاثة قد تدرجوا على الخلافة كذلك غير أن المسلمين كانوا قد انشقوا إلى حزبين: حزب ينقم على عثمان، وآخر لا يذكر عليا بخير. فمن كان يضع هذا الحديث ؟ !، وفي زمن معاوية وإن كان السب قد انتشر وتنافس الناس على وضع الحديث (١٨) غير أن ذلك كله كان لمحاربة علي وبنيه ورهطه من بني هاشم وشيعتهم، وأن السياسة الاموية كانت قد استندت في حكمها على التفريق بين علي وساير الخلفاء قبله، وجعله قبالهم، واستمرت الحال على ذلك إلى آخر العصر الاموي، إذن فلابد من القول بتأخر وضع هذا الحديث عن هذه العصور إلى عصر ضعف الامويين، ومن قبل قيام الدولة العباسية، لان العباسيين أيضا أخذوا - بعد استيلائهم على الخلافة - في مضايقة بني عمومتهم العلويين، وحاربوهم في كل مجال كالامويين. فلم يبق عصر يناسب وضع هذا الحديث إلا أخريات العصر الاموي، وعند ضعف دولتهم، وانتشار الدعوة لآل البيت، حيث إن الهاشميين يومذاك " علويين وعباسيين " كانت كلمتهم مجتمعة، وكان في نشر اسم ابن أبي طالب في قائمة الخلفاء ونشر فضائله إلى جنب فضائل الخلفاء الثلاثة تأييد لسياسة العباسيين قبال سياسة خصومهم الامويين القائمة على إخراج اسمه من قائمة الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله، ونشر مدح الثلاثة مع نشر ذمه. ونرى أن العباسيين قد ذهبوا إلى أبعد من هذا في مقابلة سياسة خصومهم الامويين بسياسة خاصة بهم يومذاك، وذلك بإخراج اسم عثمان من قائمة الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله. ولعل الحديث الآتي الذي يؤيد ما ذهبنا إليه

---

(١٨) راجع بعده فصل: " مع معاوية ".

---

[٩٤]

قد وضع أيضا في ذلك العصر. في أسد الغابة (١٩) عن جابر بن عبد الله الانصاري (٢٠) قال: كنا مع رسول الله في صوربالمدينة، فقال: " يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ": فجاء أبو بكر، فهنيناه ثم قال: " يطلع عليكم رجل من أهل الجنة " فجاء عمر، فهنيناه، ثم قال: " يطلع عليكم رجل من أهل الجنة "، قال: ورأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصغي رأسه من تحت السعف ويقول: " اللهم إن شئت جعلته عليا "، فجاء علي فهنيناه. وليس إنكارنا لهذا النوع من الاحاديث ناشئا من إنكارنا فضائل الرسول والاطائب من أرومته، والابرار من صحابته جملة واحدة. معاذ الله أن نكون كذلك، فلسنا بمنكري فضائلهم الجمة وإنما ننكر - مثلا - أن يكون الله قد ميز بعض صحابة الرسول الذين أصابتهم الخلافة على من أخطأتهم، فخلق الاولين من نور، وجبل الآخرين من طين، ثم نشك في كل حديث يرد فيه اسم الخلفاء الاربعة مسلسلا حسب مجيئهم إلى الحكم، مضافا إلى قرائن أخرى نشير إلى بعضها في محلها إن شاء الله تعالى. والقسم الثاني من تلكم الاحاديث ما فيها ذكر الخلفاء الثالثة واحدا بعد الآخر حتى عثمان. وهذا ما نرى فيه أنه قد حدث به من بعد استيلاء عثمان على الخلافة لا قبله، وإذا كان في الحديث مضافا إلى ذلك ذكر قتل عثمان، فلابد من القول

---

(١٩) اسد الغابة ٤ ر ٢٩ بترجمة علي. (٢٠) جابر بن عبد الله الانصاري اثنان: احدهما ابن رياب بن النعمان، والآخر ابن عمرو بن حرام، وأمه نسيبة بنت عقيبة بن عدي السلمي، وكلاهما أنصاريان سلميان. أسلم الاول قبل العقبة الاولى وشهد بدرا والمشاهد كلها مع الرسول، والثاني شهد العقبة مع أبيه وكان صغيرا، واختلف في شهوده بدرا، وشهد صفين مع علي، وكان كثير الحديث، وربما يكون هو المقصود في سند الحديث، توفي سنة ٧٤ أؤ ٧٧، وعمره تسعون سنة ودفن بالمدينة.جماعة من النخل لا واحدة لها. نهاية اللغة.

---

[٩٥]

بأنه قد حدث به من بعد قتله وليس قبله. والثالث من تلك الاحاديث ما فيه ذكر الخليفتين واحدا بعد الآخر وهذا ما نرى فيه أنه قد حدث به بعد استيلاء عمر على الخلافة. والرابع منها ما اختص بذكر استخلاف أبي بكر وحده، فمن المحتمل أن يكون التحديث به قبل استخلاف عمر. وعلى هذا فإنا نجوز أن يكون حديث الكتابة لابي بكر إنما حدث به في عصره لخلوه عن ذكر عمر. أما حديث " لو كان رسول الله مستخلفا لاستخلف أبا بكر، ومن بعد أبي بكر عمر، ومن بعد عمر أبا عبيدة " فنظن ظنا قويا أنه قد حدث به في عصر عمر، ومن قبل استخلاف عثمان لما فيه تأييد في رأيه لابي عبيدة حيث كان يقول: لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته (٢١) ".

ذكرنا بعد أحاديث أم المؤمنين مما رأينا نشره يناسب عصر الخليفتين، وكثير من أحاديثها ما لابد من القول بأنها قد نشرت بعد عصرهما. ومنها الحديث الآتي. فقد حدث به بعد وفاة عمر، ومن الجائز أن يكون التحديث به بعد عمر بزمن بعيد: رثاء الجن: في ترجمة عمر من الاستيعاب وأسد الغابة وترجمة الشماخ من الاغاني بسندهم إلى عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة قالت (٢٢): ناحت الجن على عمر قبل أن يقتل بثلاث، فقالت: أ أبعد قتيل بالمدينة أظلمت * له الارض تهتز العضاة بأسوق ب - جزى الله خيرا من إمام وباركت * يد الله في ذاك الاديم الممزق

---

(٢١) راجع ج ١ / ٢٧٨ من الطبعة الخامسة، بيروت، من عبد الله بن سبأ، هذا مضافا إلى موقفه القوي الحازم من بيعة أبي بكر، راجع المصدر السابق، ١١٠ ١٠٤. (٢٢) الاستيعاب ٢ / ٤٢١، والاغاني، ط. بيروت ٩ / ١٥٥، وط. ساسي ٨ / ٩٨. (*)

---

[٩٦]

ج فمن يسع أو يركب جناحي نعامة * ليدرك ما قدمت بالامس يسبق د - قضيت أمورا ثم غادرت بعدها * بوائق في أكمامها لم تفتق ه - فما كنت أخشى أن تكون وفاته * بكفي سبتني أزرق العين مطرقوإنما جوزنا أن يكون عصر نشر هذا الحديث بعد الخليفة عمر بزمان بعيد، لما وجدنا فيه من تعريض بالعصر الذي تفتقت الاكمام فيه عن الشرور والخصومات وهذا يناسب النصف الثاني من عهد الخليفة عثمان إلى ما بعده. وإذا كان التعريض بهذا كناية غير صريحة، فإنه من الواضح الجلي أن ذكر قتل الخليفة عمر بيد جرئ أزرق العين إنما يكون بعد وقوع الحادثة، ومن بعد وفاة عمر لا في حياته. وأما أن تكون الجن قد اطلعت على الغيب وأخبرت به قبل وقوعه بثلاثة أيام أو بأكثر من ذلك، فإنه يخالف ما أخبر الله به في قصة موت سليمان من أن الجن لا تعلم الغيب في قوله تعالى:

" العضاة " جمع (العض) بالكسر صغار أشجار الشوك. " أسوق " جمع (الساق) جذع الشجرة. " الاديم " الجلد. " يركب جناحي نعامة " يضرب به المثل للسير السريع. " أكمامها " جمع (الكم) بالكسر غلاف الزهر والثمر والطلع و (أكمام الزرع) غلفها التي تخرج عنها. " البوائق " جمع بائقة: الشر والخصومة وما شاكلها. " السبتني " النمر الجرئ. " أزرق العين " كانت العرب تلقب به أعداءها من الروم والديلم، والمقصود به هنا أبو لؤلؤة قاتل عمر. " المطرق " الحنق. وتفسير الابيات كما يلي: أ أتنبت صغار الشوك بعد قتيل المدينة الذي أظلمت له الارض. ب جزى الله خيرا من امام وباركت يد الله في ذلك الجلد الممزق بخنجر أبي لؤلؤة. ج يخاطب الخليفة القتيل بقوله: لا يدركك أحد فيما سبقت إليه من أفعال حميدة وان يركب السائر خلفك جناحي نعامة ويسرع السير. د قضيت أمورا من سياسة الرعية وفتح بلاد الاعادي ثم غادرت بعد ذلك الصنيع الخطوب والحوادث الجسام وتركتها جميعا في مكامنها. من الجائز أن يكون في البيتين تعريض بالحوادث الخطيرة في عهد الصهرين. هما كنت أحسب أن يكون قتل الخليفة بكف نمر جرئ حنق من ذوي العيون الزرق.

---

[٩٧]

" فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته فلما اخر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين " (٢٣). فإن الجن التي تلبث في العذاب المهين سنة كاملة ولا تدرك في كل هذه المدة أن سليمان قد مات، حتى تأكل دابة الارض منسأته، ويخر على الارض، كيف تطلع على الغيب، وتخبر بقتل الخليفة عمر بيد أزرق العين من قبل وقوعه بثلاثة أيام أو أكثر. إذن فالتحديث بهذا الحديث قد كان من بعد وفاة عمر، وليس قبله. هذا كله فيما إذا لم نجد هذه الابيات إلا في حديث أم المؤمنين عائشة غير أنا وجدنا أبا الفرج يقول في ترجمة الشماخ من الاغاني (٢٤): وللشماخ أخوان (٢٥) من أبيه وأمه شاعران أحدهما مزرد واسمه يزيد وإنما سمي مزردا لقوله: فقلت تزردها عبيد فإنني * لدرد الموالي في السنن مزردوالآخر جزء بن ضرار وهو الذي يقول يرثي عمر بن الخطاب: عليك سلام من أمير وباركت * يد الله في ذاك الاديم الممزق * * *

---

(٢٣) سورة سبأ: الآية ١٤. (٢٤) الاغاني ٩ / ١٥٧ ١٥٤، ط. دار الثقافة بيروت، وط. ساسي، ٨ / ٩٩ ٩٨، وقال في الاشتقاق ص ٢٨٦ ومن بني جحاش شماخ ومزرد وجزء (بنو ضرار) كانوا شعراء أدركوا الاسلام وجزء هو الذي رثى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بالابيات التي يقول فيها عليك سلام... البيت، وانظر الحماسة ١٠٩٠ بشرح المرزوقي حيث فيه تحقيق عن

نسبة هذه الابيات. (٢٥) هؤلاء اخوة ثلاثة أشقاء من أولاد ضرار بن ثعلبة الغطفاني الذبياني الثعلبي أدركوا الجاهلية والاسلام. أشهرهم الشماخ الذي دون شعره، واستشهد في بعض الغزوات على عهد عثمان. راجع ترجمة الشماخ في الاغاني ٩ / ١٥٤ ط. دار الثقافة بيروت ١٩٥٧ م، والاصابة ٢ / ١٥٢، وترجمة مزرد في أسد الغابة ٤ / ٣٥١، والاصابة.تزرد اللقمة: بلعها، وفي الاصابة: بزرد القوافي.

---

[٩٨]

قال ابن الاثير في أسد الغابة (٢٦): قيل إن هذه الابيات للشماخ بن ضرار أو جماع بن ضرار (٢٧). ويظهر أن انتساب هذه الابيات إلى الشماخ أو أخيه كان مذكورا في ذلك العصر فإن أم المؤمنين قد حدثت أختا أم كلثوم بنت أبي بكر وقالت: إن عمر أذن لازواج النبي صلى الله عليه وآله أن يحججن في آخر حجة حجها عمر، قالت: فلما ارتحل من الحصبة أقبل رجل متلثم على راحلته، فقال قائل وأنا أسمع: هذا كان منزله ! فأناخ في منزل عمر، ثم رفع عقيرته يتغنى: عليك سلام من أمير وباركت.. الابيات. قالت عائشة: فقلت لبعض أهلي: أعلموني من هذا الرجل ؟ ! فذهبوا فلم يجدوا في مناخه أحدا ! قالت عائشة: فوالله إني لاحسبه من الجن !. وجاء في الحديث بعد هذا: فلما قتل عمر نحل الناس هذه الابيات للشماخ بن ضرار أو لاخيه مزرد، إنتهى. قد أخرج هذه الرواية كل من أبي الفرج بترجمة الشماخ من الاغاني (٢٨)، وابن عبد البر بترجمة عمر من الاستيعاب، ولفظ كل منهما مماثل للآخر، وأخرجها ابن سعد أيضا في ترجمة عمر من الطبقات، بسنده إلى أم كلثوم. وفيه بعض الاختلاف مع لفظهما، والمعنى في الجميع واحد، وأخرجها ابن حجر بترجمة الشماخ من الاصابة وقال: روى الفاكهي بأسناد صحيحة عن أم كلثوم.. الحديث.

---

(٢٦) أسد الغابة بترجمة عمر. (٢٧) الصحيح في اسمه جزء، وليس بجماع، ونظنه من غلط النساخ في كتابة الخط الكوفي وقراءته. (٢٨) الاغاني ط. بيروت، ٩ / ١٦٧ ١٥٤، وط. ساسي ٨ / ٩٨، والاستيعاب ٢ / ٤٦٥، والطبقات بترجمة عمر ٣ / ٣٣٣ - ٣٣٤ والاصابة ٢ / ١٥٢.

---

[٩٩]

نجد حديث أم كلثوم هذا الذي صحح أسناده ابن حجر، يريد أن يعالج شهرة انتساب الابيات إلى أبناء ضرار الشعراء، وذلك بالتصريح بأن أم المؤمنين بنفسها قد شاهدت في المحصب بالمشعر في حجها مع عمر في آخر حجة حجها عمر، حيث رجع إلى المدينة في الشهر نفسه فطعن فتوفي. شاهدت أم المؤمنين الراكب الملثم ينشد عن منزل عمر - حيث كان قد ارتحل عنه - فيدله القائل المجهول على منزل عمر، فينيخ الملثم راحلته، ويرفع عقيرته يتغنى بالابيات، فترسل أم المؤمنين أحد أهلها ليعلموها عن الرجل المنيخ أمامها، ولكنه قد غاب عن النظر " فلم يجدوا في مناخه " الذي كان بمرأى من أم المؤمنين " أحدا ". إذن فالرجل قد كان من الجن وإلا فأين ذهب عن النظر. فلذلك حلفت أم المؤمنين وقالت: " فوالله إني لاحسبه من الجن ". وبعد هذه المشاهدة المحسوسة بالبصر واليمين عليها، هل يشك أحد في أن الجن هي التي أنشدت هذه الابيات للاخبار بموت عمر. وبعد هذا فليدع من شاء أن يدعى أن هذه الابيات من نظم الشاعر ابن ضرار. وأنه كان قد نظمها من بعد موت عمر، فليس ذلك بمقبول منه بعد أن لهجت الجن بها من قبل موت عمر بنيف وعشرة أيام في المحصب وقبل ثلاث في المدينة. والذي يوقفنا من هذا الحديث موقف الشك مضافا إلى ما سبق ذكره - هو أن رؤية الجن وسماعها إن كان منحصرا بأزواج الرسول، فلذلك لم تشاهدها الآلاف من الحجاج في الموقف بالمحصب ولم تسمعها، فإن أم المؤمنين عائشة أيضا لم تكن وحدها قد حجت في تلك الحجة من أزواج الرسول صلى الله عليه وآله بل كانت ترتحل وتنزل في كل منزل سوية مع غيرها من أمهات المؤمنين ممن حججن معها، فلم انحصر الحديث عنها في قصة رثاء الجن ! ؟ وهناك حديث آخر عن أم المؤمنين لعلاج الشك في صحة نسبة الابيات

---

[١٠٠]

إلى الجن مقابل اشتهار نسبتها إلى الشاعر من بني آدم: والحديث أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢٩) عن موسى بن عقبة، قال: قالت عائشة: من صاحب هذه الابيات: " جزى الله خيرا من إمام وباركت " ؟ فقالوا: مزرد بن ضرار. قالت: فلقيت مزردا بعد ذلك،

فحلف بالله ما شهد ذلك الموسم ! ! وسواء صح سند الحديث إلى أم المؤمنين كالحديثين السابقين أم كان في سنده ضعف كما وصفه ابن حجر بترجمة مزرد من الاصابة (٣٠)، فإنه يعلمنا بوجود القالة حول نسبة الحديث إلى الشاعر الجني أو الآدمي، وإنه لعلاج هذه القالة حدث بهذا الحديث لتقوية الحديثين ذوي السند الصحيح إلى أم المؤمنين. تبادل الحب والاحترام: كانت أم المؤمنين عائشة مدى هذا العهد موضوع رعاية الخلافة القائمة وتكريمها، وكانت هي بدورها تحترم مقام الخلافة وتعتز به وتهابه، ولم يفتر هذا الحب والاحترام المتبادلين حتى آخر لحظة من هذا العهد، وقد انجلى في آخر لحظاته في قول كل من الطرفين، وعمله في ما يكنه للآخر من صادق الحب وعظيم الاحترام. وذلك فيما أخرجه البخاري في قصة البيعة والاتفاق على عثمان من كتاب فضائل أصحاب النبي (٣١)، وابن سعد بترجمة عمر من طبقاته عن عمرو بن ميمون في حديث طويل له قال: قال عمر.. يا عبد الله بن عمر.. انطلق

---

(٢٩) طبقات ابن سعد ٣ / ٣٣٤، ط بيروت بترجمة عمر. (٣٠) الاصابة ٣ / ٣٨٥ - ٣٨٦. (٣١) البخاري ٤ / ٧٠ ٦٩ ط بومباي سنة ١٢٧٠، والطبقات ٣ / ٣٣٧. (*)

---

[١٠١]

إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام... وقل: يستأذن عمر ابن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم فاستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي عليه فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي ولاوثرن به على نفسي. فلما أقبل.. قال: ماليك ؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت. قال: الحمد لله ! ما كان شئ أحب إلي منه. وفيما رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد (٣٢) ان عمر قال في حديث لاهل الشورى: " فاجتمعوا إلى حجرة عائشة بإذنها فتشاوروا، واختاروا منكم رجلا ". فلما دفن عمر جمع المقداد بن الاسود (٣٣) أهل الشورى في بيت عائشة بإذنها وجاء عمرو بن العاص (٣٤)، والمغيرة بن شعبة (٣٥) فجلسا بالباب،

---

(٣٢) العقد الفريد ٤ / ٢٧٧ ٢٧٥. والطبري ٣ / ٣٤. (٣٣) المقداد بن الاسود الكندي، هو ابن عمر بن ثعلبة بن مالك البهراني، أصاب في الجاهلية دما في قومه فلحق بحضرموت، فحالف كندة، ثم وقع بينه وبين أبي شمر بن الحجر الكندي شر فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فحالف الاسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه الاسود، فصار يقال له: المقداد بن الاسود الكندي، فلما نزلت: " أدعوهم لآبائهم " قيل له: المقداد بن عمرو. توفي سنة ٢٣ هـ. الاستيعاب ٣ / ٤٥٣ والاصابة ٣ / ٤٣٣ ٤٣٤. (٣٤) أبو عبد الله أو أبو محمد عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي وأمه النابغة بنت حرملة، سبيت من بني جيلان بن عتيك، وبيعت بعكاظ واشتراها الفاكه بن المغيرة ثم انتقلت إلى عبد الله بن جدعان ومنه إلى العاص بن وائل، فولدت له عمرا. أرسلته قريش إلى النجاشي ليغير رأيه على جعفر بن أبي طالب ومن معه من المهاجرين إلى الحبشة ويسترجعهم إلى مكة فرده النجاشي. أسلم سنة ثمان وقبل الفتح بستة أشهر. وافتتح مصر لعمر، ووليها إلى السنة الرابعة من خلافة عثمان، فعزله عنها، فأخذ يؤلب عليه حتى قتل، ثم اشترك مع معاوية بصفين مطالبا

---

[١٠٢]

فحصبهما سعد (٣٦) وأقامهما، وقال: " أتريدان ان تقولا: حضرنا وكنا في أهل الشورى ؟ ! ". إن محطم كسرى وقيصر، وفاتح ممالكهما، وضارب ظهر الصحابة بالدرة (*)، ومن كانت الجبابرة ترتعد من ذكر اسمه، يتصاغر أمام أم المؤمنين هذا التصاغر، وينيط أمر مثواه الابدي إلى كلمتها الاخيرة، ويجعل من بيتها دارا للشورى، فيه ينقض ويبرم أمر تعيين الخليفة من بعده، وناهيك بذلك شرفا تتطاول إليه الاعناق. بهذا وبغيره مما ميزها به طوال عهده على من عداها من جميع المسلمين قد بلغها من الحرمة إلى مكانة أصبح الجميع دونها، وكون منها قوة عظيمة بها استطاعت أن تعارض من جاء بعده، فزعزعت من كيان الخليفتين

بثار عثمان وأشار برفع المصاحف للصلح فانخدع جيش علي وقبلوا الصلح وعينوا أبا موسى من قبلهم وعين معاوية عمرا فغدر بأبي موسى وخلعا عليا ونصب عمرو معاوية وأخذ مصر طعمة من معاوية ووليها بعد قتل محمد بن أبي بكر حتى توفي سنة ثلاث وأربعين أو بعدها ودفن هناك، راجع ترجمته في الاستيعاب، والطبقات وأسد الغابة، والاصابة. (٣٥) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود

الثقفي. وأمه امرأة من بني نصر بن معاوية. أسلم عام الخندق، وهاجر إلى المدينة، وشهد الحديبية، وأرسله الرسول مع أبي سفيان لهدم صنم ثقيف بالطائف، وأصيبت عينه يوم اليرموك. ولاه عمر البصرة وعزله عنها لما شهدوا عليه بالزنا، ثم ولاه الكوفة، وتوفي أميرا عليها من قبل معاوية سنة ٥٠ هـ بعد ان أحصن ٣٠٠ امرأة في الاسلام وقيل بل ألف امرأة. ترجمته في الاصابة ٣ / ٤٣٢، والاستيعاب بهامش الاصابة ٣ / ٣٦٨ وأسد الغابة ٤ / ٤٠٦. (٣٦) أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب القرشي الزهري. كان سابع سبعة سبقوا إلى الاسلام، شهد بدرا وما بعدها. وهو أول من رمى بسهم في الاسلام، وكان رأس من فتح العراق، وكوف الكوفة، ووليها لعمر، وعينه في الستة أصحاب الشورى، اعتزل الناس بعد مقتل عثمان، ومات بمسكنه في العقيق في خلافة معاوية، ودفن بالبقيع. الاستيعاب بهامش الاصابة ٢ / ٢٥ ١٨، والاصابة ٢ / ٣٢ ٣٠.الدرة بالكسر: السوط.

---

[١٠٣]

الصهرين، وحدت بالمسلمين إلى إراقة دمهما إلى غير هذا مما سندرسه في عهد الصهرين وما بعده إن شاء الله تعالى. نتيجة البحث إن أم المؤمنين عائشة، في هذا العهد بدأ اسمها يبرز على أخواتها من أمهات المؤمنين (٣٧)، وذلك بإرجاء السلطة إليها في الفتيا، وتفضيلها في العطاء. وإن السلطة وإن مهدت لها السبيل في بلوغها ما كانت خليقة بها من مكانة مرموقة في المجتمع الاسلامي حتى اليوم، غير أنها حجرت عليها وعلى سائر أزواج النبي في دورهن بالمدينة، فلم تك تتصل إلا بمن كان حولها ممن صحب النبي وعاشره. فلم يكن هناك مبرر للاكثار من الحديث عن عصر الرسول لمن شاركها في مشاهدة ذلك العصر. إذن فنحن نرى أن حديثها في عصر الخليفتين كان كحديث غيرها نزرا يسيرا. ومن المظنون ان احاديثها في ذلك العهد لم تبلغ العشرات. ومن الجائز أن يكون من ذلك النزر اليسير أحاديثها اللاتي فيها تأييد للخلافة القائمة يومذاك، والخالية عن ذكر عثمان فانها كانت من أشد المؤيدين لها مدى عمرها. على ان تحديثها في فضائل الخليفتين لم يقتصر على هذا العصر وانما

---

(٣٧) ويؤيد ما ذهبنا إليه من أن اسمها في هذا العهد قد برز على سائر أزواج النبي مضافا إلى أن صغر سنها في عهد الرسول ما كان يناسب بروزها عليهن في عهده، ما جاء حديثها لام سلمة عندما أرادت الخروج من مكة إلى البصرة، على ما رواه المؤرخون حيث قالوا: جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها: يا بنت أبي أمية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت كبير أمهات المؤمنين، وكان رسول الله يقسم لنا من بيتك (وفي تاريخ ابن أعثم: وكان رسول الله يشير إلى بيتك عندما يؤتى بالهدايا ومن بيتك يبعث الينا بسهامنا). وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك. فقالت أم سلمة: لامر ما قلت هذه المقالة !... الحديث. راجع تاريخ ابن أعثم ص ١٦٨، وابن أبي الحديد ٢ / ٧٧ و ٥٠٦، بسنده عن أبي مخنف.

---

[١٠٤]

كان اكثره فيما بعده. وكان في خاتمة هذا العهد من تكريمها من قبل الخليفة الذي هابته الصحابة، وخضعت له الملوك، وانقادت له البلاد، باستئذانه منها في اتخاذه بيت الرسول مثواه الاخير وجعل بيتها دارا للشورى، بهذا وما سبق في عهده من تفصيلها على غيرها في العطاء والارجاع إليها في الاستفتاء، جعلها الشخصية المطاعة الاولى بعده فاستطاعت ان تعارض من جاء بعده وتحرض على قتله مما سندرسه في عصر الصهرين وما بعده ان شاء الله تعالى.

---

[١٠٥]

في عصر الصهرين الصهران هما: أ أبو عبد الله، وأبو عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبدشمس، وأم أروى البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبي. كان من السابقين إلى الاسلام، وتزوج بعد اسلامه من رقية بنت رسول الله، وهاجرا إلى الحبشة الهجرتين، ثم عاد إلى مكة، وهاجرا إلى المدينة. وتخلف عن بدر في تمريض زوجته، فلما توفيت تزوج من أختها أم كلثوم. فتوفيت أيضا في حياة الرسول ولم يعقب منهما. ولما طعن عمر جعله في الستة أهل الشورى، وجعل الترشيح إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أنا أبرأ منهما على أن تبايعوا من أبايع، ولما جعلوا الامر إليه اشترط فيها: العمل على كتاب الله، وسنة رسوله، وسيرة الشيخين، فأبى علي قبول شرط سيرة الشيخين، فبايع عثمان على ذلك يوم السبت غرة محرم سنة ٢٤ ومن

بعد دفن عمر بثلاث. وقتل في المدينة يوم الجمعة لثمان، أو لثماني عشرة، أو سبع عشرة خلت من ذي الحجة، أو لليلتين بقيتا منه، في سنة ٣٦ ه وعمره ٨٢ أو ٨٦ أؤ ٩٢ سنة، ودفن في حش كوكب بالقرب من البقيع. كانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما، أو خمسة عشر يوما. ب - أبو الحسن، وابو الحسين علي بن أبي الطالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي.

[١٠٦]

رباه النبي في حجره، أسلم بعد خديجة، وعمره خمس عشرة سنة، فكان أول من أسلم من الرجال. بات ليلة الهجرة على فراش النبي، مفديا اياه بنفسه، ثم هاجر إلى المدينة من بعد ثلاث وبعد أن أدى إلى قريش أماناتهم عند الرسول. آخى الرسول بينه وبين نفسه. حضر بدرا وما بعدها وأبلى فيها بلاء حسنا. وبويع له في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من بعد قتل عثمان، وسكن الكوفة بعد حرب الجمل. قتله ابن ملجم المرادي في شهر رمضان سنة ٤٠ وعمره سبع وخمسون أو ثمان وخمسون أو ثلاث وستون وكانت مدة خلافته أربع سنوات وتسع اشهر وستة أيام أو ثلاثة، ودفن بالغري من النجف (١).

(١) راجع ترجمتهما في الطبقات، والاستيعاب، وأسد الغابة، والاصابة، وكنز العمال باب الخلافة والامارة وباب فضائلهما، والطبري وابن الاثير وابن كثير في ذكرهم حوادث سنة ٢٤ و ٣٥ و ٤٠ ه.

[١٠٧]

في عصر الصهرين بدأت أم المؤمنين عائشة عصر الصهرين بتأييدها لعثمان في أول عهده - وحديثها فيه ثم اختلافها معه بعد ذلك وتأليبها عليه - وإخراجها نعل الرسول وثوبه وشعره وقولها: اقتلوا نعثلا - وخروجها للحج رغم التماس عثمان على أن تبقى وتحريضها ابن عباس وأملها في استخلاف طلحة - استيلاء طلحة على بيوت المال واستنجاد الخليفة بعلي في حصاره وطلب الماء منه - قتله وتجمهر الصحابة على علي وما بدرة طلحة والزبير إلى البيعة - سرور أم المؤمنين لقتل عثمان وحزنها لبيعة علي - طلبها ثار عثمان وتأليبها على علي - تضايق الناس من عدل علي - اجتماع الامويين وولاة عثمان والناقمين من علي على أم المؤمنين - نصيحة أم سلمة - التوجه إلى البصرة والحوأب - المنافسة على الصلاة والامارة - احتجاجات وخطب ورسائل - مقاتلة عامل علي ومعاهدته ثم نقضها والمباغتة بالقتال - توجه علي إلى البصرة وحرب الجمل - انتصار علي وأمره ان لا يقتلوا جريحاولا مدبرا وألا يغنموا من خارج المعسكر - إرجاع أم المؤمنين إلى المدينة - الغاية من استعراض هذه الحوادث اعتماد المؤرخين على أسطورة السبئية وبيان واضعها. تراءى لام المؤمنين عائشة عهد الخليفة عثمان امتدادا لعهد الخليفتين، فاستقبلته كغيرها من سادة قريش بالتأييد، واستمرت الحال على ذلك زهاء ست سنوات. ومن المحرج أن الاحاديث المروية عنها في مدح عثمان والخالية عن ذكر قتله كان التحديث بها في هذه الفترة، ومن الجائز ان يكون من تلك الاحاديث ما في مسند أحمد (٢) عن عائشة قالت: استأذن ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا معه في مرطواحد قالت:

(٢) ٦ / ١٦٧، ومنتخب الكنز ٥ / ٢ عن يحيى بن سعيد بن العاص.المرط ثوب مخيط. كساء من صوف أو خز.

[١٠٨]

فأذن له فقضى إليه حاجته وهو معي في المرط ثم خرج، ثم استأذن عليه عمر، فأذن له، فقضى إليه حاجته على تلك الحال، ثم خرج فاستأذن عليه عثمان فأصلح عليه ثيابه وجلس، فقض إليه حاجته ثم خرج. قالت عائشة: فقلت له: يا رسول الله استأذن عليك أبو بكر فقضى إليك حاجته على حالك تلك، ثم استأذن عليك عمر فقضى إليك حاجته على حالك، ثم استأذن عليك عثمان فكأنك احتفظت ؟ ! فقال: " إن عثمان رجل حيي، ولو أذنت له على تلك الحال خشيت أن لا يقضي إلي حاجته ! ". وفي رواية مسلم (٣): " وهو مضطجع على فراش لامس مرط عائشة... إلى.. وقال لعائشة: إجمعي عليك ثيابك.. فقالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لابي بكر وعمر كما فزعت لعثمان ؟.. " الحديث. وفي حديثها لعبيدالله بن سيار: فلما قاموا قالت: يا رسول الله استأذن عليك ابو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك ؟ ! فقال: يا عائشة: ألا أستحي من رجل والله إن الملائكة تستحي منه (٤) ؟ ! وإنما رجحنا أن يكون التحديث بهذا في عصر عثمان لما فيه من ذكرهم مسلسلا حسب مجيئهم إلى الحكم

مما ينبغي أن يكون بعد تدرج الخليفتين وتسنم عثمان وقبل انحرافها عنه وقبل قتله وقيامها بطلب ثأره، والا لورد ذكر قتله في الحديث أيضا مثل ما ورد ذلك في أحاديث أخرى لها فيه. ومما يؤخذ على هذا الحديث - مضافا إلى ما ذكرنا - أنه يصرح بإذن الرسول

---

(٣) مسلم ٧ / ١١٧ باب فضائل عثمان، ومسند أحمد ٦ / ١٥٥. (٤) صحيح مسلم ٧ / ١١٦، ومسند أحمد ٦ / ٦٢، وكنز العمال ٦ / ٣٧٦ الحديث ٥٨٤٥، وراجع الكنز ٦ / ١٤٨ الحديث ٢٤١٣ و ٢٤١٧ وص ٣٨٢ الحديث ٥٩٠٤، ومنتخب الكنز ٥ / ٢ و ١٧، وتاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان، وأنساب الاشراف للبلاذري.

---

[١٠٩]

لابي بكر وعمر وهو مع عائشة في مرطها، وأنه لم يستح منهما ولم يفزع من مجيئهما، ولكنه فزع لعثمان " وأرخى عليه ثيابه "، وقال لها: " اجمعي عليك ثيابك " ! فما هذا التبذل من النبي العظيم أمامهما ؟ ! ولم " تستحي الملائكة والله من عثمان ؟ ! ". في هذه الفترة - النصف الاول من عهد الخليفة عثمان - كانت أم المؤمنين عائشة، تؤيده وتطيعه، ولا تفكر في خلافة، حتى إذا رغبت في الحج هي وسائر ازواج النبي إستأذنته في ذلك، كما حدثت هي وقالت: " فلما توفي عمرو ولي عثمان اجتمعت انا وأم سلمة وميمونة وأم حبيبة فأرسلنا إليه نستأذنه في الحج فقال: قد كان عمر بن الخطاب فعل ما رأيتن وأنا أحج بكن كما فعل عمر، فمن اراد منكن أن تحج فأنا أحج بها، فحج بنا عثمان جميعا إلا امرأتين منا: زينب توفيت في خلافة عمر ولم يحج بها عمر، وسودة بنت زمعة، لم تخرج من بيتها بعد النبي وكنا نستر (٥) ". حج بأمهات المؤمنين عثمان وأرسل معهن عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد. اختلافهما مع عثمان: ثم اختلفت مع الخليفة عثمان، وأدى اختلافها معه إلى قطع الالفين الزائدة في عطائها عنها على ما ذكره اليعقوبي وابن أعثم في تاريخيهما (٦) قال اليعقوبي: " وكان بين عثمان وعائشة منافرة، وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب وصيرها أسوة بغيرها من نساء رسول الله ". ولا نعلم على وجه التحقيق متى نشب الخلاف بين أم المؤمنين والخليفة غير أننا نعلم أن ذلك لم يكن في السنوات الست الاولى من خلافته، ولم يقع

---

(٥) طبقات ابن سعد ٨ / ٢٠٩. (٦) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٢، وتاريخ ابن أعثم ١٥٥.

---

[١١٠]

مرة واحدة، بل تدرج الخلاف بينهما حتى تفاقم الخطب، وكانت أول من امال حرفه (٧) وأصبحت ملجأ الساخطين عليه، وتزعمت الفئة المعارضة له حتى قتل، ولم يكن في الاسر الاسلامية يومذاك اشد على عثمان من نبي تيم اسرة أبي بكر (٨)، وفيما يلي نذكر في أمر الوليد بعض الحوادث التي اشتد الخصام فيها بينهما: ما كان في أمر الوليد بن عقبة وعبد الله بن مسعود. أما الوليد هو ابن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو، واسمه ذكوان. كان أبو عمرو عبدا لامية ابن عبد شمس ثم تبناه أمية، وأم الوليد أروى بنت كريز بن ربيعة وكانت أم عثمان بن عفان. فالوليد أخو عثمان لامه. وكان أبوه عقبة بن أبي معيط جارا لرسول الله بمكة، وكان يكثر مجالسة رسول الله واتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله صلى الله عليه وآله فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق الشهادتين ففعل، فقالت قريش: صبا عقبة، وكان له خليل (٩) غائب عنه بالشام فقدم ليلا فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه ؟ فقالت: أشد ما كان أمرا ! فقال: ما فعل خليلي عقبة ؟ فقالت: صبا، فبات بليلة سوء. فلما أصبح أتاه عقبة فحياه فلم يرد عليه التحية. فقال: مالك لا ترد علي تحيتي ؟ ! فقال: كيف ارد عليك تحيتك وقد صبوت ؟ (٧) اشارة إلى كلام ابن ام كلاب لها في طريق مكة، راجع الطبري ٥ / ١٧٢ في ذكره حوادث سنة ٣٦. (٨) راجع أنسا بالاشراف ٥ / ٦٨. (٩) في بعض الروايات ان ابن أبي بن خلف كان خليل عقبة وفي غيرها كان أمية بن خلف خليله.

---

[١١١]

قال: اوقد فعلتها قريش ؟ قال: نعم. قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلته ؟ قال: تأتيه في مجلسه فتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلم من الشتم، ففعل فلم يزد رسول الله صلى الله عليه وآله على أن مسح وجهه من البزاق ثم التفت إليه فقال: " إن وجدتك خارجا

من جبال مكة أضرب عنك صبرا ". وفي رواية عاتبه صديقه على ذلك وقال له: صبأت يا عقبة ؟ قال: لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي. فقال: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم علينه. فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف. ثم أصبح عقبة بعد ذاك من ألد أعداء النبي حتى أن كان يأتي بالفروث فيطرحها على باب دار رسول الله (١٠). ولما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: أخرج معنا. قال: وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبرا. فقالوا: لك جمل احمر لا يدركك فلو كانت هزيمة طرت عليه فخرج معهم فلما هزم الله المشركين حمل به جمله في جدود من الارض فأخذه رسول

(١٠) أنساب الاشراف ١ / ١٣٨ ١٣٧ و ١٤٨ ١٤٧، ط. دار المعارف.

[١١٢]

الله صلى الله عليه وآله أسيرا في سبعين من قريش وقدم إليه عقبة فقال: أتقتلني من بين هؤلاء ؟ قال: نعم بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله. فأمر عليا فضرب عنقه فأنزل الله فيه: (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا). الآيات ٣٢ ٣٠ من سورة الفرقان (١١). وابنه الوليد أسلم يوم فتح مكة وبعثه النبي مصدقا إلى بني المصطلق، فعاد وأخبر عنهم أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة، وذلك أنهم خرجوا يتلقونه فهابهم فانصرف عنهم فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد، وأمره أن يتثبت فيهم ولا يعجل، فأخبروه أنهم متمسكون بالاسلام ونزلت فيه: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الآية ٦ من سورة الحجرات. وفي عهد عثمان ولاه الكوفة وعزل عنها سعد بن أبي وقاص وكان سعد هو الذي كوف الكوفة بأمر عمر وأسكنها جيوش المسلمين وكان سعد قائدهم في فتح إيران فكانوا يحبونه ويحترمونه. فلما قدم الوليد على سعد قال له: والله ما أدري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك ؟ ! فقال: لا تجزعن أبا إسحاق فانما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون. فقال سعد: أراكم ستجعلونها ملكا (١٢). فساء الناس ذلك وقالوا: بئسما ابتدلنا عثمان. عزل أبا أبا إسحاق الهين

(١١) راجع ابن هشام ١ / ٣٨٥ و ٢ / ٢٥، وامتاع الاسماع ص ٦١ و ٩٠ وتفسير الآيات من تفسير الطبري والقرطبي والزمخشري وابن كثير والدر المنثور والنيسابوري والرازي، وغيرها. (١٢) راجع ترجمة الوليد من الطبقات والاستيعاب وأسد الغابة والاصابة وكنز العمال وتفسير الآية السادسة من الحجرات في جميع التفاسير.

[١١٣]

اللين الحبرصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وولى أخاه الفاسق الفاجر الاحمق الماجن (١٣). وكان سبب تأمير الوليد على الكوفة ما أخرج أبو الفرج في الاغاني (١٤) بسنده إلى خالد بن سعيد بن عمرو بن سيعد عن أبيه قال: لم يكن يجلس مع عثمان (رض) على سريره إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاص والوليد بن عقبة، فأقبل الوليد يوما فجلس، ثم أقبل الحكم، فلما رآه زحلله عن مجلسه، فلما اقام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تلجلج في صدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن امك فقال له عثمان (رض): إنه شيخ قريش، فما هما البيتان اللذان قلتهما ؟ ! قال قلت: رأيت لعم المرء زلفى قرابة * دوين أخيه حادثا لم يكن قدما فأملت عمرا أن يشب وخالدا * لكي يدعواني يوم مزحمة عما يعني عمرا وخالدا ابني عثمان. قال: فرق له عثمان، وقال له: قد وليتك العراق (يعني الكوفة). وفي الاستيعاب: لما قدم الوليد بن عقبة اميرا على الكوفة اتاه ابن مسعود فقال: " ما جاء بك ؟ " قال: " جئت اميرا " فقال ابن مسعود: " ما ادري اصلحت بعدنا أم فسد الناس ؟ ! " (١٥) هذا هو الوليد. أما ابن مسعود فهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي وأمه أم عبد ود الهذلي. وكان أبوه حليف بني زهرة. أسلم قديما وأجهر

الحبر بفتح الحاء وكسرها: العالم الصالح. (١٣) أنساب الاشراف ٥ / ٢٩ و ٣١. وراجع ترجمة الوليد من الاستيعاب ج ٢ / ٦٠٤. (١٤) الاغاني ٤ / ١٧٧.زحل: تنحى وتباعد. (١٥) ترجمة الوليد من الاستيعاب ٢ / ٦٠٤.

---

[١١٤]

بالقرآن في مكة ولم يكن قد أجهر به أحد من المسلمين قبله فضربته قريش حتى أدموه ولما أسلم أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله إليه وكان يخدمه، وقال له " آذنك على أن ترفع الحجاب وأن تسمع سواديحتى أنهاك " فكان يلج عليه ويلبسه نعليه ويمشي معه وأمامه ويستره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام، وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك. هاجر الهجرتين جميعا إلى الحبشة وإلى المدينة، وشهد بدرا وما بعدها. وقالوا فيه: كان أشبه الناس هديا ودلا وسمتا برسول الله (١٦). سيره عمر في عهده إلى الكوفة، وكتب إلى أهل الكوفة: إني قد بعثت عمار بن ياسر أميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل بدر فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي (١٧). فكان ابن مسعود يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين وكان على بيت المال لما قدم الوليد الكوفة فاستقرضه مالا. وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثم ترد ما تأخذ فأقرضه عبد الله ما سأله، ثم إنه اقتضاه إياه فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود: " إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال " فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: " كنت أظن أني خازن للمسلمين فأما إذا كنت خازنا لكم فلا حاجة لي في ذلك " وأقام بعد إلقائه المفاتيح في الكوفة (١٨).

ساودة سوادا: أي ساوره مساورة ولذلك كان يقال له: صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله. (١٦) راجع مسند أحمد ٥ / ٣٨٩ ومناقبه في البخاري والمستدرك ٣ / ٣١٥ و ٣٢٠ وحلية أبي نعيم ١ / ١٢٦ و ١٢٧. (١٧) راجع ترجمته في أسد الغابة ٣ / ٢٥٨. (١٨) أنساب الاشراف للبلاذري ٥ / ٣٦.

---

[١١٥]

وفي العقد الفريد (١٩) أن ابن مسعود خرج إلى المسجد وقال: " يا أهل الكوفة ! فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة " فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك فنزعه من بيت المال. وروى البلاذري (٢٠) ان عبد الله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال: " من غير غير الله ما به، ومن بدل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلا وقد غير وبدل، أيعزل مثل سعد بن أبي وقاص ويولي الوليد ! ؟ "، وكان يتكلم بكلام لا يدعه وهو: " إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله، وشر الامور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ". فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال: إنه يعيبك ويطعن عليك، فكتب إليه عثمان يأمره باشخاصه. فاجتمع الناس فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شئ تكرهه، فقال: " إن له علي حق الطاعة ولا أحب أن أكون أول من فتح باب الفتن " وفي الاستيعاب: (إنها ستكون أمور وفتن لا أحب أن أكون أول من فتحها). فرد الناس وخرج إليه (٢١). وشيعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن (٢٢). فقالوا له: جزيت خيرا فلقد علمت جاهلنا، وثبت عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، فنعم أخو الاسلام أنت ونعم الخليل، ثم ودعوه وانصرفوا. وقد ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فلما رآه قال:

---

(١٩) العقد الفريد ٢ / ٢٧٢. (٢٠) البلاذري في الانساب ٥ / ٣٦. (٢١) الاستيعاب، ترجمة ابن مسعود. (٢٢) رجعنا إلى رواية البلاذري.

---

[١١٦]

ألا إنه قد قدمت عليكم دويبة سوء من يمشي على طعامه يقئ ويسلح. فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكني صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ويوم بيعة الرضوان (٢٣). ونادت عائشة: " أي عثمان: أتقول هذا لصاحب رسول الله ! ؟ ". وفي رواية بعده: " فقال عثمان أسكتي ". ثم أمر عثما به فأخرج من المسجد إخراجا عنيفا، وضرب به عبد الله بن زمعة الارض، ويقال: بل احتمله

" يحموم " غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الارض فدق ضلعه. فقال علي: يا عثمان ! أتفعل هذا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله بقول الوليد ابن عقبة ؟ ! فقال: ما بقول الوليد فعلت هذا ولكن وجهت زبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة، فقال له ابن مسعود: إن دم عثمان حلال. فقال علي: أحلت على زبيد على غير ثقة. وقام علي بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي، وأراد - حين برئ - الغزو فمنعه من ذلك. وقال له مروان: إن ابن مسعود أفسد عليك العراق، أفتريد ان يفسد عليك الشام ؟. فلم يبرح المدينة حتى قبل مقتل عثمان بسنتين، وكان مقيما بالمدينة ثلاث سنين. ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائدا، فقال: ما تشتكي ؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي ؟

---

(٢٣) في كلامه هذا تعريض بعثمان حيث غاب عن بدر وبيعة الرضوان.

---

[١١٧]

قال: رحمة ربي. قال: ألا أدعو لك طبيبا ؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا آمر لك بعطائك ؟ وكان قد تركه سنتين (٢٤). قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستغن عنه ! قال: يكون لولدك. قال: رزقهم على الله. قال: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن قال: اسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي. وأوصى أن يصلي عليه عمار بن ياسر، وأن لا يصلي عليه عثمان فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم (٢٥) فلما علم غضب. وقال: سبقتموني به. فقال عمار ابن ياسر: إنه أوصى أن لا تصلي عليه. فقال ابن الزبير: لاعرفنك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادي (٢٦) هذا بعض ما كان من أمر ابن مسعود. اما الوليد بن عقبة فلم تنحصر أحداثه في الكوفة بما جرى بينه وبين ابن مسعود وحسب، وإنما توالت منه صدور أحداث مثيرة أخرى في مدة إمارته على الكوفة: منها قصته مع الشاعر النصراني أبي زبيد على ما أخرجه أبو الفرج في

---

(٢٤) تاريخ ابن كثير ٧ / ١٦٣ وراجع اليعقوبي ٢ / ١٧٠. (٢٥) توفي سنة ٣٢ ودفنه الزبير ليلا ولم يؤذن به عثمان وكان عمره بضعا وستين سنة. (٢٦) لقد رجعنا فيما أوردنا من قصة ابن مسعود إلى البلاذري في أنساب الاشراف ٥ / ٣٦، وفي بعضه إلى ترجمته في طبقات ابن سعد ٣ / ١٦١ ١٥٠ طبعة دار صادر بيروت، والاستيعاب ١ / ٣٦١، واسد الغابة ٣ / ٣٨٤ رقم الترجمة ٣١٧٧، وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٠، وراجع تاريخ الخميس ٢ / ٢٦٨، وابن أبي الحديد طبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧.

---

[١١٨]

الاغاني (٢٧) بسنده إلى ابن الاعرابي قال: إن ابا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة، فأنزله الوليد دارا لعقيل بن أبي طالب على باب المسجد، فاستوهبها منه فوهبها له، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة، لان أبا زيد كان يخرج من منزله حتى يشق الجامع إلى الوليد، فيسمر عنده ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهو سكران، فذلك نبههم عليه. وأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى، فقال ابو زبيد فيه شعرا يمدحه فيه (٢٨). وقال البلاذري (٢٩): وأجرى عليه وظيفة من خمر وخنازير تقام له في كل شهر، فقيل له قد عظم إنكا الناس لما تجري على أبي زبيد، فقوم ما كان وظف له دراهم وضمها إلى رزق كان يجري عليه وكان يدخله المسجد وهو نصراني. ومنها قصته مع الساحر على ما حكاه المسعودي في مروج الذهب (٣٠) قال: ومن ذلك فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة وذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل، يقال له: زرارة يعمل أنواعا من الشعبذة والسحر، يعرف بنطروي، فأحضره، فأراه في المسجد ضربا من التخاييل، وهو أن أظهر له في الليل فيلا عظيما على فرس في صحن المسجد، ثم صار اليهودي ناقة يمشي على جبل، ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره، ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه، ثم أمر السيف عليه فقام الرجل، وكان جماعة من أهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الازدي، فجعل يستعيذ بالله من فعل

---

(٢٧) الاغاني ٤ / ١٨٠، ط. ساسي. (٢٨) الاغاني ٤ / ١٨١، ط. ساسي. (٢٩) في الانساب ٥ / ٢٩ و ٣١. (٣٠)

المسعودي في مروجه ١ / ٤٣٧.

---

[١١٩]

الشيطان، ومن عمل يبعد من الرحمن، وعلم أن ذلك هو ضرب من التخييل والسحر، فاخترط سيفه، وضرب به اليهودي ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه، وقال: " جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ". وقد قيل: إن ذلك كان نهارا، وان جندبا خرج إلى السوق، ودنا من بعض الصياقلة (*)، وأخذ سيفا، ودخل فضرب به عنق اليهودي، وقال: إن كنت صادقا فأحي نفسك، فأنكر عليه الوليد ذلك، وأراد ان يقيده بهفمنعه الازد، فحبسه وأراد قتله غيلة، ونظر السجان إلى قيام ليله إلى الصبح، فقال له: أنج بنفسك، فقال له جندب: تقتل بي، قال: ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من أولياء الله. فلما أصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله، فلم يجده، فسأل السجان، فأخبره بهربه، فضرب عنق السبحان وصلبه بالكناس. وفي الاغاني (٣١): إن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يريه كتيبتين تقتتلان، فتحمل إحداهما على الاخرى فتهزمها، فقال له الساحر: أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتهزمها ؟ قال: نعم وأخبر جندب بذلك، فاشتمل على السيف ثم جاء فقال: أفرجوا، فضربه حتى قتله، ففزع الناس وخرجوا، فقال: يا أيها الناس لا عليكم، إنما قتلت هذا الساحر لئلا يفتنكم في دينكم،... الحديث. وفي رواية أخرى بعده: أن رجلا من الانصار نظر إلى رجل يستعلن بالسحر، فقال: أو إن السحر ليلعن به في دين محمد ! فقتله، فأتى به الوليد بن عقبة فحبسه، فقال دينار بن دينار: فيم حبست ؟ فأخبره فخلى سبيله، فأرسل إلى دينار فقتله.

الصياقلة: مفرده الصقيل شخاذ السيوف.أن يقيده به: أي يقتله به. (٣١) الاغاني ٤ / ١٨٣ ط. سياسي.

---

[١٢٠]

وفي رواية أخرى (٢٣) أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه، فرآه جندب، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف، فلما دخل الساحر في جوف البقرة، قال: أتأتون السحر وأنتم تبصرون، ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر في البقرة فانذعر الناس فسجنه الوليد... الحديث. وفي أنساب الاشراف (٣٣): وأتي بساحر يقال له: " نطروي "، فرآه جندب الخير (٣٤) وهو جندب بن عبد الله الازدي، فاستعار سيفا قاطعا، فاشتمل عليه وخرج يريد الوليد بن عقبة، فلقيه معضد بن يزيد أحد بني تيم الله بن ثعلبة ابن عكابة، وكان ناسكا فأخبره بما يريد، فقال له: لا تقتل الوليد فإنه يورث فرقة وفتنة ولكن شأنك بالعلج، فشد على الساحر فقتله، ثم قال له: أحي نفسك إن كنت صادقا. فقال الوليد: هذا رجل يلعب فيأخذ بالعين سرعة وخفة، فقدم جندبا ليضرب عنقه، فأنكرت الازد ذلك وقالوا: أتقتل صحابنا بعلج ساحر ؟ ! فحبسه، فلما رأى السجان طول صلاته وكثرة صيامه تحوب عن حبسه فخلى

---

(٣٢) الاغاني ٤ / ١٨٣ ط. ساسي. (٣٣) أنساب الاشراف ٥ / ٢٩ و ٣١. (٣٤) كان في الازد جنابة أربعة: جندب الخير بن عبد الله، وجندب بن زهير، وجندب بن كعب، ترجموا لهم في الصحابة ونسبوا إلى أحدهم قتل الساحر، والرابع جندب بن عفيف والمشهور عندهم أن قاتل الساحر هو جندب بن كعب بن عبد الله بن غنم الازدي ثم الغامدي. قال ابن الاثير بترجمته في أسد الغابة: فضربه ضربة فقتله، ثم قال له: أحي نفسك، ثم قرأ: " أتأنون السحر وأنتم تبصرون " فرفع إلى الوليد، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " حد الساحر ضربة بالسيف ".. فحبسه الوليد.. وقال ابن أخيه في حبسه: أفي مضرب السحار يحبس جندب * ويقتل أصحاب النبي الاوائل.. وانطلق إلى أرض الروم فلم يزل يقاتل بها المشركين حتى مات لعشر سنوات مضين من خلافة معاوية. راجع أسد الغابة ١ / ٣٠٦ ٣٠٣.

---

[١٢١]

سبيله، فمضى جندب فلحق بالمدينة، وكان يكنى أبا عبد الله، فأخذ الوليد السجان وكان يقال له: دينار ويكنى أبا سنان، فضرب عنه وصلبه بالسبخة (٣٥)، ولم يزل جندب بالمدينة حتى كلم فيه علي بن أبي طالب عثمان، فكتب إلى الوليد يأمره بالامساك عنه فقدم

الكوفة (٣٦). أمارات الثورة في ولاية الوليد: قال البلاذري (٣٧): لما شاع فعل عثمان وسارت به الركبان كان أول من دعا إلى خلعه والبيعة لعلي عمرو بن زرارة (٣٨) بن قيس بن الحارث بن عمرو ابن عداء النخعي، وكميل بن زياد بن نهيك بن هتيم النخعي ثم أحد بني صهبان، فقام عمرو بن زرارة فقال: أيها الناس إن عثمان ترك الحق وهو يعرفه، وقد أغرى بصلحائكم يولي عليهم شراركم. فمضى خالد بن عرفطة ابن أبرهة بن سنان العذري حليف بني زهرة إلى الوليد فأخبره بقول عمرو بن زرارة واجتماع الناس إليه، فركب الوليد نحوهم، فقيل له: الامر أشد من ذلك والقوم مجتمعون فاتق الله ولا تسعر الفتنة، وقال له مالك بن الحارث الاشتر النخعي: أنا أكفيك أمرهم فأتاهم فكفهم وسكنهم وحذرهم الفتنة والفرقة، فانصرفوا. وكتب الوليد إلى عثمان بما كان من ابن زرارة، فكتب إليه عثمان: إن ابن زرارة أعرابي جلف فسيره إلى الشام فسيره، وشيعه الاشتر والاسود بن يزيد ابن قيس، وعلقمة بن قيس، وهم عم الاسود، والاسود اكبر منه، فقال قيس

---

(٣٥) قد ورد في رواية المسعودي: " بالكاس "، وفي المعجم: الكاسة محلة بالكوفة، ونسب السبخة إلى البصرة. (٣٦) أنساب الاشراف ٥ / ٢٩ و ٣١. (٣٧) أنساب الاشراف ٥ / ٣٠. (٣٨) عمرو بن زرارة. ترجموه في الصحابة، وفد أبوه على النبي وحدثه برؤيا رآها فعبرها له. راجع ترجمتها في أسد الغابة ٢ / ٢٠١ - ٢٠٢ و ٤ / ١٠٤.

---

[١٢٢]

ابن قهدان بن سلمة منبني البداء من كندة يومئذ: أقسم بالله رب البيت مجتهدا * أرجو الثواب له سرا وإعلانا لاخلعن أبا وهب وصاحبه * كهف الضلالة عثمان بن عفانا وكان عثمان وجه حمران إلى الكوفة حين شكا الناس الوليد بن عقبة ليأتيه بحقيقة خبره فرشاه الوليد، فلما قدم على عثمان كذب عن الوليد وقرظة، ثم إنه لقي مروان فسأله عن الوليد، فقال له: إن الامر جليل، فأخبر مروان عثمان بذلك، فغضب على حمران وغربه إلى البصرة لكذبه إياه وأقطعه دارا (٣٩). استمرت إمارة الوليد على الكوفة خمس سنين، وغزا في أيامه آذربيجان وأصاب حدا في غزاة فأرادوا أن يقيموه عليه، فقال حذيفة: أتقيمون عليه الحد وهو بأزاء العدو ؟ ! فكفوا عن ذلك (٤٠). ولا ندري هل كان ذلك منه في شربه الخمر أم غيره، فإن كان مشهورا بمعاقرة الخمرة وحد على ذلك في قصة مشهورة ذكرها المؤرخون وقالوا: في حده على السكر: فيما أخرجه أبو الفرج في الاغاني (٤١) عن أبي عبيدة والكلبي والاصمعي: كان الوليد بن عقبة زانيا شريب خمر، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم وقال لهم: أزيدكم ؟ وتقيأ في المحراب وقرأ بهم في الصلاة: علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا وقال المسعودي (٤٢): إن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من

---

(٣٩) أنساب الاشراف ٥ / ٥٨ ٥٧. (٤٠) أنساب الاشراف ٥ / ٣١. (٤١) الاغاني ٤ / ١٧٧ ١٧٦، ط. ساسي. (٤٢) المسعودي في مروجه ٢ / ٣٣٥، ط. دار الاندلس. (*)

---

[١٢٣]

أول الليل إلى الصباح، فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج منفصلا في غلائلهفتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح فصلى بهم أربعا، وقال: أتريدون أن أزيدكم ؟ وقيل إنه قال في سجوده وقد أطال: " إشرب واسقني ". فقال له عتاب الثقفي وكان في الصف الاول: ما تريد لازادك الله مزيد الخير. والله لا أعجب إلا ممن بعثك إلينا واليا وعلينا أميرا، فحصبه الناس بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنح ويتمثل أبيات تأبط شرا. ولست بعيدا عن مدام وقينة * ولا بصفا صلد عن الخير معزل ولكنني أروي من الخمر هامتي * وأمشي الملا بالساحب المتسلسل ما جرى للشهود: رغب أهل الكوفة في أن يذهبوا إلى المدينة ومعه بينة جلية تؤيدهم في شهادتهم على أخي الخليفة كي لا يجبهوا بالرد والانكار. روى أبو الفرج، والمسعودي والبلاذري، واللفظ للاخير قال (٤٣): لما صلى الوليد بالناس وهو سكران اتى أبو زينب زهير بن عوف الازدي صديقا له من بني أسد يقال له: المورع، فسأله أن يعاونه على الوليد في التماسه غرتة فتفقداه ذات يوم فلم يرياه خرج لصلة العصر، فانطلقا إلى بابه ليدخلا عليه، فمنعهما البواب، فأعطاه أبو زينب دينارا، فسكت، فدخلا فإذا هما به سكران ما يعقل فحملاه حتى وضعاه على سريره فقاء خمرا وانتزع أبو زينب خاتمه من يده. وفي لفظ الاغاني بعد هذا: ولقي أبو

زينب وصاحبه عبد الله بن حبيش الاسدي وعلقمة بن يزيد البكري وغيرهما فأخبراه، فقالوا: اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه، فقال بعضهم: لا يقبل قولنا في أخيه.

---

(١) غلائله مفرده الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب والدرع. وقيل بطائن تلبس تحت الدروع. لسان العرب، مادة: غلل. (٤٣) في الاغاني ٤ / ١٧٨، ط. ساسي، ومروج الذهب ١ / ٤٣٥ وأنساب الاشراف ٥ / ٣٣.

---

[١٢٤]

وفي لفظ البلاذري: ومضى وصاحبه على طريق البصرة حتى قدما على عثمان. عند الخليفة: روى أبو الفرج وقال (٤٤): قدم رجل المدينة فقال لعثمان (رض): إني صليت الغداة خلف الوليد بن عقبة، فالتفت إلينا فقال: أأزيدكم ؟ إني أجد اليوم نشاطا، وأنا أشم منه رائحة الخمر، فضرب عثمان الرجل، فقال الناس: عطلت الحدود وضربت الشهود. وفي رواية البلاذري عن أبي إسحاق قال: فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر: أبو زينب وجندب بنزهير وأبو حبيبة الغفاري والصعب بن جثامة، فأخبروا عثمان خبره، فقال عبد الرحمن بن عوف: ماله أجن ؟ ! قالوا: لا ولكنه سكر، قال فأوعدهم عثمان وتهددهم، وقال لجندب: أنت رأيت أخي يشرب الخمر ؟ ! قال: معاذ الله ! ولكني اشهد أني رأيته سكران يقلسهامن جوفه وإني اخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل. وفي رواية الاغاني: فشخصوا إليه وقالوا: إنا جئناك في أمر ونحن مخرجوه إليك من أعناقنا وقد قلنا إنك لا تقبله. قال: وما هو ؟ قالوا: رأينا الوليد وهو سكران من خمر قد شربها وهذا خاتمه أخذناه وهو لا يعقل !... (٤٥). وفي رواية المسعودي: (ثم تقايأ عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده فأتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر، فقال

---

(٤٤) في الاغاني ٤ / ١٧٨، ط. ساسي، بسنده إلى مطر الوراق.يقلسها: يقيئها. (٤٥) الاغاني، ط. ساسي، ٤ / ١٧٨.

---

[١٢٥]

عثمان: وما يدريكما أنه شرب خمرا، فقالا: هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية، وأخرجا خاتمه فدفعاه إليه فرزأهما ودفع في صدورهما، وقال: تنحيا عني فخرجا وأتيا علي بن أبي طالب (رض) وأخبراه بالقصة، فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود وأبطلت الحدود.. الحديث) (٤٦). وفي رواية البلاذري عن الواقدي: وقد يقال: إن عثمان ضرب بعض الشهود أسواطا فأتوا عليا فشكوا ذلك إليه فأتى عثمان، فقال: عطلت الحدود وضربت قوم شهدوا على أخيك فقلبت الحكم. وأخرج البلاذري عن أبي إسحاق قال: فأتى الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان وأن عثمان زبرهم، فنادت عائشة: إن عثمان أبطل الحدود وتوعد الشهود (٤٧). وأخرج أبو الفرج (٤٨) عن الزهري أنه قال: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد فقال: أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل ؟ لئن أصبحت لانكلن بكم، فاستجاروا بعائشة، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة فقال: أم يجد مراق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة ! ؟ فسمعت فرفعت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: تركت سنة رسول الله صاحب هذا النعل. فتسامع الناس فجاءوا حتى ملاوا المسجد فمن قائل: أحسنت، ومن قائل: ما للنساء ولهذا ! ؟ حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال. وأخرج البلاذري (٤٩): ان عائشة أغلظت لعثمان، وأغلظ لها وقال: وما أنت وهذا ! ؟ إنما أمرت أن تقري في بيتك، فقال قوم مثل قوله، وقال آخرون: ومن أولى بذلك منها، فاضطربوا بالنعال، وكان ذلك أو قتال بين المسلمين

---

(٤٦) مروج الذهب، طبعة بيروت، دار الاندلس، ٢ / ٣٣٦. (٤٧) أنساب الاشراف ٥ / ٣٤. (٤٨) الاغاني ٤ / ١٧٨، ط. ساسي. (٤٩) أنساب الاشراف ٥ / ٣٣.

---

[١٢٦]

بعد النبي صلى الله عليه وآله. وأخرج اليعقوبي في تاريخه (٥٠) وابن عبد البر بترجمته من الاستيعاب قريبا مما أوردناه من موقف أم المؤمنين في هذه القصة. وأخرج البلاذري (٥١) عن الواقدي وأبي مخنف وغيرهما أنهم قالوا: أتى طلحة والزبير عثمان، فقالا له: قد نهيناك عن تولية الوليد شيئا من أمور المسلمين فأبيت، وقد شهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعزله. وقال له علي: اعزله وحده إذا شهد

الشهود عليه في وجهه، فولى عثمان سعيد بن العاص الكوفة وأمره بإشخاص الوليد. فلما قدم سعيد الكوفة غسل المنبر ودار الامارة. وروى الطبري (٥٢) في بيان هذا وقال: فقدم سعيد بن العاص الكوفة فأرسل إلى الوليد ان أمير المؤمنين يأمرك أن تلحق به، قال: فتضجع أياما فقال له: انطلق إلى أخيك فانه قد أمرني أن أبعثك إليه، قال: وما صعد منبر الكوفة حتى أمر به أن يغسل. فناشده من قريش ممن كانوا خرجوا معه من بني أمية، وقالوا: إن هذا قبيح، والله لو أراد هذا غيرك لكان حقا أن تذب عنه، يلزمه عار هذا أبدا. قال فأبى إلا أن يفعل فغسله وأرسل إلى الوليد أن يتحول من دار الامارة فتحول عنها ونزل دار عمارة بن عقبة. وفي الاغاني (٥٣): لما شهد على الوليد عند عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم يعذرونه، فيهم عدي بن حاتم، فنزل الوليد يوما يسوق بهم، فقال يرتجز: لا تحسبنا قد نسينا الايجاف * والنشوات من عتيق أوصاف

---

(٥٠) اليعقوبي ٢ / ٢٠٣، ط. بيروت، دار صادر. (٥١) أنساب الاشراف ٥ / ٣٥. (٥٢) الطبري ٥ / ١٨٨، في ذكره حوادث سنة ٣٣ ه، وفي ط. أوربا ١ / ٢٩١٥. (٥٣) الاغاني ٤ / ١٨١، وفي ط. ساسي ٤ / ١٧٩ ١٧٨.

---

[١٢٧]

وعزف قينات علينا عزافقال عدي: أين تذهب بنا ! أقم ! وفي رواية البلاذري (٥٤): وأشخص الوليد فلما شهد عليه في وجهه وأراد عثمان أن يحده ألبسه جبة حبروأدخله بيتا فجعل إذا بعث إليه رجلا من قريش ليضر به، قال له الوليد: أنشدك الله أن تقطع رحمي، وتغضب أمير المؤمنين عليك. فكيف. فلما رأى ذلك علي بن أبي طالب أخذ السوط ودخل عليه ومعه ابنه الحسن، فقال له الوليد مثل تلك المقالة، فقال له الحسن: صدق يا أبت، فقال علي: ما أنا إذا بمؤمن، وجلده بسوط له شعبتان أربعين جلدة، ولم ينزع جبته، وكان عليه كساء فجاذبه علي إياه حتى طرحه عن ظهره وضربه وما يبدو وإبطه. وفي رواية الاغاني (٥٥): فقال له الوليد نشدتك بالله والقرابة، فقال علي: أسكت أبا وهب فانما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود. فضربه وقال: لتدعوني قريش بعد هذا جلادها. وقال المسعودي (٥٦): فلما نظر إلى امتناع الجماعة من إقامة الحد عليه توقيا لغضب عثمان لقرابته منه، أخذ علي السوط ودنا منه، فلما أقبل نحوه سبه الوليد، وقال: يا صاحب مكس (*). فقال عقيل بن أبي طالب وكان ممن حضر: إنك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت وأنت علج من أهل صفورية وهي قرية بين عكا

---

(١) الايجاف: سير فسيح واسع للابل، والنشوات من عتيق أوصاف، أي ولم ننس النشوات من خمر عتيق موصوف بالجودة، وعزف قينات.. أي ولم ننس عزف المغنيات. (٥٤) أنساب الاشراف ٥ / ٣٥.حبر: ضرب من برود اليمن. (٥٥) الاغاني ٤ / ١٧٧، ط. ساسي. (٥٦) مروج الذهب ١ / ٤٤٩.المكس: النقص والظلم، ودراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية، أو درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقة.

---

[١٢٨]

واللجون من أعمال الاردن من بلاد طبرية كان ذكر أنا أبه يهوديا منها فأقبل الوليد يروغمن علي فاجتذبه فضرب به الارض وعلاه بالسوط. فقال عثمان: ليس لك ان تفعل به هذا، قال: بلى وشرا من هذا إذا فسق ومنع من حق الله تعالى أن يؤخذ منه. وروى البلاذري (٥٧) وقال: لما ضرب علي الوليد بن عقبة جعل الوليد يقول: يا مكيثة يا مكيثة! وقال حين حد: باعد الله ما بيني وبينكم * بني أمية من قربى ومن نسب إن يكثر المال لا يذمم فعالكم * وإن يعش عائلا مولاكم يخب وروى أنه سئل عثمان ان يحلق، وقيل له إن عمر حلق مثله، فقال: قد كان فعل ثم تركه. وروى اليعقوبي (٥٨) أن عثمان بعث أخاه الوليد بعد أن أجري الحد عليه على صدقات كلب وبلقين. * * * في هذه القصة نجد الوليد بن عقبة امرءا موصوفا في القرآن بالفسق، ومشهورا لدى الناس بالكسر والزنا، ونجده عارفا بضعف نفس أخيه الخليفة خبيرا بكيفية التصرف فيه. ونجده يبسط يده في أموال المسلمين، كما نجده يتخذ من السلطة سلما إلى التمتع بشهواته، ويتجاهر في سبيل ذلك غير هياب ولا متحرج اعتمادا على مركز أخيه الخليفة وتدليله إياه، فنجده يقطع نديمه الشاعر النصراني أرضا واسعة، ويجري عليه لحم الخنزير والخمر، ويدخله المسجد الجامع وهو

يروغ الرجل والثعلب: يميل ويحيد عن الشئ. (٥٧) أنساب الاشراف ٥ / ٣٥.مكيثة: المكث اللبث، والمكيث الرزين، ولعله كان يوصي نفسه بالصبر والوقار. (٥٨) في تاريخه ٢ / ١٤٢.

---

[١٢٩]

سكران، ويدخل الساحر اليهودي المسجد أيضا ليقوم له فيه بأعماله السحرية، ويخرج سكران في غلائله ليصلي بالمسلمين في محرابهم، ويتقيأ الخمرة لاكثاره منها، حتى إذا أشخص إلى المدينة أخرج معه الاشرف ليعذروه ولكنه لا يستطيع ان يكف عن ذكر الخمر والعزف فيتغنى بهما وهو في طريقه إلى مجلس الحكم. ونجد فيها المسلمين كافة متذمرين من السلطة معلنين استنكارهم عليها غير أن هناك شخصيتين متميزتين على من عداهما: أولاهما: ابن أبي طالب فانه الشخص الوحيد الذي تقدم من بين المسلمين والصحابة لاقامة الحد على أخي الخليفة غير مبال بسخط الخليفة، ونقمة أسرته من بني أمية، ومن المصادفات الفريدة أن يكون هذا الشخص ضارب رأس الاب الكافر وجالد ظهر الابن الفاسق، وحق له ان يقول: لتدعوني قريش جلادها، ولقد ادخر بأفعاله هذه كرها شديدا في صدور قريش، وحقدا دفينا جنى ثمارهما في مستقبل أيامه. وثانيهما: أم المؤمنين عائشة فانها كانت في الناقمين على عثمان تملك قيادة جماهير الناس، وقد استطاعت أن تحشد الجماهير ضده بعمل فذ لم يقم به أحد قبلها ولا بعدها، فإنها أخرجت نعل رسول الله في وقت كان الناس متعطشين إلى رؤية آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وبذلك اثارت عواطفهم ! وهيجتهم ! ودفعتهم إلى حيث ما تريد، فوقع الخصام، وانقسم المسلمون حزبين يترامون بالحصباء ويتضاربون بالنعال ! وكان ذلك أول قتال وقع بين المسلمين، وأخيرا تغلبت على الخليفة، واضطرته إلى النزول عند ربغة الجماهير فعزل أخاه وأحضره للحكم، ولولا براعتها في تحشيد الجماهير وقيادتها، لما وقع شئ من ذلك، وإنها لم تكن الوحيد ممن بقيت من أزواج الرسول بعده، فقد كانت هناك حفصة وام سلمة وأم حبيبة وقد اشترك بعضهن في بعض المواقف السياسية غير أن واحدة منهن لم تفعل ذلك. ونجد في هذه القصة - أيضا الخليفة عثمان قد اتخذ لنفسه سريرا يجلس

---

[١٣٠]

عليه مما لم نجد الخليفتين قبله قد فعلا ذلك، ثم نجده يشرك معه على السرير أبا سفيان كبير قريش في حروبها لرسول الله، وأخاه الموصوف في القرآن بالفسق شريب الخمر الزاني، ونجده يحترم عمه الحكم طريق رسول الله ولعينه أكثر من أي إنسان كان، فيزحل له عن مجلسه، ونجده يطعم النصف الشرقي من بلاد المسلمين إلى أخيه الماجن هذا ليجبر بذلك نفسه الكسيرة، ونجده يبسط يد هذا المتهتك على بيت مال المسلمين، ويعاقب الصحابي الجليل ابن مسعود على إنكاره على أخيه، ويخاطبه بذلك الخطاب المقذع، ويأمر به فيضرب حتى تتكسر ضلعاه، ويحرمه عطاءه ويمنعه من الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، ويحبسه في المدينة حتى يموت، كل ذلك يفعله غضبا لاخيه الفاسق هذا، ونجده يرد شهادة الشهود على أخيه، ويضربهم على شهادتهم، وبعد ان يجبر على إقامة الحد عليه يلبسه جبة حبر تمنع من جسده ألم السياط، ثم لا يحلق رأسه بعد الحد، وبعد ذلك كله يوظفه على الصدقات. هذه واحدة من حوادث سياسية اشتركت فيها أم المؤمنين ضد الخليفة عثمان. ثانيا: في خبر عمار مع الخليفة الحادثة الاخرى التي اشتركت فيها أم المؤمنين، وقادت الجماهير فيها ضده كانت في قصة الخليفة مع عمار بن ياسر. وعمار بن ياسر هو أبو اليقظان بن ياسر بن عامر، وكان ياسر والد عمار عربيا قحطانيا مذحجيا من عنس قدم من اليمن إلى مكة وحالف أبا حذيفة ابن المغيرة المخزومي وتزوج أمته سمية بن خباط فولدت عمارا فاعتقه أبو حذيفة، فمن هنا صار عمار مولى لبني مخزوم. كان هو وأبواه وأخوه عبد الله من السابقين إلى الاسلام، وأجهروا باسلامهم فعذبوا عليه أشد العذاب. ألبسوا أدراع الحديد، ثم صهروا في الشمس على أن يتركوا الاسلام وهم يأبون ذلك، وكان رسول الله يمر عليهم بالابطح وهم يعذبون في رمضاء مكة فيقول: " صبرا آل ياسر موعدكم الجنة " وكانت سمية أول شهيد في الاسلام طعنها أبو جهل بحربة في قبلها فماتت من ذلك. وقتل بعدها ياسر.

---

[١٣١]

أما عمار فانه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فأخبر النبي بأن عمارا كفر فقال: كلا، إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه، وأخلط الايمان بلحمه ودمه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه، وقال: إن عادوا لك فعد لهم بما

قلت، فأنزل الله تعالى فيه: (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان..) الآية (٥٩) (النحل / ١٠٦). هاجر عمار إلى المدينة وشهد بدرا وما بعدها، ولما قدم النبي إلى المدينة جمع أحجارا وبنى له مسجد قبا فهو أول من بنى مسجد في الاسلام (٦٠). واشترك في بناء المسجد النبي صلى الله عليه وآله. قال ابن هشام (٦١) عند ذكره بناء رسول الله مسجده في المدينة: فدخل عمار وقد أثقلوه باللبن، فقال: يا رسول الله قتلوني يحملون علي مالا يحملون. قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ينفض وفرته بيده وكان رجلا جعدا وهو يقول: " ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية " وارتجز علي بن أبي طالب (رض): لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا وقائما طورا وطورا قاعدا * ومن يرى عن الغبار حائدا فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها. قال ابن هشام: فلما اكثر، ظن رجل من أصحاب رسول الله أنه إنما

---

(٥٩) ذكر نزول هذه الآية في عمار: ابن عبد البر بترجمته من الاستيعاب قال: هذا مما اجتمع أهل التفسير عليه، وراجع تفسير الآية في تفسير الطبري والقرطبي وابن كثير والسيوطي وطبقات ابن سعد ٣ / ١٧٨ والمستدرك ٣ / ١٧٨ وغيرها وراجع - لسائر ما ذكرناه في نسب عمار وأبيه وأمه وتعذيبهم - ترجمتهم في الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة، وباب فضائلهم في المستدرك وكنز العمال. (٦٠) ترجمته في أسد الغابة. (٦١) سيرة ابن هشام ٢ / ١١٤.

---

[١٣٢]

يعرض به، فقال: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية والله إني لاراني سأعرض هذه العصا لانفك، قال: وفي يده عصا، قال: فغضب رسول الله ثم قال: " مالهم ولعمار ! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عمارا جلدة ما بين عيني وأنفي فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه " قال أبو ذر في شرح سيرة ابن هشام: إن هذا الرجل هو عثمان بن عفان (٦٢). وقد أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله في مواطن كثيرة منها قوله فيه لما رأى خالدا يغلظ له القول: " من عادى عمارا عاداه الله، ومن أبغض عمارا أبغضه الله " شهد مع علي الجمل وصفين، وكان في صفين لا يأخذ في ناحية ولا واد إلا وتبعه أصحاب النبي كأنه علم لهم، وكان يرتجز ويقول: اليوم ألقى الاحبة * محمدا وحزبه ولما قتل اختصم في قتله اثنان فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النار، والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة (٦٣). هذا هو عمار بن ياسر، وأما قصته مع الخليفة عثمان فإنه غضب عليه في عدة موارد: منها في قصة ترحمه من كل قلبه على أبي ذر في ما روى البلاذري (٦٤) وقال: إنه لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالزبذة قال: رحمه الله. فقال عمار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كل أنفسنا، فقال عثمان: يا عاض أير أبيه ! أتراني

---

(٦٢) شرح سيرة ابن هشام لابي ذر الخشني المتوفى (٦٠٤) ه وقد روى ذلك عن ابن اسحاق صاحب السيرة الذي من سيرته أخذ ابن هشام ما اورده في سيرته. وقد اورد ابن عبد ربة القصة تامة في العقد الفريد ٤ / ٣٤٣ ٣٤٢. (٦٣) استشهد مساء الخميس ٩ صفر سنة ٣٧ ه وعمره ٩٣ سنة، راجع ترجمته في الاستيعاب واسد الغابة والاصابة والبخاري، كتاب الجهاد، الباب السابع عشر والطبقات ٣ ق ١ / ١٨٩ ١٦٦. (٦٤) الانساب ٥ / ٥٤ واليعقوبي ٢ / ١٥٠ وكان عثمان قد نفى أبا ذر إلى الربذة لما شكاه معاوية فتوفي هناك في قصة طويلة ذكرها البلاذري في الانساب ٥ / ٥٢ - ٥٤ وابن سعد في الطبقات ٤ / ١٦٨، واليعقوبي ٢ / ١٤٨، والمسعودي ١ / ٤٣٨.

---

[١٣٣]

ندمت على تسييره ؟ وأمر فدفع في قفاه وقال: إلحق بمكانه فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى علي فسألوه أن يكلم عثمان فيه. فقال له علي: يا عثمان ! إتق الله فإنك سيرت رجلا صالحا من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره، وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه فقال علي رم ذلك إن شئت، واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلما كلمك رجل سيرته ونفيته فان هذا شئ لا يسوغ. فكف عن عمار. ومنها في قصة أخذه كتاب استنكار الصحابة من عثمان إليه في ما أخرجه البلاذري وغيره (٦٥). البلاذري: إن المقداد بن عمرو، وعمار بن ياسر، وطلحة، والزبير في عدة من أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وآله كتبوا كتابا عددوا فيه أحداث عثمان وخوفوه ربه وأعلموه أنهم مواثبوه إن لم يقلع، فأخذ عمار الكتاب وأتاه به فقرأ صدرامنه فقال له عثمان: أعلي تقدم من بينهم ؟ فقال عمار: لاني أنصحهم لك. فقال: كذبت يا ابن سمية ! فقال: أنا والله ابن سمية وابن ياسر، فأمر غلمانه فمدوا بيديه ورجليه ثم ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق، وكان ضعيفا كبيرا فغشي عليه. ومنها قصة استنكاره أخذ عثمان جواهر من بيت المال في ما رواه البلاذري (٦٦) وقال: كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حلي وجواهر، فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه فخطب فقال: لتأخذن حاجتنا من هذا الفئ وإن رغمت أنوف أقوام. فقال له علي: إذا تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه. وقال عمار بن ياسر: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك، فقال عثمان: أعلي يا ابن المتكاءتجترئ ؟ خذوه، فأخذ ودخل عثمان ودعا به فضربه حتى غشي

---

(٦٥) الانساب ٥ / ٤٩، والعقد الفريد ٢ / ٢٧٢، وراجع تفصيل الكتاب في الامامة والسياسة. (٦٦) أنساب الاشراف ٥ / ٤٨.المتكاء: العظيمة البطن، البظراء المفضاة، التي لا تمسك البول.

---

[١٣٤]

عليه ثم أخرج فحمل حتى أتي به منزل أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يصل الظهر والعصر والمغرب فلما أفاق توضأ وصلى وقال: الحمد لله ليس هذا أول يوم أوذينا فيه في الله. وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمار حليفا لبني مخزوم فقال: يا عثمان أما علي فاتقيته وبني أبيه، وأما نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف، أما والله لئن مات لاقتلن به رجلا من بني أمية عظيم السرة، فقال عثمان، وإنك لها هنا يا ابن القسرية، قال: فانهما قسريتان (وكانت أمه وجدته قسريتين من بجيلة) فشتمه عثمان وأمر به فأخرج، فأتى أم سلمة فإذا هي قد غضبت لعمار، وبلغ عائشة ما صنع بعمار فغضبت واخرجت شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله وثوبا من ثيابه ونعلا من نعاله ثم قالت: ما أسر ما تركتم سنة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد، فغضب عثمان غضبا شديدا حتى ما درى ما يقول، فالتج المسجد وقال الناس: سبحان الله، سبحان الله، وكان عمرو بن العاص واجدا على عثمان لعزله إياه عن مصر وتوليه إياها عبد الله بن سعد بن أبي سرح فجعل يكثر التعجب والتسبيح. ومنها في قصة دفن ابن مسعود فانه كان قد أوصى أن يصلي عليه عمار ولا يؤذن به عثمان ففعل، فلما أخبر بذلك غضب عليه ولم يلبث يسيرا حتى توفي المقداد فصلى عليه عمار وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به، فاشتد غضب عثمار على عمار وقال: ويلي على ابن السوداء، أما لقد كنت به عليما (٦٧). ومما يلفت نظرنا في هذه القصة مجابهة الخليفة عمارا بقوله: يا ابن المتكاء، ويا عاض أير أبيه إلى أمثالها، هذا مع ما ورد في الصحاح والمسانيد عن أم المؤمنين من أن عثمان رجل حيي، وأن الملائكة والله لتستحي من عثمان، وأن رسول الله قد استحى منه لشدة حيائه، إلى غيرها مما فيه الاشادة بذكر حيائه ! ونجد فيها أيضا لام المؤمنين دور القيادة الحكيمة في تحشيد الناقمين من

---

(٦٧) اليعقوبي ٢ / ١٧١ وراجع الانساب ٥ / ٤٩ في قصة دفن ابن مسعود.

---

[١٣٥]

الخليفة ضده، والبصيرة النافذة بما يؤثر في نفوس الجماهير من الناس، فانها إن كانت قد باغتت الخليفة في تلك المرة باخراج نعل رسول الله لتهييج الجماهير عليه وأثرت الاثر الذي كانت تتوخاه، ولم يكن لتكراره مرة ثانية ذلك الاثر على النفوس، فانها في هذه المرة أيضا لم تعدم الوسيلة لاثارة العواطف ضده، فقد أضافت إلى ما أخرجت: ثوب رسول الله وشعره، فكان لها الاثر الفعال في إثارة الناس على عثمان وتحطيم مركزه كخليفة للمسلمين كما كان ذلك للتي قبلها. وفي القصتين جميعا تمكنت أم المؤمنين من أن ترفع عن عثمان الحصانة التي كان يتمتع بها في المجتمع الاسلامي لمكانه من خلافة رسول الله، فانها قد استطاعت بوسائلها المحسوسة أن تجعله في جانب. وسنة رسول الله وآثاره وازواجه في جانب آخر، وبذلك قد أزالت عنه كل حرمة في النفوس وكرامة في المجتمع، فأصبح المسلمون يستسيغون النيل منه، ثم تعدى أثر ذلك من شخص الخليفة إلى مقام الخلافة فإنه لم يبق بعد هذا المقام الخلافة أيضا حرمته الاولى في المجتمع

الاسلامي. وبذلك أثرت حتى على من جاء بعده من الخلفاء. ومما نرى في هذه الحوادث، تردي العلاقات بين أم المؤمنين وعثمان من سيئ إلى أسوأ، فقد أصبحت من أشد المعارضين له بعد أن كانت من أقوى مؤيديه، ومن الجائز أن يكون بدء تنقيص عطائها في خلال هذه المعارك الكلامية. وأخيرا فقد حولت هذه الحوادث المتتالية أم المؤمنين من منتقمة لغيرها إلى ثائرة لكرامتها، فأصبحت المعركة معركتها اكثر من أن تكون معركة غيرها، واشركت في المعركة أفراد أسرتها حتى قالوا: " وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم واعانه على ذلك طلحة بن عبيدالله " (٦٨).

---

(٦٨) أنساب الاشراف ٥ / ٦٨.

---

[١٣٦]

وقصة جلب محمد بن أبي بكر عليه يبدأ من مصر حيث اشترك مع محمد ابن أبي حذيفة بالثورة ضد عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل عثمان عليها مما سنوردها بعد إيراد تراجمهم. أولا: عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري. وهو أخو عثمان من الرضاعة، أرضعت أمة عثمان. أسلم قبل الفتح وهاجر إلى المدينة وكتب الوحي لرسول الله ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش بمكة، فقال لهم: إني كنت أصرف محمدا حيث أريد، كان يملي علي: " عزيز حكيم "، فأقول: " عليكم حكيم " ؟ فيقول: نعم، كل صواب فأنزل الله تعالى فيه: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) الآية ٩٣ من سورة الانعام. فلما كان يوم الفتح أهدر رسول الله دمه وأمر بقتله ولو وجد متعلقا بأستار الكعبة. ففر عبد الله إلى عثمان فغيبه حتى أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأمنه له، فصمت رسول الله صلى الله عليه وآله طويلا، ثم قال: نعم، فلما انصرف عثمان قال لمن حوله: ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه، فقالوا: هلا أومأت إلينا، فقال: إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الاعين. ولاه عثمان مصر سنة ٢٥ ه وعزل عنها عمرو بن العاص ففتح افريقية فأعطاه عثمان خمس غنائم الغزوة الاولى، وبقي أميرا على مصر حتى سنة ٣٤ حيث ثار ابن أبي حذيفة في مصر فمضى إلى عسقلان فاقام بها حتى قتل عثمان. وتوفي سنة ٥٧ أو ٥٩ ه (٦٩).

---

(٦٩) الاستيعاب ٢ / ٣٧٠ ٣٦٧ والاصابة ٢ / ٣١٠ ٣٠٩ و ١ / ١٢ ١١ وأسد الغابة

---

[١٣٧]

ثانيا: محمد بن أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر وتزوجها أبو بكر بعد وفاة جعفر بن أبي طالب فولدت له محمدا في طريقهم إلى مكة في حجة الوداع، ولما توفي أبو بكر تزوجها علي فنشأ محمد في حجر علي وكان ربيبه، شهد مع علي الجمل وصفين، ثم ولاه مصر فدخلها في الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٣٧، فجهز معاوية عمرو بن العاص إلى مصر سنة ٣٨ فتغلب عليه وقتله معاوية ابن خديج صبرا وأدخلوا جثته في بطن حمار ميت وأحرقوه (٧٠). ثالثا: أبو القاسم محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي العبشمي، وأمه سهلة بن عمرو العامرية، ولد بأرض الحبشة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله واستشهد أبوه أبو حذيفة باليمامة فضم عثمان ابنه هذا لايه ورباه. استأذن عثمان في ان يذهب إلى مصر للغزو فأذن له فأخذ هناك يؤلب الناس على عثمان ثم وثب على خليفة عبد الله بن سعد بمصر وأخرجه منها وبايعه أهل مصر بالامارة، ولما استخلف علي أقره عليها فبقي عليها حتى سار إليه معاوية عند مسيره إلى صفين، فخرج إليهم محمد ومنعه من دخول الفسطاط ثم تصالحوا على ان يخرج محمد بن أبي حذيفة ومن معه آمنين فخرج محمد وثلاثون رجلا فغدر بهم معاوية وحبسه في سجن دمشق ثم قتله رشدين مولى معاوية ! وكان محمد ممن أدركوا صحبة الرسول (٧١). وقصتهم بمصر في ما رواه الطبري (٧٢): ان عمرو بن العاص كان على

---

٣ / ١٧٤ ١٧٣، وأنساب الاشراف ٥ / ٤٩ والمستدرك ٣ / ١٠٠ والمفسرون كالقرطبي وغيره من تفسيرهم الآية ٩٣ من سورة الانعام، وابن أبي الحديد ١ / ٦٨. (٧٠) المؤرخون في ذكرهم حوادث سنة ٣٧ و ٣٨ ه، والاستيعاب ٣ / ٣٢٩ ٣٢٨، والاصابة

٠٣. ٤٥٢ بحرف الميم ق ٠٢. (٧١) راجع الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ٣٦ ٣٠ والاستيعاب ٣ / ٣٢٢ ٣٢١ الترجمة رقم ٩٩١، وأسد الغابة ٤ / ٣١٥ والاصابة ٣ / ٠٥٤. (٧٢) الطبري ٥ / ١٠٨، وط. أوربا ١ / ٢٢٦٦.

[١٣٨]

مصر عاملا لعثمان فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة، واستعمل عبد الله ابن سعد على الخراج ثم جمعهما لعبدالله بن سعد. وفيما روى البلاذري (٧٣) أن محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر حين اكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر وعليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ووافقا بمصر محمد بن طلحة (٧٤) بن عبيدالله وهو مع عبد الله بن سعد، وإن ابن أبي حذيفة شهد صلاة الصبح في صبيحة الليلة التي قدم فيها، ففاتته الصلاة فجهر بالقراءة فسمع ابن أبي سرح قراءته فأمر إذا صلى أن يؤتى به. فلما رآه قال: ما جاء بك إلى بلدي، قال: حثت غازيا، قال: ومن معك، قال: محمد بن أبي بكر، فقال: والله ما جئتنا إلا لتفسدا الناس، فأمر بهما فسجنا، فأرسلا إلى محمد بن طلحة يسألانه ان يكلمه فيهما لئلا يمنعهما من الغزو، فأطلقهما ابن أبي سرح وغزا ابن أبي سرح إفريقية فأعد لهما سفينة مفردة لئلا يفسدا عليه الناس فمرض ابن أبي بكر فتخلف، وتخلف معه ابن أبي حذيفة، ثم انهما خرجا في جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلا وقد أوغرا صدور الناس على عثمان. وقال في حديث آخر وكانت غزو ذات الصواري في المحرم سنة ٣٤ وعليها عبد الله بن سعد، فصلى بالناس فكبرا ابن أبي حذيفة تكبيرة افزعه بها فقال: لولا أنك حدث أحمق لقربت بين خطوك ولم يزل يبلغه عنه وعن ابن أبي بكر ما يكره وجعل ابن أبي حذيفة يقول: يا أهل مصر إنا خلفنا الغزو وراءنا يعني غزو عثمان.. الحديث. وقال الطبري (٧٥)

(٧٣) أنساب الاشراف ٥ / ٠٥٠. (٧٤) محمد بن طلحة بن عبيدالله، وأمه حمنة بنت جحش، كنيته أبو سليمان، ولد في عصر الرسول، وقتل يوم الجمل فمر عليه علي وقال: أبوه صرعه هذا المصرع ولولا أبوه وبره به ما خرج ذلك المخرج، ترجمته من الطبقات ج ٥ / ٣٩ ٣٧. (٧٥) الطبري ٥ / ٧١ ٧٠، في ذكره غزوة ذات الصواري في سنة ٣١، وط. أوربا

[١٣٩]

خرج محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر عام خرج عبد الله بن سعد، فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر وأن دم عثمان حلال، ويقولان: استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دمه، ونزل القرآن بكفره [حين قال: سأنزل مثل ما أنزل الله] (٧٦) وأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله قوما وأدخلهم (٧٧) إلى قوله فأفسدا أهل تلك الغزاة وعابا عثمان أشد العيب. وقال: (ومحمد بن أبي حذيفة يقول للرجل: أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقا فيقول الرجل: وأي جهاد ؟ ! فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا وكذا حتى أفسد الناس، فقدموا بلدهم وقد أفسدهم، وأظهروا من القوم ما لم يكونوا ينطقون به). ومما ساعد المحمدين في أمرهم تذمر المصريين من سيرة ابن أبي سرح فيهم، وظلمه إياهم، وقد بلغ الامر به معهم أن يضرب بعض من شكاه إلى عثمان حتى يتوفى، وقد أورد قصة قدوم المصريين على عثمان في شكواهم من ابن أبي سرح كل من الطبري وابن الاثير في حديثهما عن شكوى المصريين من ابن أبي سرح، وقالا: (وقد قدموا في كلامهم ابن عديس فذكر ما صنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملا منه على المسلمين وأهل الذمة واستئثارا منه في غنائم المسلمين، فإذا قيل له في ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين إلى..) (٧٨). وابن أعثم في تاريخه (٧٩) حيث قال: جاء إلى المدينة وفد من أشراف مصر يشكون عاملهم عبد الله بن أبي

٢٨٧٠ - ٢٨٧١. (٧٦) هذه الجملة في أنساب الاشراف ٥ / ٠٥٠. (٧٧) يقصد بهم الحكم بن أبي العاص وولده. (٧٨) الطبري ٥ / ١١٨، ط. أوربا ١ / ٢٩٩٤، وابن الاثير ٣ / ٧٠ ٥٩. (٧٩) تاريخ ابن أعثم ٤٧ ٤٦.

[١٤٠]

سرح، فدخلوا مسجد الرسول فرأوا فيها جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والانصار، فسلموا عليهم، فسألتهم الصحابة عما أقدمهم من مصرهم، فقالوا: ظلم والينا، وفساده، فقال لهم علي: لا تعجلوا في أمركم، واعرضوا على الامام شكواكم، فلعل عاملكم عمل برأيه فيكم. إذهبوا إلى الخليفة واشرحوا له ما ساءكم من عاملكم، فان انكر عليه وعذله أصبتم بغيتكم، وإن لم يفعل وأقره

على ما هو عليه، رأيتم أمركم، فدعا له المصريون وقالوا: أصبت القول فنرجو أن تحضر مجلسنا عنده، فقال: لا حاجة في ذلك فالامر يتم بحضوركم عنده، فقالوا: وان كان الامر كذلك غير أنا نرغب أن تحضر وتشهد، فقال علي: يشهدكم من هو أقوى مني وأعظم من جميع المخلوقين وأرحم على عباده. فذهب أشراف مصر إلى دار عثمان واستأذنوا للدخول عليه، فلما أذن لهم ودخلوا عليه أكرمهم وأجلسهم إلى جنبه، ثم سألهم وقال: ما الذي أقدمكم ؟ وما دهاكم فقدمتم دونما رخصة مني أو من عاملي ! ؟ فقالوا: جئنا نستنكر منك ما يصدر منك، ونؤاخذك بما يصدر من عاملك. ثم ذكر ابن أعثم ما جرى بينهم من حجاج وأقوال. محنة المسلمين وموقف علي منها: وكان نتيجة شكوى أهل مصر ما ذكره البلاذري (٨٠) حيث قال: لما ولي عثمان كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لان عثمان كان يحب قومه، فولي الناس اثنتي عشرة حجة، وكان كثيرا ما يولي من بني أمية من لم يكن له مع النبي صلى الله عليه وآله صحبة فكان يجئ من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، وكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم، فلما كان في الست الاواخر

---

(٨٠) أنساب الاشراف ٥ / ٢٦ ٢٥.

---

[١٤١]

استأثر ببني عمه، فولاهم وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر، فمكث عليها سنين، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه.. فكتب إليه كتابا يتهدده فيه فأبى ان ينزع عما نهاه عنه وضرب بعض من شكاه إلى عثمان حتى قتله. ولما ضاق الامر بالمسلمين كتب من كان من أصحاب النبي بالمدينة إلى إخوانهم في الامصار يدعونهم إلى غزو عثمان فيما رواه الطبري وغيره (٨١) واللفظ للطبري قال: لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من المدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إلى من بالآفاق منهم وكانوا قد تفرقوا في الثغور: إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزوجل تطلبون دين محمد فان دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك فهلموا، فأقيموا دين محمد صلى الله عليه وآله. وفي رواية ابن الاثير: فان دين محمد قد أفسده خليفتكم، وفي شرح ابن أبي الحديد: فاخلعوه، فأقبلوا من كل افق حتى قتلوه. وروى البلاذري (٨٢) وقال: لما كانت سنة ٣٤ كتب بعض أصحاب رسول الله إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله وما الناس فيه من عماله، ويكثرون عليه، ويسأل بعضهم بعضا أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدفع عن عثمان ولا ينكر ما يقال فيه إلا زيد بن

---

(٨١) الطبري ٥ / ١١٥ ١١٤، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٣، وابن الاثير ٥ / ٧٠ وابن أبي الحديد ١ / ١٦٥. وإنما ذكرنا كتب أصحابنا النبي إلى أهل الامصار وموافاتهم بالموسم خلال بحثنا عن تأثير المحمدين في مصر وتحريضهما اياهم على عثمان لصلة الحوادث بعد هذا بعضها ببعض. (٨٢) أنساب الاشراف ٥ / ٦٠ وراجع الطبري ٥ / ٩٧ ٩٦ وابن الاثير ٣ / ٦٣ وابن أبي الحديد ١ / ٣٠٣ وابن كثير ٧ / ١٦٨ وأبي الفداء ١ / ١٦٨.

---

[١٤٢]

ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك بن أبي كعب من بني سلمة من الانصار، وحسان بن ثابت (٨٣)، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى علي فسألوه أن يكلم عثمان ويعظه فأتاه فقال له: إن الناس ورائي قد كلموني في أمرك، ووالله ما أدري ما أقول لك، ما أعرفك شيئا تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، وإنك لتعلم ما نعلم، وما سبقناك إلى شئ فنخبرك عنه، ولقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعت ورأيت مثل ما سمعنا ورأينا، وما ابن أبي قحافة، وابن الخطاب بأولى بالحق منك، ولانت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله رحما، ولقد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك، فانك لا تبصر من عمى، ولا تعلم من جهل. فقال له عثمان: والله لو كنت مكاني ما عنفتك، ولا أسلمتك، ولا عتبت عليك إن وصلت رحما وسددت خلة واويت ضائعا، ووليت من كان عمر يوليه، نشدتك الله: ألم يول عمر المغيرة بن شعبة وليس هناك.. " قال: نعم.

---

(٨٣) أ زيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري الخزرجي ثم النجاري، أمه النوار بنت مالك. وكانت يكتب لرسول الله، ثم كتب لابي

بكر وعمر، واستخلفه عمر وعثمان على المدينة في سفرهما إلى الحج، وكان على بيت المال لعثمان ودخل عثمان يوما على زيد فسمع مولاه وهيبا يغني ففرض له عثمان ألفا وكان زيد عثمانيا اختلفوا في وفاته من سنة ٤٢ إلى سنة ٥٥ وصلى عليه مروان بن الحكم. (أسد الغابة) وجاء في الاستيعاب بترجمته أن عثمان دخل عليهم بيت المال فأبصر وهيبا يغنيهم في بيت المال فقال: من هذا ؟ فقال زيد: هذا مملوك لي، فقال عثمان: أراه يعين المسلمين وله حق وانا نفرض له. ففرض له ألفين، فقال زيد: والله لا نفرض لعبد ألفين، ففرض له ألفا (الاستيعاب / ١ / ١٨٩). ب أبو أسيد الساعدي مالك بن ربيعة بن البدن الانصاري الخزرجي شهد بدرا وما بعدها عمي قبل أن يقتل عثمان. اختلفوا في وفاته. ج كعب بن مالك الخزرجي وأمه ليلى بنت زيد من بني سلمة شهد المشاهد مع رسول الله خلا بدر وتبوك. راجع تراجمهم في الاستيعاب وأسد الغابة والاجابة، أما حسان فستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى.

---

[١٤٣]

قال: فلم تلومني إن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته ؟ قال علي: سأخبرك. ان عمر بن الخطاب كان كلما ولى فانما يطأ على صماخه، إن بلغه حرف جلبه، ثم بلغ به أقصى الغاية، وأنت لا تفعل ضعف ورفقت على أقربائك. قال عثمان: هم أقرباؤك أيضا. فقال علي: لعمري إن رحمهم مني لقريبة ولكن الفضل في غيرهم " (٨٤). قال: أولم يول عمر معاوية ؟ فقال علي: إن معاوية كان أشد خوفا وطاعة لعمر من يرفأوهو الآن يبتز الامور دونك ويقطعها بغير علمك ويقول للناس: هذا أمر عثمان، ويبلغك فلا تغير، ثم خرج، وخرج عثمان بعده، فصعد المنبر فقال: أما بعد، فإن لكل شئ آفة، ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الامة، وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون، ويسرون لكم ما تكرهون، مثل النعام يتبعون أول ناعق، أحب مواردهم إليهم البعيد، والله لقد نقمتم علي ما أقررتم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله، وخبطكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم، وألنت لكم كنفي، وكففت عنكم لساني ويدي فأجترأتم علي. فأراد مروان الكلام فقال له عثمان: أسكت. مسير أهل الامصار إلى عثمان: روى البلاذري (٨٥) وقال: إلتقى أهل الامصار الثلاثة الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام، وكان رئيس أهل الكوفة كعب

---

(٨٤) ما بين قوسي النص منقول من الطبري ط. المطبعة الحسينية المصرية، ٥ / ٩٧.يرفأ: اسم غلام عمر. (٨٥) أنساب الاشراف ٥ / ٥٩.

---

[١٤٤]

ابن عبدة النهدي، ورئيس أهل البصرة المثنى بن مخربة العبدي، ورئيس أهل مصر كنانة بن بشر بن عتاب بن عوف السكوني ثم التجيبي، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطى من نفسه، وعاهد الله عليه، وقالوا لا يسعنا الرضا بهذا فاجتمع رأيهم على أن يرجع كل واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصر فيكون رسول من شهد مكة من أهل الخلاف على عثمان إلى من كان على رأيهم من أهل بلده، وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره ويستعتبوه، فان أعتب وإلا رأوا رأيهم فيه، ففعلوا ذلك. ولما كانت مصر (٨٦) اشد على عثمان من غيره وأراد عثمان أن يخفف من غلوائهم أرسل إلى رئيسهم ابن أبي حذيفة بمال في ما رواه البلاذري (٨٧) أيضا وقال: وبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبحمل عليه كسوة فأمر به فوضع في المسجد وقال: يا معشر المسلمين الا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه ! ؟ فازداد أهل مصر عيبا لعثمان وطعنا عليه واجتمعوا إلى ابن أبي حذيفة فرأسوه عليهم. إن دراهم عثمان لم تمنع المصريين من موافاة المدينة في موعدهم مع أهل الامصار بل خرجوا من مصر مع محمد بن أبي بكر في ما رواه الصبري وقال (٨٨): فقدم محمد بن أبي بكر وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر فلما خرج المصريون خرج عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة وأظهروا أنهم يريدون العمرة وخرجوا في رجب، وبعث عبد الله بن سعد رسولا سار احدى عشرة ليلة يخبر عثمان أن ابن عديس البلوي وأصحابه قد وجهوا نحوه، وأن محمد بن أبي حذيفة شيعهم إلى عجرود ثم رجع وأظهر محمد أن قال خرج القوم عمارا وقال في السر خرج القوم إلى إمامهم فان نزع والا قتلوه، وسار القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا ذا خشب.

---

(٨٦) الطبري ٥ / ١١٤ ؤ ١١٥، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٤. (٨٧) أنساب الاشراف، ٥ / ٥٩. (٨٨) الطبري ٥ / ١٠٩، وط.

أوربا ١ / ٢٩٦٨.

---

[١٤٥]

وقال في حديث آخر له: ثم إن عبد الله بن سعد خرج إلى عثمان في آثار المصريين وقد كان كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه فاذن له فقدم ابن سعد حتى إذا كان بايلة بلغه ان المصريين قد رجعوا إلى عثمان وأنهم قد حصروه ومحمد بن أبي حذيفة بمصر، فلما بلغ محمدا حصر عثمان وخروج عبد الله بن سعد عنه غلب على مصر فاستجابوا له، فاقبل عبد الله بن سعد يريد مصر فمنعه ابن أبي حذيفة فتوجه إلى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان (رض). وروى الطبري (٨٩) بسنده إلى الزبير بن العوام قال: كتب أهل مصر بالسقيا أو بذي خشبإلى عثمان بكتاب، فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه، فلم يرد عليه شيئا، فأمر به فأخرج من الدار، وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة الوية لها رؤوس أربعة، مع كل رجل منهم لواء، وكان جماع أمرهم جميعا إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وكان من أصحاب النبي (ص)، وإلى عبد الرحمن بن عديس التجيبي، فكان في ما كتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فاعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالله الله، ثم الله الله فانك على دنيا فاستتم إليها معها آخرة ولا تنس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا، واعلم أنا والله لله نغضب، وفي الله نرضى، وإنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة أو ضلالة مجلحة مبلجة (*)، فهذه مقالتنا لك وقضيتنا إليك، والله عذيرنا منك

---

(٨٩) الطبري ٥ / ١١٢ ١١١، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٧ ٢٩٨٦، والبلاذري ٥ / ٦٥ ٦٤، وابن الاثير ٣ / ٦٨، وشرح النهج ١ / ١٦٤ ١٦٣، وابن كثير ٧ / ١٧٢، وابن أعثم في ذكره ما نقم على عثمان وابن خلدون ٢ / ٣٩٧ ٣٩٦.السقيا من أسافل أودية تهامة وذي خشب على مسيرة ليلة من المدينة معجم البلدان.جلح على الشئ أقدم إقداما شديدا. وجلح في الامر: صمم وركب رأسه. مبلجة واضحة بينة.

---

[١٤٦]

والسلام. وروى البلاذري (٩٠) وقال: اوتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له: دعني آت القوم فانظر ماذا يريدون، فمضى نحوهم، فلما دنا منهم صاحوا به: يا أعور وراءك ! يا فاجر وراءك ! يا فاسق وراءك ! فرجع ودعا عثمان عمرو بن العاص، فقال له: إئت القوم فادعهم إلى كتاب الله والعتبى مما ساءهم، فلما دنا منهم سلم، فقالوا: لا سلم الله عليك ! إرجع يا عدو الله ! إرجع يا ابن النابغة ! فلست عندنا بأمين ولا مأمون. فقال له ابن عمر، وغيره: ليس لهم إلا علي بن أبي طالب، فلما أتاه قال: يا أبا الحسن ! إئت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه. قال: نعم إن اعطيتني عهد الله وميثاقه على أنك تفي لهم بكل ما أضمنه عنك. قال: نعم، فأخذ علي عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ. وخرج إلى القوم. فقالوا: وراءك ! قال: لا. بل أمامي، تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم. فعرض عليهم ما بذل. فقالوا: أتضمن ذلك عنه. قال: نعم. قالوا: رضينا. وأقبل وجوههم وأشرافهم مع علي حتى دخلوا على عثمان وعاتبوه، فأعتبهم من كل شئ. فقالوا: أكتب بهذا كتابا، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين

---

(٩٠) أنساب الاشراف ٥ / ٦٤ ٦٣.

---

[١٤٧]

والمسلمين، أن لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه. يعطى المحروم. ويؤمن الخائف. ويرد المنفي. ولا تجمر في البعوث، ويوفر الفئ، وعلي بن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما في هذا الكتاب. شهد الزبير بن العوام. وطلحة بن عبيدالله. وسعد بن مالك أبي وقاص. وعبد الله بن عمر. وزيد بن ثابت. وسهل بن حنيف. وأبو أيوب خالد بن زيد. وكتب في ذي القعدة سنة ٣٥. فأخذ كل قوم كتابا فانصرفوا. ويظهر من رواية البلاذري وغيره أن الخليفة كان قد كتب للمصريين خاصة كتابا آخر غير هذا

عزل فيه ابن أبي سرح عنهم وولى عليهم بدله محمد ابن أبي بكر فقد جاء في رواية للبلاذري: فقام طلحة إلى عثمان فكلمه بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة (رض) تسأله أن ينصفهم من عامله، ودخل عليه علي بن أبي طالب وكان متكلم القوم فقال له: إنما يسألك القوم رجلا مكان رجل، وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم، فان وجب عليه حق فأنصفهم منه. فقال لهم: إختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه. فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر الصديق (٩١) فقالوا: استعمل علينا محمد بن أبي بكر. فكتب عهده وولاه ووجه معهم عدة من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح. وقال علي بن أبي طالب (٩٢) لعثمان: أخرج فتكلم كلاما يسمعه الناس منك ويشهدون عليه، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والانابة فان البلاد قد تمخضت عليك، فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من الكوفة فتقول: يا علي !

---

(٩١) يغلب على الظن أن أم المؤمنين عائشة أخت محمد، وطلحة ابن عمها وغيرهما من بني تيم لم يكونوا بعيدين عن هذه الاشارة.

(٩٢) عدنا إلى الرواية السابقة التي ذكرنا مصادرها في الهامش ٩٣.

---

[١٤٨]

إركب إليهم. ولا أقدر أن أركب إليهم، ولا أسمع عذرا، ويقدم ركب آخرون من البصرة فتقول: يا علي ! إركب إليهم، فان لم أفعل رأيتني قطعت رحمك، واستخففت بحقك. قال: فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها، وأعطى من نفسه التوبة، فقام فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس ! فوالله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله وما جئت شيئا إلا وأنا أعرفه، ولكني منتني نفسي وكذبتني وضل عني رشدي، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من زل فليتب، ومن أخطأ فليتب، ولا يتمادى في الهلكة. إن تمادى في الجور كان أبعد من الطريق وأنا أول من اتعظ. استغفر الله مما فعلت وأتوب إليه فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم، فوالله لئن ردني الحق عبدا لاستن بسنة العبد، ولاذلن ذل العبد، ولاكونن كالمرقوق، إن ملك صبر، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يعجزن عني خياركم أن يدنوا إلي، فان أبت يميني لتتابعن شمالي. قال: فرق الناس له يومئذ وبكى من بكى منهم، وقام إليه سعيد بن زيد، فقال: يا أمير المؤمنين ليس بواصل لك من ليس معك الله الله في نفسك، فأتمم على ما قلت، فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيدا ونفرا من بني أمية، ولم يكونوا شهدوا الخطبة، فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين ! أتكلم أم أصمت ؟ فقالت نائلة بنت الفرافصة إمرأة عثمان الكلبية: لا بل اصمت فانهم والله قاتلوه ومؤثموه. إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فاقبل عليها مروان وقال: ما أنت وذاك فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضأ، فقالت له: مهلا يا مروان عن ذكر الآباء، تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه، وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه، أما والله لولا أنه عمه وأنه يناله غمه لاخبرتك عنه

---

[١٤٩]

ما لن أكذب عليه. قال: فأعرض عنها مروان ثم قال: يا أمير المؤمنين ! أتكلم أم أصمت ؟ قال: بل تكلم. فقال مروان: بأبي أنت وأمي والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيين (*)، وخلف السيل الزبى (*)، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل والله لاقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها وإنك إن شئت تقربت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة، وقد اجتمع عليك بالباب مثل الجبال من الناس، فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلمهم فاني استحيي أن أكلمهم قال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضا، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم ! كأنكم قد جئتم للنهب ! ؟ شاهت الوجوه ! كل إنسان آخذ بإذن صاحبه إلا من أريد ؟ جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ! ؟ أخرجوا عنا. أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم، إرجعوا إلى منازلكم فانا والله ما نحن مغلوبين على ما في ايدينا. قال: فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى عليا فأخبره الخبر فجاء علي (ع) مغضبا حتى دخل على عثمان، فقال: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به ! والله ما مروان بذي رأي في

دينه ولا نفسه، وأيم الله إني لاراه سيوردك ثم لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك وغلبت على أمرك. فلما خرج علي دخلت عليه نائلة بنت الفرافصة إمرأته، فقالت: أتكلم أم أسكت ؟ فقال: تكلمي. فقالت: قد سمعت قول علي لك، وإنه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء، قال: فما أصنع ؟ قالت: تتقي الله وحده لا شريك له وتتبع سنة صاحبيك من قبلك، فانك متى أطعت مروان قتلك،

أصل المثل: جاوز الحزام الطبيين. والطبي: حلمة الضرع، وهو كناية عن المبالغة في تجاوز حد الشر والاذى.أصل المثل: بلغ السيل الزبى، وهي جمع زبية وهي الرابية التي لا يعلوها الماء.

---

[١٥٠]

ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة، وإنما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى علي فاستصلحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى. قال فأرسل عثمان إلى علي فأبى أن يأتيه، وقال: قد أعلمته أني لست بعائد. فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه فقال: أتكلم أو أسكت ؟ فقال: تكلم. فقال: إن بنت الفرافصة. فقال عثمان لا تذكرنها بحرف فأسوء لك وجهك فهي والله أنصح لي منك. فكف مروان. وأخرج الطبري (٩٣) بسنده إلى عبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم قال: قبح الله مروان ! خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا بكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مخضلة من الدموع وهو يقول: اللهم إني أتوب إليك، اللهم إني أتوب إليك، اللهم إني أتوب إليك. والله لئن ردني الحق إلى أن أكون عبدا قنا لارضين به، إذا دخلت منزلي فادخلوا علي، فوالله لا احتجب منكم، ولاعطينكم، ولازيدنكم على الرضا، ولانحين مروان وذويه. قال: فلما دخل أمر بالباب ففتح ودخل بيته ودخل عليه مروان، فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى فتله عن رأيه، وأزاله عما كان يريد. فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياء من الناس، وخرج مروان إلى الناس فقال: شاهدت الوجود إلا من اريد، إرجعوا إلى منازلكم فإن يكن لامير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه وإلا قر في بيته، قال عبد الرحمن فجئت إلى علي فأجده بين القبر والمنبر فأجد عنده عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر (٩٤) وهما يقولان: صنع مروان بالناس وصنع قال: فأقبل علي علي.

---

(٩٣) الطبري ٥ / ١١٢، وط. أوربا / ٢٩٧٩ ٢٩٧٧، وراجع ابن الاثير ٣ / ٩٦، وقد أخرج البلاذري قسما منه في الانساب ٥ / ٦٥. (٩٤) يظهر من هذه الرواية ان هذه المحاورة في المسجد وقعت بعد رجوع المصريين.

---

[١٥١]

فقال: أحضرت خطبة عثمان ؟ قلت: نعم. قال: أفحضرت مقالة مروان للناس ؟ قلت: نعم. قال علي: عياذ الله يا للمسلمين، إني إن قعدت في بيتي قال لي تركتني وقرابتي وحقي، وإني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعت بن مروان فصار سيقة له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله. قال عبد الرحمن بن الاسود: فلم يزل حتى جاء رسول عثمان إئتني، فقال علي بصوت مرتفع عال مغضب: قل له: ما أنا بداخل عليك ولا عائد. قال: فانصرف الرسول، فلقيت عثمان بعد ذلك بليلتين جائيا فسألت " ناتلا " غلامه: من أين جاء أمير المؤمنين ؟ فقال: كان عند علي، فقال عبد الرحمن بن الاسود: فغدوت فجلست مع علي (ع) فقال لي: جاءني عثمان بارحة فجعل يقول: إني غير عائد إني فاعل، قال: فقلت له: بعدما تكلمت به على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وأعطيت من نفسك، ثم دخلت بيتك، وخرج مروان إلى الناس فشتمهم على بابك ويؤذيهم ؟ قال: فرجع وهو يقول: قطعت رحمي وخذلتني وجرأت الناس علي، فقلت: والله إني لاذب الناس عنك، ولكني كلما جئتك بهنة أظنها لك رضى جاء بأخرى فسمعت قول مروان علي واستدخلت مروان. قال: ثم انصرف إلى بيته فلم أزل أرى عليا منكبا عنه لا يفعل ما كان يفعل.. الحديث. أخرج الطبري (٩٥) بسنده إلى عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: لما حصر عثمان الحصر الآخر قال عكرمة: فقلت لابن عباس: أو كانا حصرين ؟ فقال ابن عباس: نعم الحصر الاول حصر اثنتي عشرة وقدم

---

(٩٥) الطبري ٥ / ١٣٩، وط. أوربا ١ / ٣٠٣٩ ٣٠٣٨.

---

[١٥٢]

المصريون فلقيهم علي بذي خشب فردهم عنه، وقد كان والله علي له صاحب صدق حتى أوغر نفس علي عليه، جعل مروان وسعيد وذووهما يحملونه على علي فيتحمل ويقولون: لو شاء ما كلمك أحد، وذلك أن عليا كان يكلمه وينصحه، ويغلظ عليه في المنطق في مروان وذويه، فيقولون لعثمان هكذا يستقبلك وانت إمامه وسلفه وابن عمه وابن عمته، فما ظنك بما غاب عنك منه، فلم يزالوا بعلي حتى أجمع ألا يقوم دونه، فدخلت عليه اليوم الذي خرجت فيه إلى مكة فذكرت له أن عثمان دعاني إلى الخروج، فقال لي: ما يريد عثمان أن ينصحه أحد، اتخذ بطانة أهل غش ليس منهم أحد إلا قد تسبب بطائفة من الارض يأكل خراجها ويستذل أهلها. فقلت له ان رحما وحقا فان رأيت أن تقوم دونه فعلت، فإنك لا تعذر إلا بذلك، قال: قال ابن عباس: فالله يعلم أني رايت فيه الانكسار والرقة لعثمان، ثم إني لاراه يؤتى إليه عظيم.. الحديث. وأخرج (٩٦) في حديث آخر له: أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقام رجل فقال: أقم كتاب الله، فقال عثمان: إجلس فجلس حتى قام ثلاثا، فأمر به عثمان فجلس، فتحاثوا بالحصباء حتى ما ترى السماء وسقط عن المنبر وحمل فأدخل داره مغشيا عليه فخرج رجل من حجاب عثمان ومعه مصحف في يده وهو ينادي: " إن الذين فارقوادينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ إنما أمرهم إلى الله ". ودخل علي بن أبي طالب على عثمان (رض) وهو مغشي عليه وبنو أمية حوله، فقال: مالك يا أمير المؤمنين ؟ فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد فقالوا: يا علي ! أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين أما والله لئن بلغت الذي تريد لنمرن عليك الدنيا. فقام علي مغضبا.

---

(٩٦) الطبري ٥ / ١١٣، وط. أوربا ١ / ٢٩٩٠ ٢٩٧٩. كذا وردت الكلمة في الطبري ٥ / ١١٣، أما في القرآن الكريم فقد جاءت: فرقوا.

---

[١٥٣]

وأخرج في حديث آخر (٩٧) وقال: كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبدا حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله، فلما خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج ؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه امداده. فقال: إن القوم لن يقبلوا التعليل وهم محملي عهدا وقد كان مني في قدمتهم الاولى ما كان، فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به. فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين ! مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب، فأعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طاولوك فانما هم بغاوا عليك فلا عهد لهم، فأرسل إلى علي فدعاه فلما جاءه قال: يا أبا الحسن ! إنه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان مني ما قد علمت، ولست آمنهم على قتلي، فارددهم عني، فان لهم الله عزوجل أن أعتبهم من كل ما يكرهون، وأن أعطيهم من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمي. فقال له علي: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإني لارى قوما لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الاولى عهدا من الله لترجعهن عن جميع ما نقموا، فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشئ من ذلك، فلا تغرني هذه المرة من شئ، فاني معطيهم عليك الحق. قال: نعم، فأعطهم فوالله لافين لهم. فخرج علي إلى الناس فقال: أيها الناس ! إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه إن عثمان زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه ووكدوا عليه.

---

(٩٧) الطبري ٥ / ١١٧ ١١٦، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٩ ٢٩٨٧، وابن الاثير ٣ / ٧٢ ٧١ وابن أبي الحديد ١ / ١٦٦.

---

[١٥٤]

قال الناس: قد قبلنا. فاستوثق منه لنا فإنا والله لا نرضى بقول دون فعل. فقال لهم علي: ذلك لكم، ثم دخل عليه فأخبره الخبر. فقال عثمان: إضرب بيني وبينهم أجلا يكون لي فيه مهلة فاني لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد. قال علي: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك. قال: نعم، ولكن أجلني في ما بالمدينة ثلاثة أيام. قال علي: نعم. فخرج إلى الناس فأخبرهم

بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتابا أجله فيه ثلاثا على أن يرد كل مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه، ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناسا من وجوه المهاجرين والانصار، فكف المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه، فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح، وقد كان اتخذ جندا عظيما من رقيق الخمس، فلما مضت الايام الثلاثة وهو على حاله لم يغير شيئا مما كرهوه، ولم يعزل عاملا، ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الانصاري حتى أتى المصريين وهم بذي خشب فأخبرهم الخبر وسار معهم حتى قدموا المدينة فأرسلوا إلى عثمان: ألم نفارقك على أنك تائب من احداثك، وراجع عما كرهنا منك وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقة ؟ قال: بلى أنا على ذلك. قالوا: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك وكتبت به إلى عاملك ؟ ! قال: ما فعلت ولا لي علم بما تقولون ! قالوا: بريدك على جملك، وكتابك كاتبك عليه خاتمك ! قال: أما الجمل فمسروق، وقد يشبه الخط الخط، وأما الخاتم فقد انتقش عليه. قالوا: فانا لا نعجل عليك وإن كنا قد اتهمناك، اعزل عنا عمالك

---

[١٥٥]

الفساق، واستعمل علينا من لا يتهم على دمائنا وأموالنا، واردد علينا مظالمنا. قال عثمان: ما أراني إذا في شئ إن كنت استعمل من هويتم وأعزل من كرهتم. الامر إذا أمركم. قالوا: والله لتفعلن، أو لتعزلن، أو لتقتلن. فانظر لنفسك أو دع، فأبى عليهم وقال: لم أكن لاخلع سربالا سربلني الله. وقصة عثور المصريين على الكتاب في ما أخرجه البلاذري وغيره (٩٨) واللفظ للبلاذري عن أبي مخنف قال: لما شخص المصريون بعد الكتاب الذي كتبه عثمان فصاروا بأيلةأو بمنزل قبلها رأوا راكبا خلفهم يريد مصر فقالوا له: من أنت ؟ فقال: رسول أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد، وأنا غلام أمير المؤمنين وكان أسود. فقال بعضهم لبعض: لو أنزلناه وفتشناه ألا يكون صاحبه قد كتب فينا بشئ، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئا، فقال بعضهم لبعض: خلوا سبيله، فقال كنانة بن بشر: أما والله دون أن أنظر في إداوته فلا. فقالوا: سبحان الله أيكون كتاب في ماء ؟ فقال: إن الناس حيلا. ثم حل الاداوة فإذا فيها قارورة مختومة أو قال مضمومة في جوف القارورة كتاب في أنبوب من رصاص فأخرجه فقرئ فإذا فيه: أما بعد: فإذا قدم عليك عمرو بن بديل فاضرب عنقه، واقطع يدي ابن عديس، وكنانة، وعروة، ثم دعهم يتشحطون في دمائهم حتى يموتوا. ثم أوثقهم على جذوع النخل. فيقال: إن مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان، فلما عرفوا ما في

---

(٩٨) أنساب الاشراف ٥ / ٦٩ ٢٦ و ٩٥، والطبري ٥ / ١٢٠ ١١٩، وط. أوربا ١ / ٢٩٩٧ ٢٩٨٤، والرياض النضرة ٢ / ١٢٥ ١٢٣، وراجع المعارف لابن قتيبة ٨٤، والعقد الفريد ٢ / ٢٦٣، وابن الاثير ٣ / ٧١ ٧٠، وابن أبي الحديد ١ / ١٦٦ ١٦٥، وابن كثير ٧ / ١٨٩ ١٧٣، وتاريخ الخميس ٢ / ٢٥٩.آخر الحجاز وأول الشام.

---

[١٥٦]

الكتاب، قالوا: عثمان محل، ثم رجعوا عودهم على بدئهم حتى دخلوا المدينة فلقوا عليا بالكتاب، وكان خاتمه من رصاص، فدخل به علي على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه، وقال: أما الخط فخط كاتبي وأما الخاتم فعلى خاتمي، قال علي: فمن تتهم ؟ قال: أتهمك واتهم كاتبي. فخرج علي مغضبا وهو يقول: بل هو أمرك. قال أبو مخنف، وكان خاتم عثمان بدءا عند حمران بن أبان، ثم أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه. وفي رواية أخرى: ثم وجدوا كتابا إلى عامله على مصر أن يضرب أعناق رؤساء المصريين، فرجعوا ودفعوا الكتاب إلى علي فأتاه به فحلف له أنه لم يكتبه ولم يعلم به. فقال له علي: فمن تتهم فيه ؟ فقال: أتهم كاتبي وأتهمك يا علي ! لانك مطاع عند القوم ولم تردهم عني. وجاء المصريون إلى دار عثمان فأحدقوا بها، وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم: يا عثمان ! أهذا كتابك ؟ فجحد وحلف. فقالوا: هذا شر، يكتب عنك بمالا تعلمه، ما مثلك يلي أمور المسلمين، فاختلع من الخلافة. فقال: ما كنت لانزع قميصا قمصنيه الله. وقالت بنو أمية: يا علي ! أفسدت علينا أمرنا ودسست وألبت. فقال: يا سفهاء ! إنكم لتعلمون أنه لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وإني رددت أهل مصر عن عثمان ثم أصلحت أمره مرة بعد أخرى، فما حيلتي ؟ وانصرف وهو يقولك اللهم إني برئ مما يقولون ومن دمه إن حدث به حدث. قال: وكتب عثمان حين حصروه كتابا قرأه ابن الزبير على الناس وقيل بل

قرأه الزبير والاول أصح يقول فيه:

[١٥٧]

والله ما كتبت الكتاب، ولا أمرت به، ولا علمت بقصته، وأنتم معتبون من كل ما ساءكم، فأمروا على مصركم من أحببتم، وهذه مفاتيح بيت مالكم فادفعوها إلى من شئتم. فقالوا قد اتهمناك بالكتاب فاعتزلنا. وفي رواية اخرى للطبري (٩٩): حتى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاما لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد فكروا وانتهوا إلى المدينة وقد تخلف بها من الناس الاشتر وحكيم بن جبلة فأتوا بالكتاب فأنكر عثمان أن يكون كتبه وقال: هذا مفتعل. قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك ؟ قال: أجل، ولكنه كتبه بغير أمري. قالوا: فان الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك ؟ قال: أجل ولكنه خرج بغير إذني. قالوا: فالجمل جملك. قال: أجل ولكنه أخذ بغير علمي. قالوا: ما أنت إلا صادق أو كاذب. فان كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقها، وإن كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك، لانه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقطع مثل هذا الامر دونه لضعفه وغفلته، وقالوا له: إنك ضربت رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحق عندما يستنكرون من أعمالك فأقد من نفسك من ضربته وأنت له ظالم. فقال: الامام يخطئ ويصيب فلا أقيد من نفسي لاني لو أقدت كل من أصبته بخطأ آتي على نفسي. قالوا: إنك قد أحدثت أحداثا عظاما فاستحققت بها الخلع، فإذا كلمت

(٩٩) الطبري ٥ / ١٢١ ١٢٠، وط. أوربا ١ / ٢٩٩٧ ٢٩٩٥.

[١٥٨]

فيها أعطيت التوبة، ثم عدت إليها وإلى مثلها، ثم قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة والرجوع إلى الحق ولامنا فيك محمد بن مسلمة وضمن لنا ما حدث من أمر فاحضرته فتبرأ منك وقال: لا أدخل في أمره، فرجعنا أول مرة لنقطع حجتك ونبلغ أقصى الاعذار نستظهر بالله عزوجل عليك فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره بالقتل والقطع والصلب وزعمت أنه كتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جملك وبخط كاتبك وعليه خاتمك فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم والاثرة في القسم، والعقوبة للامر بالتبسط من الناس، والاظهار للتوبة ثم الرجوع إلى الخطيئة، ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من لم يحدث مثل ما جربنا منك، ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا، فان ذلك أسلم لنا منك، وأسلم لك منا. فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون ؟ قالوا: نعم. قال: بعد الحمد والثناء أما بعد: فانكم لم تعدلوا في المنطق ولم تنصفوا في القضاء، أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصا قمصنيه الله عزوجل وأكرمني به وخصني به على غيري ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشئ عابه المسلمون، فإن والله الفقير إلى الله الخائف منه. قالوا: إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه ولم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك، وأن ننصرف عنك، ولكنه قد كان من الاحداث قبل هذا ما قد علمت ولقد انصرفنا عنك في المرة الاولى وما نخشى أن تكتب فينا ولا من اعتللت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك، وكيف نقبل توبتك، وقد بلونا منك أنك لا تعطي من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه ؟ فلسنا منصرفين حتى نعزلك ونستبدل بك، فان حال من معك من قومك وذوي رحمك وأهل الانقطاع دونك بقتال قاتلناهم حتى نخلص إليك فنقتلك أو

[١٥٩]

تلحق أرواحنا بالله. فقال عثمان: أما أن أتبرأ من الامارة فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عزوجل وخلافته، وأما قولكم: تقاتلون من قاتل دوني، فاني لا آمر أحدا بقتالكم فمن قاتلكم دوني فإنما قاتل بغير أمري، ولعمري لو كنت أريد قتالكم لقد كتبت إلى الاجناد، فقادوا الجنود، وبعثوا الرجال أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو العراق فالله الله في أنفسكم، أبقوا عليها إن لم تبقوا علي، فانكم مجتلبون بهذا الامر إن قتلتموني دما. قال: ثم انصرفوا عنه وآذنوه بالحرب وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلمه أن يردهم فقال: والله لا أكذب الله في سنة مرتين. وفي رواية اخرى للبلاذري (١٠٠): ان المصريين لما قدموا فشكوا عبد الله بن سعد بن أبي سرح،

سألوا عثمان أن يولي عليهم محمد بن أبي بكر. فكتب عهده وولاه ووجه معهم عدة من المهاجرين والانصار ينظرون في ما بينهم وبين ابن سرح، فشخص محمد بن أبي بكر وشخصوا جميعا، فلما كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير وهو يخبط البعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب. فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر: ما قصتك وما شأنك ؟ كأنك هارب أو طالب. فقال لهم مرة: أنا غلام أمير المؤمنين، وقال مرة أخرى: أنا غلام مروان، وجهني إلى عامل مصر برسالة. قالوا: فمعك كتاب ؟ قال: لا. ففتشوه، فلم يجدوا معه شيئا، وكانت معه إداوة قد يبست فيها شئ يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الاداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح.

---

(١٠٠) أنساب الاشراف ٥ / ٦٨ ٦٧.

---

[١٦٠]

فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان، فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمد وقر على عملك حتى يأتيك رأيي، واحبس من يجئ إلي متظلما منك إن شاء الله. فلما قرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر ممن كان معه، ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة، فجمعوا عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم، وأخبروهم بقصة الغلام وأقرأوهم الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وعمار بن ياسر وأبي ذر حنقا وغيظا، وقام أصحاب النبي بمنازلهم ما منهم أحد الا وهو مغتم لما في الكتاب. وحاصر الناس عثمان، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيدالله، وكانت عائشة تقرصه كثيرا.. الحديث. وفي البدء والتاريخ (١٠١): كان اشد الناس على عثمان طلحة والزبير ومحمد ابن أبي بكر وعائشة، وخذله المهاجرون والانصار، وتكلمت عائشة في أمره، وأطلعت شعرة من شعرات رسول الله صلى الله عليه وآله ونعله وثيابه وقالت: ما أسرع ما نسيتم سنة نبيكم، فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال وغضب حتى ما كان يدري ما يقول، إنتهى. كان أشد الناس على عثمان رؤوس آل تيم الثلاثة: أم المؤمنين عائشة وأخوها محمد بن أبي بكر وابن عمهما طلحة بن عبيدالله وذكروا من مواقف أم المؤمنين مع عثمان شيئا كثيرا.

---

(١٠١) أنساب الاشراف ٥ / ٢٠٥.

---

[١٦١]

منها ما ذكره اليعقوبي في تاريخه (١٠٢) حيث قال: كان عثمان يخطب إذ دلت عائشة قميص رسول الله ونادت: " يا معشر المسلمين ! هذا جلباب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته " فقال عثمان: " رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم ". وقال ابن أعثم (١٠٣): ولما رأت أم المؤمنين اتفاق الناس على قتل عثمان، قالت له: أي عثمان ! خصصت بيت مال المسلمين لنفسك، وأطلقت أيدي بني أمية على أموال المسلمين، ووليتهم البلاد، وتركت أمة محمد في ضيق وعسر، قطع الله عنك بركات السماء وحرمك خيرات الارض، ولولا أنك تصلي الخمس لنحروك كما تنحر الابل (١٠٤). فقرأ عليها عثمان: " ضرب الله مثلا للذين كفروا إمرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين " (١٠٥). إنتهى. إن هذه الكلمات القارصة من الخليفة في أم المؤمنين عائشة ذات الطبع الحاد والتي لم تكن لتملك نفسها عند سورة الغضب، والكتاب الذي عثر عليه اخوها محمد في طريقه إلى مصر والذي فيه أمر صريح بقتله وآخرين من رفقته ممن أدركوا صحبة النبي وغيرهم من المسلمين، قد دفعت أم المؤمنين التي كانت تذهب نفسها في سبيل الدفاع عن ذوي قرباها أن تصدر الفتوى

---

(١٠٢) أنساب الاشراف ٢ / ١٧٥. (١٠٣) كتاب الفتوح / ص ١١٥ (١٠٤) ينبغي أن تكون هذه المحاورة قبل عثور أخيها محمد على كتاب عثمان في طريق مصر يأمر فيه بقتلهم، فإنها بعد ذلك كان تفتي بقتله غير مبالية بصلاته. (١٠٥) الآية العاشرة من سورة التحريم وكان عثمان يعرض بها إلى ما أطبق عليه المفسرون من أن منشأ قصة التحريم ما قامت به أم المؤمنين عائشة وأخرى

معها من أمهات المؤمنين فنزلت فيهما سورة التحريم.

---

[١٦٢]

الصريحة بقتل الخليفة عثمان وكفره. فتقول فيه: " أقتلوا نعثلا فقد كفر " (١٠٦). وقالت: أشهد أن عثمان جيفة على الصراط. انطلقت هذه الكلمة من فم أم المؤمنين، فانتشرت بين الناس انتشار النار في الهشيم فتلقفها منها غير ممن لم يكن يجرؤ على التفوه بمثلها وجبابرة قريش في المدينة حضر ممن سنذكرهم بعد تدبر معنى الكلمة ومغزاها. وكلمة نعثل في ما ذكروه بمعاجم اللغة: أ الذكر من الضباع. ب الشيخ الاحمق. ج وقالوا: كان رجل من أهل مصر طويل اللحية يسمى نعثلا. د وقالوا: إن نعثلا كان يهوديا بالمدينة شبه به عثمان (*). إن هذه المعاني لكلمة نعثل لم تغرب عن بال أم المؤمنين ذات العارضة القوية، وإنما رمته بها بعد أن استمدت من فصاحتها وبلاغتها فرمته من قوارضها بمقذعة أصابته في الصميم، وبقيت وصمة عليه، وذهبت في الدهر مثلا، وجرت بعد قولها على لسان أعدائه حتى بعد حياته، فقد جاء في أبيات للاعور الشني (١٠٧): برئت إلى الرحمن من دين نعثل * ودين ابن صخر أيها الرجلان وقال محمد بن أبي سبرة بن أبي زهير القرشي (١٠٨): نحن قتلنا نعثلا بالسيرة * إذ صد عن أعلامنا المنيرة

---

(١٠٦) الطبري ٤ / ٤٧٧، ط. القاهرة سنة ١٣٥٧، وط. أوربا / ٣١١٢، وابن أعثم ص ١٥٥، وابن الاثير ٣ / ٨٧، وابن أبي الحديد ٢ / ٧٧، ونهاية ابن الاثير ٤ / ١٥٦، وشرح النهج ٤ / ٤٥٨.راجع لغة نعثل في النهاية لابن الاثير والقاموس وتاج العروس ولسان العرب. (١٠٧) أنساب الاشراف ٥ / ١٠٥. (١٠٨) صفين، لنصر بن مزاحم ص ٤٣٦.

---

[١٦٣]

ولما نادى ابن العاص يوم صفين بأبيات قال فيها: (ردوا علينا شيخنا كما كان) يأجابه أهل العراق: أبت سيوف مذحج وهمدان * بأن ترد نعثلا كما كان ثم نادى عمرو بن العاص ثانية: (ردوا علينا شيخنا ثم بجل). فرد عليه أهل العراق: (كيف نرد نعثلا وقد قتل) (١٠٩). أفتت أم المؤمنين بقتل الخليفة، وإذا كان هناك امل ضئيل قبل هذه الفتيا في الاصلاح بين المسلمين والخليفة يقوم به علي أو غيره، فقد وقعت الواقعة بعد صدور هذه الفتوى الصريحة، وانطلاقها من فم ام المؤمنين، وقضي الامر. وذلك لما بلغت إليه أم المؤمنين منذ عهد الخليفتين من مكانة مرموقة بين المسلمين بما كانا يعظمانها في كل شئ ويرجعان إليها في الفتيا، وزاد في تأثير فتياها صدورها في أوانها حيث بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين (١١٠). وبعد حصول الانشقاق بين الاسرة الحاكمة من آل أمية في البلاد وأفراد المسلمين بطبقاتهم كافة مما أوردنا بعضا منها وأعرضنا عن ذكر أكثرها روما لاختصار. وبعد هذه الفتيا والتي كانت الجماهير الاسلامية من الصحابة وغيرهم قد صممت على تنفيذها، لم يبق أمام أحد مجال إلا في طريقين: الاعتزال أو القتال. والقتال إما في صف الخليفة المحاصر من قبل الجماهير وإما في صف الجماهير الهادرة الثائرة. فاختار على وسعد من أهل الشورى الاعتزال، وطلحة والزبير القتال في صف الجماهير. إنتشرت على الافواه كلمة أم المؤمنين: " اقتلوا نعثلا " فقالها غيرها لما كانوا

---

(١٠٩) صفين لنصر بن مزاحم ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٤٥٤، وابن أبي الحديد ١ / ٤٨٢ وثم بجل أي ثم حسب. وقد قحل أي قد يبس.
(١١٠) قال ابن الاثير في النهاية وفي حديث عثمان (رض): أما بعد فقد بلغ السيل الزبى.

---

[١٦٤]

ينقمون على عثمان - وإن كانت هي (أول من سمى عثمان نعثلا) (١١١) وممن قالها في حياة الخليفة جبلة بن عمرو الساعدي في ما أخرجه الطبري حيث قال: مر عثمان على جبلة عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعه جامعة، فقال: يا نعثل ! والله لاقتلنك، ولاحملنك على قلوص جرباء ولاخرجنك إلى حرة النار.. الحديث. وفي حديث البلاذري بعد هذا: وأتاه يوما بجامعةفقال: والله لاطرحنها في عنقك، أو لتتركن بطانتك هذه، أطعمت الحارث بن الحكم السوق وفعلت وفعلت، وكان عثمان ولى الحارث السوق فكان يشتري الجلب بحكمه ويبيعه بسومه، ويجبي مقاعد المتسوقين، ويصنع صنيعا منكرا، فكلم في إخراج السوق من يده فلم يفعل، وقيل لجبلة في أمر عثمان وسئل الكف عنه فقال: والله لا ألقى الله غدا فأقول: إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا، فأضلونا السبيل (١١٢). وفي حديث آخر للطبري: (فلما مر عثمان سلم فرد القوم فقال جبلة: لم تردون على رجل فعل كذا وكذا ؟ قال: ثم أقبل على عثمان فقال: والله

لاطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه. قال عثمان: أي بطانة ؟ فوالله إني لا أتخير الناس، فقال: مروان تخيرته، ومعاوية تخيرته، وعبد الله بن عامر بن كريز تخيرته، وعبد الله بن سعد تخيرته، منهم من نزل القرآن بذمه وأباح رسول الله دمه..) الحديث (١١٣).

---

(١١١) ابن ابي الحديد ٢ / ٧٧.الجامعة: سلسلة أو قيد من حديد. (١١٢) أنساب الاشراف ٥ / ٤٧. (١١٣) الطبري ٥ / ١١٤، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٢ ٢٩٨١، والبلاذري ٥ / ٤٧، وراجع ابن الاثير ٣ / ٧٠، وابن أبي الحديد ١ / ١٦٥، وابن كثير ٧ / ١٥٧. وهذه تراجم بعض المذكورين في الحديث ممن لم يسبق ذكرنا ترجمتهم: أ جبلة بن عمرو الانصاري اختلفوا في نسبه وقالوا فيه:.. كان فاضلا من فقهاء الصحابة شهد صفين مع علي وسكن مصر. ترجمته في أسد الغابة ١ / ٢٦٩.

---

[١٦٥]

وممن جبه الخليفة بهذه الكلمة، الجهجاه فيما اخرجه الطبري والبلاذري (١١٤) بسندهما إلى حاطب قال:

ب الحكم بن أبي العاص عم الخليفة عثمان، قال البلاذري في أنساب الاشراف ٥ / ٢٧: ان الحكم بن أبي العاص كان جارا لرسول الله صلى الله عليه وآله في الجاهلية، وكان أشد جيرانه أذى له في الاسلام، وكان قدومه المدينة بعد فتح مكة وكان مغموصا عليه في دينه، فكان يمر خلف رسول الله صلى الله عليه وآله فيغمز به ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه، وإذا صلى قام خلفه فأشار بأصابعه فبقي على تخليجه وأصابته خبلة واطلع على رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وهو في بعض حجر نسائه فعرفه وخرج إليه بعنزة وقال: من عذيري من هذا الوزغة اللعين، ثم قال: لا يساكنني ولا ولده فغربهم جميعا إلى الطائف، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كلم عثمان أبا بكر فيهم وسأله ردهم فأبى ذلك وقال: ما كنت لآوي طرداء رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم لما استخلف عمر كلمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر، فلما استخلف عثمان أدخلهم المدينة وقال: قد كنت كلمت رسول الله فيهم وسألته ردهم فوعدني أن يأذن لهم فقبض قبل ذلك فأنكر المسلمون عليه ادخاله إياهم المدينة. وقال في ص ٢٢٥ من الانساب: وكان يفشي أحاديث الرسول فلعنه وسيره إلى الطائف ومعه عثمان الازرق والحارث وغيرهما من بنيه وقال: لا يساكنني. فلم يزالوا طرداء حتى ردهم عثمان. وقال في ص ٢٨ منه: وكان مما أنكروا على عثمان أنه ولى الحكم صدقات قضاعة حي بالمين فبلغت ثلاث مائة ألف درهم فوهبها له حين أتاه. وقال في ص ٢٧: ومات بالمدينة في خلافة عثمان فصلى عليه وضرب على قبره فسطاطا. وراجع ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة. ج والحارث المذكور في الحديث ابنه والمطرود معه إلى الطائف. د - عبد الله بن عامر بن كريز هو ابن خال عثمان فقد كانت ام عثمان أروى بنت كريز، وقصة توليته البصرة، أن شبل بن خالد دخل على عثمان (رض) حين لم يكن عنده غير أموي فقال: ما لكم معشر قريش أما فيكم صغير تريدون أن ينبل أو فقير تريدون

غناه أو خامل تريدون التنويه باسمه ؟ علام أقطعتم هذا الاشعري العراق يعني أبا موسى الاشعري يأكلها خضما ؟ فقال عثمان: ومن لها ؟ فأشاروا بعبدالله بن عامر وهو ابن ست عشر سنة فولاه حينئذ. اللفظ لعبد البرقي ترجمته لشبل بن خالد في الاستيعاب رقم (٢٦١٣). (١١٤) الطبري ٤ / ١١٤، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٢، والبلاذري ٥ / ٤٨ ٤٧، والرياض النضرة ٢ / ١٢٣، وابن الاثير ٣ / ٧٠، وابن أبي الحديد ١ / ١٦٥، وابن كثير ٧ / ١٧٥، والاصابة ١ / ٢٥٣، والخميس ٢ / ٢٦٠.

---

[١٦٦]

أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا رسول الله صلى الله عليه وآله التي كان يخطب عليها أبو بكر وعمر (رض) فقال له جهجاه: قم يا نعثل فانزل عن هذا المنبر.. الحديث. وفي حديث آخر عن أبي حبيبة: فقام إليه جهجاه الغفاري (١١٥) فصاح: يا عثمان، ألا إن هذه شارف قد جئنا بها عليها عباءة وجامعة فانزل فلندرعك العباءة ولنطرحك في الجامعة ولنحملك على الشارف ثم نطرحك في جبل الدخان. فقال عثمان: قبحك الله وقبح ما جئت به. قال أبو حبيبة ولم يكن ذلك منه إلا عن ملا من الناس، وقام إلى عثمان خيرته وشيعته من بني أمية فحملوه وأدخلوا الدار قال أبو حبيبة فكان آخر ما رأيته فيه. إنتهى. وآخر الحديث السابق: فما خرج بعد ذلك إلا

خرجة أو خرجتين حتى حصر فقتل. إنتهى. حاصر الناس عثمان بعد أن لم يتنازل إلى تلبية مطالبهم، وبعد أن أفتت فيه أم المؤمنين ما أفتت، وتحلبوا عليه من البلاد بعد أن ضاقوا ذرعا بولاته. وبعد أن وصلت من أم المؤمنين (كتب إلى البلاد تحرض المسلمين على الخروج عليه) (١١٦). " وكان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار (١١٧) " ولما اشتد الامر على عثمان أمر مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد (١١٨) فأتيا

---

(١١٥) جهجاه الغفاري اختلفوا في نسبه. شهد بيعة الرضوان إلى بني المصطلق تناول العصا التي كان يخطب عليها عثمان فكسرها على ركبته فدخلت منها شظية في ركتبه وبقي الجرح فيها حتى مات بعد قتل عثمان بسنة. ترجمته في أسد الغابة. (١١٦) أنساب الاشراف ٥ / ١٠٣. (١١٧) أنساب الاشراف ٥ / ٨١. (١١٨) عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد بن أبي العيص بن امية بن عبد شمس. قتل يوم الجمل تحت راية عائشة وقطعت يده فاختطفها نسر وفيها خاتمه فطرحها ذلك اليوم باليمامة، فعرفت يده بخاتمه. (١٩٣ ١٨٧ جمهرة نسب قريش).

---

[١٦٧]

عائشة وهي تريد الحج فقالا لها: لو أقمت، فلعل الله يدفع بك عن هذا الرجل، " وقال مروان: ويدفع لك بكل درهم انفقتيه درهمين (١١٩) ". فقالت: قد قرنت ركائبي واوجبت الحج على نفسي ووالله لا أفعل ! فنهض مروان وصاحبه، ومروان يقول: وحرق قيس علي البلاد * فلما اضطرمت أحجما ورد البيت في الانساب ٥ / ٧٥ هكذا: وحرق قيس علي البلاد * د حتى إذا اضطرمت أجذما فقالت عائشة: يا مروان: " العلك ترى اني في شك من صاحبك (١٢٠) " والله لوددت أنه في غرارة من غرائري هذه وأني طوقت حمله حتى ألقيه في البحر (١٢١). خرجت أم المؤمنين من المدينة متوجهة إلى مكة وخرج ابن عباس (١٢٢) اميرا على الحاج من قبل عثمان فمر بعائشة في الصلصلوهي في طريقها

(١١٩ و ١٢٠) هذه الزيادة في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٤. (١٢١) أخرج هذه الرواية كل من البلاذري في الانساب ٥ / ٧٥، وابن أعثم ص ١٥٥ وابن سعد في الطبقات ط. ليدن ٥ / ٢٥ بترجمة مروان، وذكر في من أتى عائشة زيد بن ثابت. والغرارة: الجوالق. (١٢٢) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، كني بأبيه العباس وهو أكبر ولده، وامه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية ولد والنبي بالشعب من قبل الهجرة بثلاث. شهد مع علي الجمل وصفين والنهروان ثم ولاه البصرة، وترك البصرة في آخر خلافة علي وذهب إلى مكة، ولما وقعت الفتنة بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك ألح ابن الزبير عليه وعلى محمد بن الحنفية ان يبايعا. فأبيا فجمع الحطب على دورهم حتى بلغ رؤوس الجدر ليحرقهم بجاءتهم أربعة آلاف فارس من الكوفة. وانقذتهم وخاف ابن الزبير فتعلق بأستار الكعبة وقال: أنا عائذ بالبيت فمنعهم عنه ابن عباس. وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين أو سبعين وهو ابن سبعين أو احدى وسبعين سنة. الاستيعاب ٣٧٤ ٣٧٢، الترجمة رقم ١٥٩١، وأسد الغابة ٣ / ١٩٥ ١٩٢، والاصابة ٢ / ٢٦ ٢٢.الصلصل: من نواحي المدينة على مسيرة أميال منها: الحموي.

---

[١٦٨]

إلى مكة - فقالت: يا ابن عباس ! انشدك الله فانك أعطيت لسانا ازعيلان تخذل عن هذا الرجل. وفي الانساب: إياك أن ترد عن هذا الطاغية (١٢٣) وان تشكك فيه الناس فقد بانت لهم بصائرهم وانهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لامر قد جم، وقد رأيت طلحة بن عبيدالله قد اتخذ على بيوت الاموال والخزائن مفاتيح، فان يل يسره بسيرة ابن عمه أبي بكر. قال: قلت: يا أمه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا. فقالت: ايها عنك اني لست اريد مكابرتك ولا مجادلتك (١٢٤). ولما رأى عثمان استيلاء طلحة على بيوت الاموال واشتداد الحصار عليه بعث عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بهذا البيت إلى علي: فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلي * والا فأدركني ولما أمزق (١٢٥) وكان علي عند حصر عثمان بخيبر فقدم المدينة والناس مجتمعون عند طلحة وكان ممن له فيه اثر فلما قدم علي أتاه عثمان وقال له: أما بعد ! فان لي حق الاسلام، وحق الاخاء، والقرابة، والصهر، ولو لم يكن من ذلك شئ وكنا في الجاهلية لكان عارا على بني عبدمناف أن ينتزع اخو بني تيم يعني طلحة أمرهم.

أزعيلا: الازعيل: الذلق، وفي القاموس النشيط. (١٢٣) وفي الانساب ٥ / ٧٥. (١٢٤) الطبري ٥ / ١٤٠، وط. أوربا ١ / ٣٠٤٠، وابن أعثم ص ١٥٦، واللفظ للطبري والبلاذري. (١٢٥) أنساب الاشراف ٥ / ٧٨، وقد أورد محاورة عثمان وعلي كل من الطبري ٥ / ١٥٤، وابن الاثير ٣ / ٦٤، والكنز ٦ / ٣٨٩ الحديث ٥٩٦٥، وقد تخيرنا لفظ ابن الاثير لانه أتم وأخصر، وراجع الكامل للمبرد ص ١١ ط. ليدن وزهر الآداب ١ / ٧٥ ط الرحمانية وابن أعثم ١٥٧ ١٥٦. (*)

---

[١٦٩]

فقال له علي: سيأتيك الخبر ثم الخبر ثم نخرج إلى المسجد فرأى أسامة (١٢٦) فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة وهي رجاسمن الناس فقال له: يا طلحة ! ما هذا الامر الذي وقعت فيه (١٢٧) ؟ ! فقال: يا أبا الحسن بعدما مس الحزام الطبين، فانصرف علي ولم يحر إليه شيئا حتى بيت المال، فقال افتحوا هذا الباب، فلم يقدر على المفاتيح فقال: اكسروه فكسر باب بيت المال، فقال: اخرجوا المال فجعل يعطي الناس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع علي، فجعلوا يتسللون إليه حتى ترك طلحة وحده، وبلغ عثمان الخبر فسر بذلك، ثم اقبل طلحة يمشي عائدا إلى دار عثمان.. فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين استغفر الله وأتوب إليه أردت أمرا فحال الله بيني وبينه، فقال عثمان: انك والله ما جئت تائبا ولكنك جئت مغلوبا. الله حسيبل يا طلحة.. إنتهى. وروى الطبري وقال: فحصروه أربعين ليلة وطلحة يصلي بالناس (١٢٨). وروى البلاذري وقال: لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أشد على عثمان من طلحة (١٢٩).

---

(١٢٦) اسامة مولى رسول الله وابن مولاه زيد بن حارثة وابن مولاته وحاضنته ام أيمن وكان يسمى حب رسول الله صلى الله عليه وآله، أمره رسول الله في مرض موته على جيش كان قد انتدبهم لغزو الشام واستوعب في الجيش المهاجرين الاولين. توفي سنة ٥٤، أو ٥٨، أو ٥٩. ترجمته في الاستيعاب رقم ١٢ وأسد الغابة ١ / ٦٦ ٦٥ والاصابة.رجاس، الرجس: الصوت الشديد. سحاب ورعد رجاس: شديد الصوت. (١٢٧) وفي رواية الطبري ط. أوربا ١ / ٣٠٧١، منه ان عليا قال لطلحة: أنشدك الله الا ردت الناس عن عثمان، قال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها. (١٢٨) الطبري ٥ / ١١٧، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٩. (١٢٩) أنساب الاشراف ٥ / ٨١.

---

[١٧٠]

منع طلحة الماء عن عثمان: روى البلاذري (١٣٠) وقال: وكان الزبير وطلحة قد استوليا على الامر ومنع طلحة عثمان أن يدخل عليه الماء العذب فأرسل علي إلى طلحة وهو في أرض له على ميل من المدينة أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بئره يعني من رومة ولا تقتلوه من العطش فأبى.. الحديث. وقال الطبري (١٣١): (ولما اشتد الحصار بعثمان ومنع عنه الماء أرسل عثمان إلى علي يستسقيه، فجاء فكلم طلحة في أن يدخل عليه الروايا وغضب غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان). وقال البلاذري (١٣٢): (فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي ؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم سعد ؟ فقالوا: لا، فسكت، ثم قال: ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا، فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية، حتى وصلت إليه) ومر مجمع بن جارية الانصاري (١٣٣) بطلحة بن عبيدالله فقال: يا مجمع ما فعل صاحبك ؟ قال أظنكم والله قاتليه ! فقال طلحة: فان قتل فلاملك مقرب ولا نبي مرسل (١٣٤). وروى الطبري (١٣٥) عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة أنه قال: دخلت على عثمان فتحدثت عنده ساعة. فقال: يا ابن عياش: تعال. فأخذ بيدي

---

(١٣٠) أنساب الاشراف ٥ / ٩٠. (١٣١) الطبري ٥ / ١١٣. (١٣٢) أنساب الاشراف ٥ / ٦٩ ٦٨. (١٣٣) مجمع بن جارية بن عامر الانصاري الاوسي وكان أبوه ممن اتخذ مسجد الضرار وكان هو غلاما حدثا قد جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا سورة أو سورتين: ترجمته في أسد الغابة ٥ / ٣٠٤ ٣٠٣. (١٣٤) أنساب الاشراف ٥ / ٧٤. (١٣٥) الطبري ٥ / ١٢٢، وط. أوربا ١ / ٣٠٠٠، وابن الاثير ٣ / ٧٣.

---

[١٧١]

فاسمعني كلام من على عثمان فسمعنا كلاما، منهم من يقول: ما تنظرون به ؟ ومنهم من يقول: أنظروا عسى أن يراجع. فبينا أنا وهو واقفان إذ مر طلحة ان عبيدالله فوقف فقال: اين ابن عديس (١٣٦) ؟. فقيل: هاهو ذا. قال: فجاءه ابن عديس فناجاه بشئ، ثم رجع ابن عديس فقال لاصحابه: لا تتركوا أحدا يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده. فقال عثمان: اللهم اكفني طلحة بن عبيدالله فإنه حمل علي هؤلاء وألبهم. والله اني لارجو ان يكون منها صفرا وان يسفك دمه، إنه انتهك مني مالا يحل له.. قال ابن عياش: فأردت ان اخرج فمنعوني حتى مر بي محمد بن أبي بكر، فقال: خلو سبيله فخلوني.. وبلغ عليا أن القوم يريدون قتل عثمان.. فقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه.. فخضب الحسن بالدماء على بابه وشج قنبر مولى علي فلما رأى ذلك محمد ابن أبي بكر خشي أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنة، فأخذ بيد رجلين فقال لهما: إن جاءت بنو هاشم فرأت الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الانصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لانهم كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته، فقال محمد بن أبي بكر: أنا أبدأكما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجاه حتى تقتلاه، فدخل محمد فأخذ بلحيته، فقال عثمان: لو رآك أبوك لساءه مكانك مني، فتراخت يده ودخل الرجل فتوجاه

---

(١٣٦) هو عبد الرحمن بن عديس البلوي. وكان ممن بايع النبي تحت الشجرة وشهد فتح مصر واختط بها. وكان ممن سار إلى عثمان من مصر. وسجنه معاوية بعد بفلسطين وقتل سنة ٣٦ ه بعد أن هرب من السجن. الاصابة، حرف العين، القسم الاول ٤ / ١٧١.

---

[١٧٢]

حتى قتلاه (١٣٧). وفي رواية لابن أبي الحديد: أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام. وروى أيضا: أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دار لبعض الانصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه (١٣٨). وروى الطبري (١٣٩): أنهم دخلوا دار عمرو بن حزم وكانت إلى جنب دار عثمان فناوشوهم شيئا منه مناوشة، وقال: فوالله ما نسينا أن خرج سودان ابن حمران فأسمعه يقول: أين طلحة بن عبيدالله ؟ قد قتلنا ابن عفان. وقال البلاذري (١٤٠): ان عليا لما بلغه الخبر جاء وقال لابنيه: كيف قتل وأنتما على الباب ؟ ! فلطم هذا وضرب صدر ذاك وخرج وهو غضبان يرى أن طلحة أعان على ما كان، فلقيه طلحة، فقال: مالك يا أبا الحسن ؟ فقال عليك لعنة الله، أيقتل رجل من أصحاب رسول الله.. فقال طلحة: لو دفع مروان لم يقتل.. ورنج علي فأتى منزله.. إنتهى. دفن الخليفة: إتفقت الروايات على أن عثمان ترك ثلاثا لم يدفن حتى توسط علي في ذلك. روى الطبري: انهم كلموا عليا في دفنه وطلبوا إليه أن يأذن لاهله ذلك، ففعل وأذن لهم علي، فلما سمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله وهم يريدون به حائطا بالمدينة يقال له حش

---

(١٣٧) أنساب الاشراف ٥ / ٦٩، وذكر فعل محمد بن أبي بكر هذا بألفاظ اخرى، وط. أوربا ١ / ٣٠٢١، كل من الطبري في ٥ / ١١٨، وابن الاثير في تاريخ الكامل ٣ / ٧٠ ٦٨. (١٣٨) ابن أبي الحديد ٢ / ٤٠٤. (١٣٩) الطبري ج ٥ / ١٢٢. (١٤٠) أنساب الاشراف ٥ / ٧٠ ٦٩.

---

[١٧٣]

كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما خرج به على الناس رجموا سريره وهموا بطرحه، فبلغ ذلك عليا، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفن عنه ففعلوا، فانطلق به حتى دفن في حش كوكب، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى افضى به إلى البقيع، فأمر الناس ان يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين. وفي حديث آخر له قال: دفن عثمان (رض) بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه، وأخذ الناس الحجارة وقالوا: نعثل، نعثل، وكادت ترجم.. الحديث (١٤١). بيعة علي: قتل عثمان ورجع إلى المسلمين أمرهم وانحلوا

من كل بيعة سابقة توثقهم فتهافتوا على علي بن أبي طالب يطلبون يده للبيعة. قال الطبري (١٤٢) فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من إمام ولانجد اليوم أحد بهذا الامر منك، لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفيا ولا تكون إلا عن رضى المسلمين.. وروى بسند آخر وقال: اجتمع المهاجرون والانصار فيهم طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا: يا أبا الحسن، هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في

---

(١٤١) الطبري ٤ / ١٤٤ ١٤٣، وط. أوربا ١ / ٣٠٤٦، وابن الاثير ٣ / ٧٦، وابن أعثم ١٥٩، وراجع الرياض النضرة ٢ / ١٣٢ ١٣١. (١٤٢) الطبري ٥ / ١٥٢ - ١٥٣، وط. أوربا ١ / ٣٠٦٦، وراجع كنز العمال ٣ / ١٦١ الحديث ٢٤٧١، فانه يروي تفصيل بيعة علي ومجئ طلحة والزبير إليه وامتناعه عن البيعة... وكذلك حكاه ابن أعثم بالتفصيل في ص ١٦١ ١٦٠ من تاريخه.

---

[١٧٤]

أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا والله، فقالوا: والله ما نختار غيرك، قال: فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان (رض) مرارا ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال الامر فقال لهم: انكم قد اختلفتم إلي وأتيتم وإني قائل لكم قولا إن قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه. قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله، فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال: إني قد كنت كارها لامركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم. ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معي. ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم، رضيتم ؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد عليهم. ثم بايعهم على ذلك. وروى البلاذري (١٤٣) وقال: وخرج علي فأتى منزله، وجاء الناس كلهم يهرعون إلى علي، أصحاب النبي وغيرهم، وهم يقولون: " إن أمير المؤمنين علي " حتى دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فمد يدك فإنه لابد من أمير، فقال علي: ليس ذلك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا (ع)، فقالوا: ما نرى أحدا أحق بهذا الامر منك.. فلما رأى علي ذلك صعد المنبر وكان أول من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلاء فتطير منها علي وقال: ما أخلقه أن ينكث. وروى الطبري (١٤٤): أن حبيب بن ذؤيب نظر إلى طلحة حين بايع. فقال: أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر.. إنتهى. وبينا الناس في المدينة يتشاءمون من مبادءة البيعة بيد طلحة الشلاء

---

(١٤٣) أنساب الاشراف ٥ / ٧٠، وقد روى الحاكم في المستدرك ٣ / ١١٤ تشاؤم علي من بيعة طلحة. (١٤٤) الطبري ٥ / ١٥٣، وط. أوربا ١ / ٣٠٦٨.

---

[١٧٥]

كانت عائشة في طريقها إلى مكة وبمكة تتفاءل بتسابق الناس إلى بيعة تلك اليد الشلاء وقد كانت تتنسم أخبار المدينة بتلهف شديد. وقد روى الطبري (١٤٥) انه قدم على أم المؤمنين مكة رجل يقال له: الاخضر، فقالت: ما صنع الناس ؟ فقال: قتل عثمان المصريين ! فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أيقتل قوما جاءوا يطلبون الحق وينكرون الظلم ! ؟ والله لا نرضى بهذا. ثم قدم آخر. فقالت: ما صنع الناس ؟ قال: قتل المصريون عثمان ! قالت: العجب لاخضر زعم أن المقتول هو القاتل، فكان يضرب المثل، " اكذب من أخضر ". وقال البلاذري (١٤٦): فلما بلغها أمره وهي بمكة أمرت بقبتها فضربت في المسجد الحرام وقالت: إني رأى عثمان سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر. وقد روي عن طرق مختلفة (١٤٧) أن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة قالت: أبعده الله. ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد، وكانت تقول: أبعده الله، قتله ذنبه، وأقاده الله بعمله، يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه، إن أحق الناس بهذا الامر ذو الاصبع. ثم أقبلت مسرعة إلى المدينة وهي لا تشك في أن طلحة هو صاحب الامر، وكانت تقول: بعدا لنعثل وسحقا، إيه ذا الاصبغ، إيه أبا شبل، إيه ابن عم، لله أبوك أما

---

(١٤٥) الطبري ٥ / ١٦٦، وط. أوربا ١ / ٣٠٩٨. (١٤٦) أنساب الاشراف ٥ / ٩١، كنز العمال ٣ / ١٦١ الخلافة والامارة.

(١٤٧) كالمدائني في كتابه الجمل، وأبو مخنف لوط بن يحيى على رواية ابن أبي الحديد عنهما في شرحه: ومن كلامه له بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء: (معاشر الناس، النساء نواقص الايمان) ج ٦ من تجزئة المؤلف ج ٢ / ٧٦ ط. مصر.

---

[١٧٦]

إنهم وجدوا طلحة لها كفؤا، لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع، حثوا الابل ودعدعوها (*). ولما انتهت إلى سرفي طريقها إلى المدينة لقيها عبيد بن أم كلاب (١٤٨) فقالت له: مهيم ؟ قال: قتلوا عثمان (رض) ثم مكثوا ثمانيا. قالت: ثم صنعوا ماذا ؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجماع فجازت بهم الامور إلى خير مجاز، اجتمعوا إلى علي بن أبي طالب، فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الامر لصاحبك، ويحك انظر ما تقول ؟ ! قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين، فولوت، فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين ! ؟ والله لا أعرف بين لابتيهاأحدا أولى بها منه ولا أحق ولا أرى له نظيرا في جميع حالاته فلماذا تكرهين ولايته ؟ إنتهى. صاحبت أم المؤمنين: ردوني. ردوني. فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوما، والله لاطلبن بدمه ! فقال لها ابن أم كلاب: ولم ؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لانت، فلقد كنت تقولين: أقتلوا نعثلا فقد كفر،

دعدعوها: حركوها. (*) سرف على بعد ستة أميال أو أكثر من مكة. معجم البلدان. (١٤٨) هو عبيد بن أبي سلمة الليثي ينسب إلى امه، وقد روى ما دار بينها وبين عبيد كل من الطبري ٥ / ١٧٢، وط. أوربا ١ / ٣١١٢ ٣١١١، وابن الاثير ٣ / ٨٠، وكنز العمال ٣ / ١٦١، وابن سعد ٤ / ٨٨ بترجمة عبيد ابن أم كلاب مختصرا. وابن أعثم (٢ / ٢٤٨ ٢٥٠) ط. حيدر آباد ١٣٨٨ ه، ١٩٦٨ م، وجاء اسمه في الطبري عبد تحريف.لابتيها مفردها لابة، واللابة الحرة. وفي الحديث ان النبي حرم ما بين لابتي المدينة وهما حرتان يكتنفانها. لسان العرب. ومهيم كلمة استفهام ومن معانيها: ما وراءك ؟

---

[١٧٧]

قالت: إنهم اس تتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الاخير خير من قولي الاول، فقال لها ابن أم كلاب: فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر وأنت أمرت بقتل الامام * وقلت لنا انه قد كفر فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم تنكسف شمسنا والقمر وقد بايع الناس ذا تدرأ * يزيل الشبا ويقيم الصعرويلبس للحرب أثوابها * وما من وفى مثل من قد غدر فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت الحجر فتسرت واجتمع إليها الناس، فقالت: يا أيها الناس إن عثمان قتل مظلوما والله لاطلبن بدمه. وكانت تقول: يا معشر قريش إن عثمان قد قتل، قتله علي بن أبي طالب، والله لانملة أو قالت لليلة من عثمان خير من علي الدهر كله (١٤٩). علي والمتخلفون عن بيعته: وتخلف عن البيعة عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وحسان بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، فجاء عمار والاشتر إلى علي فقال

" ذوتدرأ ": ذو عز ومنعة والرجل المدافع عن حماه. " الشبا ": العلو. " الصعر " إمالة الخد عن النظر إلى الناس تهاونا وكبرا. (١٤٩) في رواية البلاذري في الانساب ٥ / ٩١. وروى أبو مخنف عن قيس بن أبي حازم أنه حج في العام الذي قتل فيه عثمان وكان مع عائشة ثم ذكر قريبا مما مر آنفا، راجع ابن أبي الحديد في شرحه: ومن كلام له بعد فراغه من الجمل، وروى أيضا انها لما بلغتها بيعة علي قالت: تعسوا، تعسوا، لا يردون الامر في تيم أبدا.

---

[١٧٨]

عمار: يا أمير المؤمنين ! قد بايعك الناس كافة إلا هؤلاء النفر فلو دعوتهم إلى البيعة كي لا يتخلفوا في ذلك عن المهاجرين والانصار. فقال: يا عمار ! لا حاجة لنا في من لا يرغب فينا. فقال الاشتر: إن هؤلاء وإن كانوا سبقوا بعضنا إلى رسول الله غير أن هذا الامر يجب أن يجمعوا عليه ويرغبوا فيه.. فقال علي: يا مالك ! إني أعرف بالناس منك، ودع هؤلاء يعملوا برأيهم. فجاء سعد إلى علي وقال: والله يا أمير المؤمنين لا ريب لي في أنك أحق الناس بالخلافة وأنك أمين على الدين والدنيا غير أنه سينازعك على هذا الامر أناس، فلو رغبت في بيعتي لك أعطني سيفا له لسان، يقول لي: خذ هذا، ودع هذا. فقال علي: أترى أحدا خالف القرآن في القول أو العمل ؟

لقد بايعني المهاجرون والانصار على أن أعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه فإن رغبت بايعت وإلا جلست في دارك فإني لست مكرهك عليه. إنتهى (١٥٠). أما من تخلف من بني أمية فقد ذكروا عن بيعتهم ما قاله اليعقوبي (١٥١) في تاريخه حيث قال: إن مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة حضروا عند علي، فقال الوليد وكان لسان القوم: يا هذا ! إنك قد وترتنا جميعا، أما أنا، فقد قتلت أبي صبرا يوم بدر، وأما سعيد، فقد قتلت أباه يوم بدر، وكان أبوه ثور قريش، وأما مروان فقد شتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه إليه، وإنا نبايعك على أن تضع عنا ما أصبنا وتعفي لنا عما في أيدينا وتقتل قتلة

---

(١٥٠) كتاب الفتوح لابن أعثم ص ١٦٣. (١٥١) اليعقوبي ٢ / ١٧٨، والمسعودي عند ذكره بيعة علي، وكتاب الفتوح لابن أعثم ص ٢ / ٢٦٠ ٢٥٩ ط. حيدر آباد، واللفظ لليعقوبي.

---

[١٧٩]

صاحبنا، فغضب علي وقال: " أما ما ذكرت من وتري إياكم فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم عما في أيديكم مما كان لله وللمسلمين فالعد يسعكم، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غدا، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله، وسنة نبيه. فمن ضاق الحق عليه، فالباطل عليه أضيق. وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم ". فقال مروان: " بل نبايعك، ونقيم معك. فترى ونرى ". غايتنا من عرض هذه الحوادث: لا يهمنا من عرض هذه الحوادث ما يهم الكتاب العقائديين المتكلمين من هجوم ودفاع، أو مدح وذم، ولا نبحث بحث الفقيه عن حكم قتل الخليفة وقاتله في الشريعة الاسلامية. وصواب اجتهاد أم المؤمنين أو خطأه، ولسنا بصدد صرد الوقائع التاريخية لنلم بها من جميع نواحيها. ليس كل ذلك ما يهمنا، وإنما يهمنا من هذا العرض ما يكون سبيلا ممهدا لفهم أحاديث أم المؤمنين من حيث دراسة شخصيتها كما ذكرنا ذلك غير مرة، ولذلك فقد تركنا ذكر حوادث لا تتصل بموضوع بحثنا كاللاتي نقم فيها على عثمان مما لم يكن لام المؤمنين فيها دور مذكور، وأوجزنا ذكر غيرها مما لا يتصل بحثنا إتصالا مباشرا كواقعة الدار، وبيعة علي إلى نظائرها السابقة الذكر أو الآتية، مما ذكرناها لاتصالها ببعض الابحاث التي نروم بحثها، ولما فيها من مواقف لافراد من أسرة أم المؤمنين كأخيها محمد وابن عمها طلحة، مما نريد أن نعرف منها مدى مقدرة أم المؤمنين السياسية، وعظم نفوذها في الناس، وخبرتها بما يؤثر في النفوس، وكيف أنها استطاعت أن تزعزع كيان خليفتين من الراشدين، فأفتت بقتل خليفة فقتل، وأنه لولاها لما تعدى الامر حصره إلى قتله، ولم يجرؤ أحدى على إراقة دم الخليفة، وهتك حرمة الخلافة، وكيف انقلبت من مفتية بقتله إلى طالبة بثأره بعد فشلها في خطتها المدبرة بتأمير ابن عمها طلحة، وكيف

---

[١٨٠]

استطاعت أن تبرئ القاتل وتجعله مطالبا بثأر القتيل ومن أذب الناس عنه، وكيف استطاعت أن تجمع بين القاتلين والموتورين في جيش واحد، وكيف استطاعت أن تتهم عليا بقتل عثمان وكان أنصح الناس له وأجداهم نفعا في الدفاع عنه، وكيف استطاعت أن تثور المسلمين على علي مع سوابقه الشهيرة. هذه المقدرة السياسية الفذة في التاريخ امتازت بها أم المؤمنين على غيرها. ولم يعن إلى اليوم بدراستها دراسة موضوعية صحيحة (١٥٢) فنسأل الله أن يوفقنا للسير في هذا الطريق وإكماله. بواعث حرب الجمل: إضطر طلحة والزبير تحت ضغط الرأي العام أن يقطعا أملهما في الخلافة، ويبادرا إلى بيعة علي قبل غيرهما ليمنا بذلك عليه، ويكون لهما السهم الاوفر في عهده، غير أنه لم يميز بينهما وبين الآخرين من أفراد المسلمين، فخاب فألهما، وضاع أملهما في علي، وكانا يراجعانه في ما كانا يبغيان من الحظوة بالامرة على ما ذكره اليعقوبي (١٥٣) في تاريخه وقال: أتاه طلحة والزبير، فقالا: إنه قد نالتنا بعد رسول الله جفوة فأشركنا في أمرك، فقال: " أنتما شريكاي في القوة والاستقامة وعوناي على العجز والاود ". وروى بعضهم: أنه ولى طلحة اليمن والزبير اليمامة والبحرين، فلما دفع إليهما عهديهما، قالا له: وصلتك رحم، قال:

---

(١٥٢) قد أصدر بعض العلماء الباحثين دراسات عن أم المؤمنين غير أنهم استندوا في جل أبحاثهم التاريخية، ومحاكماتهم الحديثية إلى موضوعات سيف، المتهم بالزندقة، فجاءت دراساتهم التي أجهدوا فيها أنفسهم زهاء عشر سنوات ويا للاسف مغلوطة من أساسها،

وليتهم يراجعون كتاب عبد الله بن سبأ ليطلعوا على زيف أحاديث سيف، ثم يعودوا إلى هذه الدراسات من جديد، فيتحفونا بدراسة صحيحة حقة غير مجحفة. (١٥٣) اليعقوبي ٢ / ١٨٠ ١٧٩، عند ذكره كيفية بيعة علي من تاريخه.

---

[١٨١]

" وإنما وصلتكما بولاية أمور المسلمين " واسترد العهدين منهما، فعتبا من ذلك وقالا: " آثرت علينا " فقال: " ولولا ما ظهر من حرصكما فقد كان لي فيكما رأي " (١٥٤). وفي الطبري (١٥٥): وسأل طلحة والزبير ان يؤمرهما على الكوفة والبصرة فقال: تكونان عندي فاتجمل بكما فإني وحش لفراقكما. وقد أورد ابن أبي الحديد في شرح النهج (١٥٦) تفصيل ما دار بينهما وبين ابن أبي طالب وكيف تلقيا مساواة علي بين المسلمين في العطاء عندما وزع بيت المال على المسلمين فأعطى لكل واحد منهم ثلاثة دنانير سواء المولى والعربي خلافا لما كان عليه الامر في عهد الخليفة عمر، وما دار من كلام واحتجاج حول ذلك (١٥٧). وروى الطبري (١٥٨) ان طلحة قال: ما لنا من هذا الامر إلا كلحسة الكلب أنفه. بقي طلحة والزبير في المدينة أربعة أشهر يراقبان عليا من قريب، حتى إذا أيسا منه وبلغهما موقف أم المؤمنين بمكة عزما على الخروج من المدينة، فأتيا عليا، فقالا: إنا نريد العمرة، فأذن لنا في الخروج، فقال علي لبعض أصحابه: " والله ما أرادوا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة " (١٥٩) فأذن لهما في الخروج بعد أن جددا له البيعة فخرجا من المدينة، والتحقا بركب أم المؤمنين عائشة. كما التحق بركبها بنو أمية، فإنهم كانوا يتربصون في المدينة، فلما بلغهم

---

(١٥٤) كان النبي لا يولي الحريص على الامارة. البخاري ٤ / ١٥٦ ومسلم ٥ / ٦. (١٥٥) الطبري ٥ / ١٥٣، وط. أوربا ١ / ٣٠٦٩، وابن كثير ٧ / ٢٢٨ ٢٢٧. (١٥٦) شرح النهج ١١ من تقسيم المؤلف. (٢ / ١٧٣ ١٧٠). (١٥٧) راجع كتاب الفتوح لابن أعثم ٢ / ٢٤٨. (١٥٨) الطبري ٥ / ١٥٣، وط. أوربا ١ / ٣٠٦٩. (١٥٩) اليعقوبي ٢ / ١٨٠، وابن أعثم ٢ / ٢٧٥، ط. حيدر آباد ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م بلفظ مختلف.

---

[١٨٢]

مجاهرة أم المؤمنين بالخلاف على علي، غادروا المدينة إلى مكة، والتحق بها أيضا ولاة عثمان الذين عزلهم علي عن الامصار، وهم يحملون معهم من أموال المسلمين ما يحملون. أخرج الطبري (١٦٠) عن الزهري أنه قال: ثم ظهرا يعني طلحة والزبير إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر، وابن عامر بها يجر الدنيا، وقدم يعلى بن أمية معه بمال كثير، وزيادة على اربعمائة بعير، فاجتمعوا في بيت عائشة (رض)، فاداروا الرأي، فقالوا: نسير إلى علي فنقاتله، فقال بعضهم: ليس لكم طاقة باهل المدينة ولكنا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة، ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى، وللزبير بالبصرة هوى ومعونة. فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة والكوفة، فاعطاهم عبد الله بن عامر مالا كثيرا وإبلا، فخرجوا في سبعمائة رجل من أهل المدينة والكوفة، ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل. وفي رواية أخرى للطبري قال (١٦١): أعان يعلى بن أمية الزبير بأربعمائة ألف، وحمل سبعين رجلا من قريش، وحمل عائشة (رض) على جمل يقال له: عسكر، أخذه بثمانين دينارا. وقالت أم سلمة لعائشة لما همت بالخروج (١٦٢): يا عائشة ! إنك سدة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أمته، حجابك مضروب على حرمته، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، وسكن الله عقيراك، فلا

---

(١٦٠) الطبري ٥ / ١٦٨، وط. أوربا ١ / ٣١٠٣. ابن عامر هو عبد الله بن عامر ابن خال عثمان ووالية على البصرة. (١٦١) الطبري ٥ / ١٦٧، وط. أوربا ١ / ٣١٠٢، عن عوف بن يعلى كان على اليمن فعزله علي. (١٦٢) ابن طيفور بلاغات النساء ص ٨ وفي نسخة كتبت إليها ام سلمة، وراجع الفائق للزمخشري ١ / ٢٩٠، والعقد الفريد ٣ / ٦٩، وشرح النهج ٢ / ٧٩، وفي رواية اليعقوبي بعض الاختلاف مع ما أوردناه.

---

[١٨٣]

تصحريها، الله من وراء هذه الامة، قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد فيك، عهد، بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد، ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد عارضك بأطراف الفلوات ناصة قلوصك قعودا من منهل إلى منهل ؟ ! إن بعين الله مثواك ! وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله تعرضين، ولو أمرت بدخول الفردوس لاستحييت أن ألقى محمدا هاتكة حجابا جعله الله

علي، فاجعليه سترك، وقاعة البيت قبرك حتى تلقيه وهو عنك راض وفي رواية بعده (١٦٣) ولو أني حدثتك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله لنهشتني نهش الحية الرقشاء المطرقة والسلام. فقالت عائشة: يا أم سلمة ! ما أقبلني لوعظك، وأعرفني بنصحك ليس الامر كما تقولين، ولنعم المطلع مطلعا أصلحت فيه بين فئتين متناجزتينوروى الطبري (١٦٤) وقال: خرج أصحاب الجمل... من مكة وأذن مروان حين فصل من مكة، ثم جاء حتى وقف عليهما فقال: على أيكما أسلم بالامرة وأؤذن بالصلاة. فقال عبد الله بن الزبير: على أبي عبد الله. وقال محمد بن طلحة: على أبي محمد، فارسلت عائشة (رض) إلى مروان

---

(١٦٣) هذه الزيادة في رواية العقد الفريد ٤ / ٣١٧ ٣١٦ ط. دار الكتاب العربي وفي الفاظه بعض الاختلاف مع رواية ابن طيفور." السدة ": الباب " ولا تندحيه " لا تفتحيه وتوسعيه " والعقيري " مصغر: عقر الدار، واصحر: خرج إلى الصحراء. أي جعل الله عقر دارك لك سكنا فلا تبرحيها " والنهش " العض " والرقشاء " الافعى المنقطة و " المطرقة " من صفات الافعى. وفي المحاسن والمساوئ للبيقهي ط. مكتبة نهضة مصر (١ / ٤٨١): أن أم سلمة حلفت أن لا تكلم عائشة من أجل مسيرها إلى حرب علي. فدخلت عليها عائشة يوما وكلمتها فقالت ام سلمة: ألم انهك ؟ ألم أقل لك ؟ قالت: إني استغفر الله. كلميني، فقالت ام سلمة: يا حائط ألم أنهك ؟ ألم أقل لك ؟ فلم تكلمها أم سلمة حتى ماتت. (١٦٤) راجع الطبري ٥ / ١٦٩ ١٦٨، وط. أوربا ١ / ٣١٠٧ ٣١٠٦، حول النزاع على الصلاة ومكالمة سعيد مع بني أمية الآتية.

---

[١٨٤]

فقالت: مالك ؟ أتريد أن تفرق أمرنا ؟ ليصل ابن أختي، فكان يصلي بهم عبد الله بن الزبير حتى قدم البصرة، فكان معاذ بن عبيدالله يقول: والله لو ظفرنا لافتتنا. ما خلى الزبير بين طلحة والامر خلى طلحة بين الزبير والامر (١٦٥). ولقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال: أين تذهبون وثاركم على أعجاز الابل ؟ ! أقتلوهم، ثم ارجعوا إلى منازلكم. لا تقتلوا أنفسكم، قالوا: بل نسير، فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا، فخلا سعيد بطلحة والزبير، فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الامر أصدقاني، قالا: لاحدنا أينا اختاره الناس، قال: بل اجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه، قالا: ندع شيوخ المهاجرين، ونجعلها لابنائهم، قال: أفلا أراني أسعى لاخرجها من بني عبدمناف، فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن اسيد (١٦٦) فقال المغيرة بن شعبة: من كان ههنا من ثقيف فليرجع. فرجع ومضى القوم معهم أبان بن عثمان، والوليد بن عثمان، فاختلفوا في الطريق فقالوا: من ندعو لهذا الامر ؟ فخلا الزبير بابنه عبد الله، وخلا طلحة بعلقمة بن وقاص الليثي، وكان يؤثره على ولده، فقال أحدهما: إئت الشام، وقال الآخر: إئت العراق،

---

(١٦٥) وفي طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣ بترجمة سعيد ولم يذكر قول سعيد: ان ظفرتما لمن تجعلان الامر ؟ وسعيد هذا، هو ابن العاص بن أمية، وجده المعروف بأبي أحيحة كان من أشراف قريش وأمه أم كلثوم بنت عمرو العامرية، قتل علي أباه يوم بدر، وكان سعيد من أشراف قريش وفصحائهم، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان واستعمله عثمان على الكوفة بعد الوليد، ولما قتل عثمان اعتز ولم يشهد الجمل وصفين، وكان معاوية يوليه المدينة إذا عزل عنها مروان ويولي مروان إذا عزله، توفي سنة تسع وخمسين. أسد الغابة ٢ / ٣٠٩ ٣١٠. (١٦٦) عبد الله خالد بن أسيد بن أبي العيص بن امية بن أخي عتاب بن أسيد، استعمله زياد على بلاد فارس، واستخلفه على الكوفة زياد حين مات فصلى على زياد وأقره معاوية على الولاية. أسد الغابة ٣ / ١٤٩.

---

[١٨٥]

وحاور كل منهما صاحبه، ثم اتفقوا على البصرة. وأخرج في رواية الزهري قبل هذا وقال: فبلغ عليا مسيرهم فأمر على المدينة سهل بن حنيف الانصاري، فخرج فسار حتى نزل ذاقار، وكان مسيره إليها ثماني ليال، ومعه جماعة من أهل المدينة. وروى ابن عبد البر بترجمة طلحة في الاستيعاب (١٦٧): أن عليا قال في خطبته حين نهوضه إلى الجمل: إن الله عزوجل فرض الجهاد وجعل نصرته وناصره، وما صلحت دنيا ولا دين إلا به، وإني بليت بأربعة: أدهى الناس وأسخاهم طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأسرع الناس إلى فتنة يعلى ابن أمية (١٦٨) والله ما أنكروا علي شيئا منكرا، ولا استأثرت بمال ولا ملت بهوى، وإنهم

ليطلبون حقا تركوه، ودما سفكوه، ولقد ولوه دوني، وان كنت شريكهم في الانكار لما أنكروه، وما تبعة عثمان إلا عندهم، وإنهم لهم الفئة الباغية، بايعوني، ونكثوا بيعتي وما استأنسوا بي حتى يعرفوا جوري من عدلي، واني لراض بحجة الله عليهم، وعلمه فيهم، واني مع هذا لداعيهم ومعذر إليهم

(١٦٧) ورواه ابن عبد ربه في ذكره الجمل من العقد الفريد مع اختلاف في بعض ألفاظه، والاغاني ١١ / ١١٩. (١٦٨) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي الحنظلي. كنيته أبو صفوان أو أبو خالد وهو المعروف بيعلى بن منية وهي أمة منية بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان وقيل ان منية هي بنت الحارث بن جابر عمة عتبة، وجدة يعلى أم أبيه، وجدة الزبير بن العوام ام أبيه. أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك، واستعمله عمر على بعض اليمن فحمى لنفسه حمى فجلبه عمر فمات قبل أن يصل إليه، فاستعمله عثمان على صنعاء وكان ذا منزلة عظيمة عند عثمان ولما بلغه قتل عثمان أقبل لينصره فسقط عن بعيره في الطريق فانكسرت فخذه فقدم بعد انقضاء الحج واستشرف إليه الناس فقال: من يخرج يطلب بدم عثمان فعلي جهازه فأعان الزبير باربعمائة ألف وحمل سبعين من قريش وحمل عائشة على الجمل الذي شهدت القتال عليه ثم شهد الجمل مع عائشة ثم صار من أصحاب علي وقتل معه بصفين. أسد الغابة ٥ / ١٢٩ ١٢٨ وترجمته في الاستيعاب والاصابة.

---

[١٨٦]

فإن قبلوا فالتوبة مقبولة، والحق أولى ما أنصرف إليه، وإن أبوا أعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من باطل وناصرا، والله إن طلحة الزبير وعائشة ليعلمون أني على الحق وهم مبطلون. وروى الطبري (١٦٩) أنه لما بلغ طلحة والزبير منزل علي بذي قار انصرفوا إلى البصرة فأخذوا على المنكدر، فسمعت عائشة (رض) نباح الكلاب فقالت: أي ماء هذا ؟ فقالوا: الحوأب. فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون إني لهيه، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب، فأرادت الرجوع، فأتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنه قال: كذب من قال إن هذا الحوأب، ولم يزل بها حتى مضت، فقدموا البصرة. ولما انتهت عائشة وطلحة إلى حفر أبي موسى (١٧٠) قريبا من البصرة أرسل عثمان بن حنيف (١٧١) وهو يومئذ عامل علي على البصرة إلى القوم أبا الاسود الدؤلي يعلم له علمهم، فجاء حتى دخل على عائشة، فسألها عن مسيرها. فقالت: أطلب بدم عثمان. قال: إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد ! قالت: صدقت ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة وجئت استنهض أهل البصرة لقتاله، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من

---

(١٦٩) الطبري ٥ / ١٧٨، وط. أوربا ١ / ٣١٢٧، وراجع تفصيل الحوأب في: " عبد الله بن سبأ " ص ١٠٣ ١٠٠. (١٧٠) الامامة والسياسية ١ / ٥٧ وابن أبي الحديد ٢ / ٨١ ٨٠. (١٧١) عثمان بن حنيف بن واهب بن الحكيم الانصاري الاويسي أبو عمرو أو أبو عبد الله. شهد أحدا وما بعدها. استعمله عمر على مساحة العراق واستعمله علي على البصرة فبقي عليها إلى أن قدمها طلحة والزبير وعائشة وسكن عثمان بعدها الكوفة وكان حيا إلى زمان معاوية. أسد الغابة ٣ / ٣٧١.

---

[١٨٧]

سيوفكم ؟ فقال لها: ما أنت من السوط والسيف ؟ إنما أنت حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله أمرك أن تقري في بيتك، وتتلي كتاب ربك، وليس على النساء قتال، ولا لهن الطلب بالدماء، وإن عليا لاولى منك وأمس رحما، فإنهما ابنا عبدمناف. فقالت: لست بمنصرفة حتى أمضي لما قدمت إليه، أفتظن أبا الاسود ! أن أحدا يقدم على قتالي ؟ قال: أما والله لتقاتلن قتالا أهونه الشديد. ثم قام فأتى الزبير، فقال: يا أبا عبد الله عهد الناس بك وانت يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك، تقول: لا أحد أولى بهذا الامر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك ؟ فذكر له دم عثمان، قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا. قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول فذهب إلى طلحة، فوجده سادرا في غية مصرا على الحرب والفتنة.. الحديث. وروي عن أبي الاسود قال: بعثني وعمران بن حصين (١٧٢) عثمان بن حنيف إلى عائشة، فقلنا: يا أم المؤمنين اخبرينا عن مسيرك هذا، أعهد عهده رسول الله صلى الله عليه وآله ام

رأي رأيته، قالت: بل رأي رأيته حين قتل عثمان إنا نقمنا عليه ضربة السوط، وموقع المسحاة المحماة، وامرة سعيد والوليد، فعدوتم عليه، فاستحللتم منه الحرم الثلاث حرمة البلد وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام، بعد ان مصناه كما يماص الاناء فاستبقيناه. فركبتم منه هذه ظالمين، وغضبنا لكم من سوط عثمان، ولا نغضب لعثمان من سيفكم ؟ قلت: " ما أنت وسيفنا وسوط عثمان وأنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله، أمرك أن تقري في بيتك، فجئت تضربين الناس بعضهم ببعض ! ". قالت: " وهل أحد يقاتلني، أو يقول غير هذا ؟ ! ". قلت: " نعم ".

---

(١٧٢) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي أسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بعدها بعثه عمر معلما للبصرة، ولما ولي ابن عامر استفضاه فأقام قاضيا يسيرا، ثم استعفى وكان به استسقاء فثقب له سرير، فبقي عليه ثلاثين سنة، وتوفي بالبصرة سنة اثنتين وخمسين. أسد الغابة ٤ / ١٣٨ ١٣٧.

---

[١٨٨]

قالت: من يفعل ذلك ؟ أزنيم بني عامر ؟.. الحديث (١٧٣). وقال ابن قتيبة: لما انتهوا إلى البصرة، خرج إليهم عثمان بن حنيف عامل علي عليها، وتقابلوا في المربد، فخطبت أم المؤمنين وقالت: إن أمير المؤمنين عثمان كان قد غير وبدل، ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا، وإنما نقموا عليه ضربة بالسوط، وتأميره الشبان، وحمايته موضع الغمامة، فقتلوه محرما في الشهر الحرام وحرمة البلد ذبحا كما يذبح الجمل، ألا وإن قريشا رمت غرضها بنبالها، وأدمت أفواهها بأيديها، وما نالت بقتلها إياه شيئا، ولا سلكت به سبيلا قاصدا. أما والله ليرونها بلايا عقيمة، تنبه النائم وتقيم الجالس، وليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب. أيها الناس ! إنه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحل دمه، مصتموه كما يماص الثوب الرحيض، ثم عدوتم عليه، فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه وبايعتم ابن أبي طالب من غير مشورة من الجماعة: ابتزازا وغصبا. ترونني أغضب لكم من سوط عثمان ولسانه ولا أغضب لعثمان من سيوفكم ؟ ألا إن عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم، ثم اجعلوا الامر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر، ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان (١٧٤). * (١٧٣) بلاغات النساء ص ٩، وراجع العقد الفريد ٣ / ٩٨. والبيان والتبيين للجاحظ، ط. السندوبي ٢ / ٢١٠ ٢٠٩. " المسحاة المحماة ": موضع لسرف كان عثمان قد حماه لخليه وخيل بني أمية وكان عمر قد حماه لخيل المسلمين، و " الموص ": الغسل اللين والدلك باليد. (١٧٤) الامامة والسياسة ١ / ٦٠، وابن أبي الحديد ٢ / ٤٩٩. والمربد: كان به سوق للابل قديما، ثم سكنها الناس، وأصبحت محلة عظيمة يجتمع فيها الادباء ويتبارون فيها. و " الموص ": الغسل اللين والدلك باليد. و " الرحيض ": المغسول.

---

[١٨٩]

وفي رواية الزهري (١٧٥) قام طلحة والزبير خطيبين، فقالا: يا أهل البصرة ! توبة بحوبة، إنما أردنا أن يستعتب أمير المؤمنين عثمان، ولم نرد قتله، فغلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه، فقال الناس لطلحة: يا أبا محمد ! قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا، فقال الزبير: فهل جاءكم مني كتاب في شأنه ؟ ثم ذكر قتل عثمان (رض) وما أتي إليه وأظهر عيب علي، فقام إليه رجل من عبد القيس، فقال: أيها الرجل أنصت حتى نتكلم فقال عبد الله بن الزبير: ومالك والكلام. فقال العبدي: يا معشر المهاجرين ! أنتم أول من أجاب رسول الله صلى الله عليه وآله فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل الناس في الاسلام كما دخلتم، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله بايعتم رجلا منكم، والله ما استأمرتمونا في شئ من ذلك، فرضينا واتبعناكم، فجعل الله عزوجل للمسلمين في إمارته بركة، ثم مات (رض)، واستخلف عليكم رجلا منكم، فلم تشاورونا في ذلك، فرضينا وسلمنا، فلما توفي الامير جعل الامر إلى ستة نفر، فاخترتم عثمان، وبايعتموه عن غير مشورة منا، ثم أنكرتم من ذلك الرجل شيئا فقتلتموه عن غير مشهورة منا، ثم بايعتم عليا من غير مشورة منا، فما الذي نقمتم عليه فنقاتله ؟ هل استأثر بفئ أو عمل بغير الحق أو عمل شيئا تنكرونه فنكون معكم عليه وإلا فما هذا ؟ فهموا بقتل ذلك الرجل، فقام من دونه عشيرته، فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه، فقتلوا سبعين رجلا. وأخرج الطبري (١٧٦) عن نصر بن مزاحم، قال: وأقبل جارية بن قدامة السعدي (١٧٧)، فقال: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفان أهون من

---
(١٧٥) الطبري ٥ / ١٧٨، وط. أوربا ١ / ٣١٢٨ ٣١٢٧. (١٧٦) الطبري ٥ / ١٧٦، وط. أوربا ١ / ٣١٢١ ٣١٢٠.
(١٧٧) جارية بن قدامة بن مالك بن زهير التميمي السعدي، اختلفوا في ادراكه النبي، شهد حروب علي، وهو الذي حصر عبد الله بن الحضرمي بالبصرة وحرق عليه الدار بالبصرة لما أرسله معاوية إليها، أسد الغابة ١ / ٢٦٣.
---
[١٩٠]
خروجك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك، إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس، قال: فخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير فقال: أما أنت يا زبير ! فحواري رسول الله صلى الله عليه وآله وأما أنت يا طلحة: فوقيت رسول الله صلى الله عليه وآله بيدك وأرى أمكما معكما، فهل جئتما بنسائكما ؟ قالا: لا، قال: فما أنا منكما في شئ. واعتزل، وقال السعدي في ذلك: صنتم حلائلكم وقدتم أمكم * هذا لعمرك قلة الانصاف أمرت بجر ذيولها في بيتها * فهوت تشق البيد بالايجاف غرضا يقاتل دونها أبناؤها * بالنبل والخطي والاسياف هتكت بطلحة والزبير ستورها * هذا المخبر عنهم والكافي وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة، وكان محمد رجلا عابدا، فقال: أخبرني عن قتلة عثمان فقال: نعم، دم عثمان ثلاثة أثلاث ثلث على صاحبة الهودج يعني عائشة وثلث على صاحب الجمل الاحمر يعني طلحة وثلث على علي بن أبي طالب، فضحك الغلام وقال: لا أراني على ضلال، ولحق بعلي وقال: سألت ابن طلحة عن هالك * بجوف المدينة لم يقبر فقال: ثلاثة رهط هم * أماتوا ابن عفان واستعبر فثلث على تلك في خدرها * وثلث على راكب الاحمر وثلث على ابن أبي طالب * ونحن بدوية قرقر فقلت صدقت على الاولين * وأخطأت في الثالث الازهر وقال الطبري (١٧٨): فقدموا البصرة وعليها عثمان بن حنيف، فقال لهم عثمان: ما نقمتم على صاحبكم ؟ فقالوا: لم نره أولى بها منا وقد صنع ما صنع.
---
(١٧٨) الطبري ٥ / ١٧٨، وط. أوربا ١ / ٣١٢٧.
---
[١٩١]
قال: فإن الرجل أمرني فأكتب إليه فأعلمه ما جئتم له على أن أصلي بالناس حتى يأتينا كتابه، فوقفوا عليه، وكتب فلم يلبث إلا يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه بالزابوقة عند مدينة الرزق فظهروا، وأخذوا عثمان فأرادوا قتله، ثم خشوا غضب الانصار فنالوه في شعره وجسده. وذكر اليعقوبي في تاريخه والمسعودي في مروجه وابن عبد البر بترجمة حكيم ابن جبلة من الاستيعاب واللفظ للاخير: إن عثمان بن حنيف لما كتب الكتاب (١٧٩) بالصلح بينه وبين الزبير وطلحة وعائشة على أن يكفوا عن الحرب ويبقى هو في دار الامارة خليفة لعلي على حاله حتى يقدم علي (رض) فيرون رأيهم، قال عثمان بن حنيف لاصحابه: إرجعوا وضعوا سلاحكم. فلما كان بعد أيام جاء عبد الله بن الزبير في ليلة ذات ريح، وبرد شديد، ومعه جماعة من عسكرهم، فطرقوا عثمان بن حنيف في دار الامارة فأخذوه، ثم انتهوا به إلى بيت المال، فوجدوا ناسا من الزط يحرسونه، فقتلوا منهم أربعين رجلا. وقال المسعودي: قتل منهم سبعون رجلا غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت أعناقهم صبرا من بعد الاسر. وفي الطبري (١٨٠) والاستيعاب واللفظ للطبري: إنهم لما أخذوا عثمان ابن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره. قالت: أقتلوه. قالت امرأة: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: ردوا أبانا، فردوه.
---
(١٧٩) وفي العقد الفريد: ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتابا ان يكفوا عن القتال حتى يقدم علي ابن أبي طالب، ولعثمان بن حنيف دار الامارة والمسجد الجامع وبيت المال فكفوا. (١٨٠) الطبري ٥ / ١٧٨، وط. أوربا ١ / ٣١٢٦.
---
[١٩٢]
فقالت: إحبسوه ولا تقتلوه. قال: لو علمت أنك تدعيني لهذه لم أرجع. فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطا، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه. وقال الطبري (١٨١): ولما كانت الليلة التي أخذ فيها عثمان

بن حنيف وفي رحبة مدينة الرزق طعام يرتزقه الناس، فأراد عبد الله أن يرزقه أصحابه. وبلغ حكيم بن جبلة (١٨٢) ما صنع بعثمان بن حنيف، فقال: لست أخاف الله ان لم أنصره، فجاء في جماعة من عبد القيس وبكر بن وائل، وأكثرهم من عبد القيس، فأتى ابن الزبير بمدينة الرزق، فقال: مالك يا حكيم ؟ قال: نريد أن نرتزق من هذا الطعام، وأن تخلوا عثمان فيقيم في دار الامارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم علي، والله لو أجد أعوانا عليكم أخبطكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم، ولقد أصبحتم وإن دماءكم لنا حلال بمن قتلتم من إخواننا، أما تخافون الله عزوجل ! ؟ بما تستحلون سفك الدماء ! ؟ قال: بدم عثمان بن عفان (رض) قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان ؟ ! أما تخافون مقت الله ؟ فقال له عبد الله بن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام، ولا نخلي سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع عليا ! قال حكيم: اللهم إنك حكم عدل فاشهد، وقال لاصحابه: إني لست في شك من قتال هؤلاء، فمن كان في شك فلينصرف، وقاتلهم فاقتتلوا قتالا شديدا، وضرب رجل ساق حكيم فقطعها، فأخذ حكيم ساقه فرماه بها، فأصاب عنقه فصرعه وقذه ثم حبا إليه فقتله واتكأ عليه، فمر به رجل فقال:

---

(١٨١) الطبري ٥ / ١٨٢، وط. أوربا ١ / ٣١٣٥، وراجع ترجمة جبلة من الاستيعاب. (١٨٢) حكيم بن جبلة بن حصين بن أسود العبدي، قيل إنه أدرك النبي وكان رجلا صالحا له دين، مطاعا في قومه، وهو الذي بعثه عثمان إلى السند. وكان حكيم ممن يعيب على عثمان من أجل عبد الله بن عامر وغيره من عماله. وتأتي حكاية قتلة في ما بعد. الاستيعاب ص ١٢١، الترجمة رقم ٤٩٨، وأسد الغابة ٢ / ٤٠.

---

[١٩٣]

من قتلك ؟ قال: وسادتي، وقتل في المعركة سبعون رجلا من عبد القيس. وقال الطبري (١٨٣): لما قتل حكيم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حنيف، فقال: ما شئتم. أما إن سهل بن (١٨٤) حينف وال على المدينة، وإن قتلتموني انتصر، فخلوا سبيله واختلفوا في الصلاة.. الحديث. وقال اليعقوبي (١٨٥): وانتهبوا بيت المال، وأخذوا ما فيه، فلما حضر وقت الصلاة، تنازع طلحة والزبير، وجذب كل منهما صاحبه، حتى فات وقت الصلاة، وصاح الناس: الصلاة الصلاة، يا أصحاب محمد ! فقالت عائشة: يصلي محمد بن طلحة يوما وعبد الله بن الزبير يوما. وفي الطبقات (١٨٦): تدافع طلحة والزبير حتى كادت الصلاة تفوت، ثم اصطلحا على أن يصلي عبد الله بن الزبير صلاة، ومحمد بن طلحة صلاة فذهب ابن الزبير يتقدم، فأخره محمد بن طلحة، وذهب محمد بن طلحة يتقدم فأخره عبد الله بن الزبير عن أول صلاة فاقترعا فقرعه محمد بن طلحة فتقدم فقرأ: سأل سائل بعذاب واقع. وفي الاغاني: وقال شاعرهم في ذلك (١٨٦): تبارى الغلامان إذ صليا * وشح على الملك شيخاهما ومالي وطلحة وابن الزبير * وهذا بذي الجزع مولاهما

---

(١٨٣) الطبري ٥ / ١٨١، وط. أوربا ١ / ٣١٣٥. (١٨٤) سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم الاوسي. شهد بدرا وما بعدها، وثبت يوم أحد مع رسول الله حين انهزمت الصحابة عنه. استخلفه علي على المدينة عندما توجه إلى البصرة، وشهد صفين مع علي وولاه بلاد فارس فأخرجه أهلها فاستعمل عليهم زياد بن أبيه، ومات سهل بالكوفة سنة ثمان وثلاثين وصلى عليه علي وكبر عليه ستا وقال انه بدري. أسد الغابة ٢ / ٣٦٥ ٣٦٤. (١٨٥) اليعقوبي في ذكره حرب الجمل من تاريخه. (١٨٦) في الطبقات ٥ / ٣٩ بترجمة محمد بن طلحة وفيه أن طلحة والزبير ختما بيت المال جميعا. (١٨٧) الاغاني ١١ / ١٢٠ عن أبي مخنف وذكر المسعودي في مروج الذهب أيضا تشاحهما على الصلاة.

---

[١٩٤]

فأمهما اليوم غرتهما * ويعلى بن منية دلاهما وأخرج الطبري (١٨٨) عن جون بن قتادة، قال: كنت مع الزبير (رض) فجاء فارس يسير، وكانوا يسلمون على الزبير بالامرة. فقال: السلام عليك أيها الامير. قال: وعليك السلام. قال: هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا، فلم أر قوما أرث سلاحا ولا أقل عددا ولا أرعب قلوبا من قوم أتوك، ثم انصرف عنه، قال ثم جاء فارس فقال: السلام عليك أيها الامير. فقال: وعليك السلام. قال: جاء القوم حتى أتوا مكان كذا وكذا، فسمعوا بما جمع الله عزوجل لكم من العدد والعدة

والحد فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا مدبرين. قال الزبير: إيها عنك الآن فوالله لو لم يجد ابن أبي طالب إلا العرجفي لدب إلينا فيه. ثم انصرف، ثم جاء فارس، وقد كادت الخيول أن تخرج من الرهج (*). فقال: السلام عليك أيها الامير. قال: وعليك السلام. قال: هؤلاء القوم قد أتوك فلقيت عمارا فقلت له، وقال لي. فقال الزبير: إنه ليس فيهم. فقالك بلى والله إنه لفيهم. قال: والله ما جعله الله فيهم. فقال: والله لقد جعله الله فيهم.

---

(١٨٨) الطبري ٥ / ٢٠٥، وط. أوربا ١ / ٣١٨٨ ٣١٨٧.العرجفي: ضرب من النبات سريع الانقياد، والرهج: الغبار.

---

[١٩٥]

قال: والله ما جعله الله فيهم. فلما رأى الرجل يخالفه، قال لبعض أهله: إركب فانظر أحق ما يقول ؟ فركب معه، فانطلقا وأنا أنظر إليهما حتى وقفا في جانب الخيل قليلا، ثم رجعا إلينا، فقال الزبير لصاحبه: ما عندك ؟ قال: صدق الرجل. قال الزبير: يا جدع أنفاه أو يا قطع ظهراه ! ثم أخذه افكلفجعل السلاح ينتفض، فقال جون: ثكلتني أمي، هذا الذ

٢ أحاديث أم المؤمنين عائشة - السيد مرتضى العسكري ج 2

أحاديث أم المؤمنين عائشة
السيد مرتضى العسكري ج ٢

---

[١]

كلية أصول الدين دراسة أحاديث أم المؤمنين عائشة

---

[٣]

دراسات في الحديث والسيرة أحاديث أم المؤمنين عائشة الجزء الثاني تأليف السيد مرتضى العسكري

---

[٤]

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة الكتاب: أحاديث أم المؤمنين عائشة " ج ٢ " المؤلف: السيد مرتضى العسكري الناشر: المجمع العلمي الاسلامي الطبعة: الاولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م المطبعة: النهضة الكمية: ٥٠٠٠ نسخة ردمك: ٤ - ١٩ - ٥٨٤١ - ٩٦٤ (دوره مجلدين) رضيIS) الله عنN ٤٦٩ - ١٤٨٥ - ٩١ - ٤) voI ٢. set يسمح طبعه بالافست وترجمته بعد أخذ الاذن من المؤلف عنوان المراسلة مع المؤلف لبنان - بيروت - ص. ب: ١٢٤ / ٢٤

---

[٥]

الاهداء إلى ابنة خاتم الأنبياء وأم المؤمنين خديجة الكبرى وزوجة سيد الأوصياء، وأم الأئمة الأ حد عشر الهداة الأصفياء وسيدة النساء. إلى جدتي فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين أهدي هذا المجهود الضئيل في سبيل تمحيص سنة الرسول (ص) المولي عزوجل القبول ومن أعلام الامة النظر في بحوثه بتجرد علمي (فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه). ١ / صفر / ١٤١٨ هـ مرتضى العسكري

---

[٦]

بسم الله الرحمن الرحيم (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليالكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا) [الاحزاب: ٦]. (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولامستانسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سأ لتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما * إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان

بكل شئ عليما * لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شئ شهيد * إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) [الاحزاب: ٥٣ - ٥٦]

---

[٧]

بسم الله رحمان رحيم. المقدمة الحمد لله رب العالمين والصلاة على خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين محمد وآله الطاهرين والسلام على أزواجه امهات المؤمنين وأصحابه البررة الميامين. وبعد: لما كانت سنة الرسول (ص) بعد كتاب الله جل اسمه هي المصدر الثاني للتشريع الاسلامي ولجميع فنون المعرفة الاسلامية اهتم بدراستها أسلافنا جيلا بعد جيل، ولكننا مع ذلك لم نستغن اليوم عن دراستها بما قاموا به من دراسة لنبقى على تقليدهم في علم الدراية، كما بقيت بعض طوائف المسلمين على تقليد فقهاء مضوا قبل ألف سنة وأكثر، بل لا بد لنا من الاستمرار في دراستها - أيضا - جيلا بعد جيل. واداء لهذا الواجب قمت في محاولة متواضعة بسلسلة دراسات في سبيل تمحيص سنة الرسول (ص) كان منها دراسة أحاديث أم المؤمنين عائشة التي طبع منها المجلد الاول (أدوار من حياتها) وبقي منها المجلد الثاني دراسة ما روي عنها من حديث إلى عامنا هذا سنة ١٤١٧ ه حيث قمت بتقديمها إلى الطبع بعد أن أضفت إليها بحوثا جديدة وجدتها أيضا ضرورية لاكمال الدراسة، وقدمت امام البحوث في ما يأتي موجزا من بحوث المجلد ! الأول وجدت في تذكارها ضرورة لاستيعاب البحوث لآتة.

---

[٨]

موجز بحوث المجلد الأول وجدنا في الجزء الأول من هذا الكتاب " أم المؤمنين عائشة " (رض) ذات مزاج حاد عصبي عنيف. فيها حدة طبع، وحدة ذكاء مع غيرة شديدة. تغار على زوجها الرسول (ص)، وتدفعها الغيرة إلى الحزن المفرط كل ما بنى الرسول (ص) بزوجة جديدة (١). تعير الواهبات أنفسهن للرسول (ص)، وتعلم بعض من تزوجها الرسول (ص) أن تقول له: (أعوذ بالله منك) فيطلقها الرسول (ص) (٢). وتكسر أواني زوجات الرسول (ص) اللاتي كن يبعثن في يومها بطعام إليه (٣)، وتتعقب الرسول (ص) إذا انسل من فراشه للصلاة في ليلتها، وإلى البقيع إذا ذهب للاستغفار لأهل البقيع، وتجزع من ولادة ابراهيم من مارية، فيحول الرسول (ص) مارية إلى مشربة له في العالمية (٤). ووجدناها تقول: (ما غرت عذ امرأة لرسول الله (ص) كما غرت على

---

(١) راجع: أحاديث أم المؤمنين عائشة الجزء الأول فصل: أدوار من حياتها. (٢) ن. م، مع الواهبات أنفسهن. (٣) ن. م، كسر أواني أزواج الرسول (ص). (٤) ن. م، مع مارية.

---

[٩]

خديجة لكثرة ذكر رسول الله (ص) إياها وثنائه عليها..) (١). وتقول: ما غرت على أحد من نساء التي (ص) كما غرت على خديجة وما رأيتها ! ولكن النبي (ص) كان يكثر ذكرها وربما يذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، ويقول: " إني لأحب حبيبها " وتغار من هذا فتقول لرسول الله (ص): " ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها ". فيتغير وجه رسول الله (ص) ويقول لها: " ما أبدلني الله خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بما لما إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزوجل ولدها وحرمني أولاد النساء " (٢). وكان من الطبيعي أن تزداد بهذا الكلام غيرتها كما كان يؤججها حدبه (ص) على ابنة خديجة فاطمة وأولادها وتخصر ذريته (ص) فيهم وايثاره (ص) صهر خديجة علي بن أبي طالب على غيره من كافة رجال أصحابه بما فيهم أبو بكر أبوها حتى تقول له: " والله لقد عرفت أن عليا أحب إليك من أبي ومني، مرتين أو ثلاثا... " (٣). ومن هذا وذاك اشتد غيضها على علي وأولاده، - كما وصفها علي - وقال: " فأدركها رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين " (٤) حتى لا تستطيع أن تذكر اسم علي بخير. وتدفعها الغيرة للعمل في داخل بيت الرسول (ص) وتشكل فيه حزبا

---

(١) ن. م، مع ذكرى خديجة. (٢) ن. م، مع ذكرى خديجة باجلالها إجلالا لا يدانيه إجلال. (٣) ن. م. (٤) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ / ٤٥٦ - ٤٦٠. وج ٩ / ١٨٩ ط. مصر سنة ١٩٦٠.

---

[١٠]

بمعاونة حفصة. ويفعل الحزب ما تنزل الايات في لومهما، مثل آيات سورة التحريم، ويتوفى الرسول (ص) ويتولى الخلافة أبوها أبو بكر، ويعارض علي وفاطمة حكمه حتى تتوفى فاطمة وهي واجدة على أبي بكر. ويتوفى أبوها أبو بكر فيولي الصحابي القرشي عمر بن الخطاب الخلافة. في هذا العهد عهد الخليفتين بلغت أم المؤمنين عائشة أمنيتها، حيث رأت اندحار حزب علي وانتصار حزب أبيها، وحيث كرمها الحزب الحاكم ووقرها فأرجع إليها في الفتوى، وفضلها في العطاء على جميع المسلمين بما فيهم زوجات الرسول (ص) وذوو قرباه. وختم الخليفة الثاني عهده بإجلالها إجلالا لا يدانيه إجلال، حيث جعل بيتها دارا للشورى، فيه يعين خليفة المسلمين. في هذا العهد بدأ نجم أم المؤمنين يتالق في سماء المجتمع الاسلامي، وينبه ذكرها ويعظم خطرها، ويمتد الأمر كذلك إلى ست سنوات من عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان الأموي، وطوال هذه المدة زهاء ثماني عشرة سنة، كانت الخلافة ترجع إليها في ما تحتاج من فتوى فتفتي معتمدة التحديث عن الرسول (ص)، ومؤيدة بذلك سياسة الخلافة. ثم تنقلب الخلافة القرشية في السنوات الست الأخيرة من حكم عثمان إلى خلافة أموية، فتعارضها سادة قريش بقيادة حزب أبي بكر وفي مقدمتهم أم المؤمنين عائشة (رض)، التي تقود المعارضين وتحرضهم عك قتل الخليفة، فطورا تخرج نعلا للرسول (ص) إلى المسجد وتقول: هذه نعل رسول الله (ص) لم تبل وقد أبلى عثمان سنته، وتارة تقول: اقتلوا نعثلا فقد كفر، وبمجاهدتها زهاء ست سنوات تندفع الجماهير الاسلامية الثائرة إلى المدينة ويستولي ابن عمها طلحة

---

[١١]

على بيت المال. عند هذا تتجه أم المؤمنين عائشة (رض) إلى مكة للحج وتترك عثمان حصيرا في بيته وهي واثقة من قتله، وبيعة الناس لابن عمها طلحة. وبينا هي تتفاءل بعودة الخلافة إلى بيتها، وفي طريق رجوعها إلى المدينة تسمع ببيعة المسلمين عليا (ع)، فقالت لمن أخبرها: والله ليت أن هذه - السماء - انطبقت على هذه - الأرض - إن تم الأمر لصاحبك ! وتعود إلى مكة، وتنقلب من محرضة على قتل عثمان إلى طالبة بدمه، ويجتمع عليها ولاة عثمان المعزولون وآل أمية أعداء الامام، فتسوقهم جميعا إلى البصرة. وفي ساحة المعركة يغلب الامام جيشها ويعيدها إلى المدينة بعد أن قتل زوج اختها الزبير وابن عمها ومرشحها للخلافة طلحة في المعركة، وتعود إلى للمدينة أسيفة ثكلى، يأفل نجمها طوال عهد الامام علي حتى إذا قتل الامام في محرابه سجدت لله شكراً. وتغلب على الخلافة معاوية، وسوابقه وسوابق بيته في حربهم لرسول الله (ص) في بدر وأحد والأحزاب وقبلها وبعدها ما تدينه وتدين بيته وتدحض حجته. وفي كل أحاديث المسلمين عن تلكم الحوادث وعن أيام الرسول (ص) عامة مدح لأهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الحسن والحسين سبطي الرسول (ص) وأمل الامة للخلافة الاسلامية، وفي جل حديثهم ذم لأمية وعلى رأسهم أبوه أبو سفيان وأمه هند وبيته بيت أمية بما فيهم من قتل ببدر: جده وخاله وأخوه وذوو قرباه عتبة وشيبة والوليد وحنظلة. إذا فالبيت الذي يقابل معاوية هو بيت علي بن أبي طالب، ولا مناص لمعاوية وهو يريد أن يشيد حكما أمويا يرثه الأبناء عن الآباء، ولا بد له أن ينشر بين المسلمين أحاديث في فضائل الخلفاء الثلاثة، ليدحض بذلك حجة بيت علي

---

[١٢]

وشيعته. بالاضافة إلى نشر أحاديث في ذم علي وأبيه وبيته. فأعانه على ذلك جماعة من أمثال ابن العاص وسمرة بن جندب وفي مقدمتهم أم المؤمنين عائشة. وكم من الفرق بين أولئك وأم المؤمنين عائشة ؟ فان اولئك ينشرون الأحاديث في فضل حزب أم المؤمنين، وأم المؤمنين تروي الحديث بي فضل أبيها وحزبه و (ليست الثكلى كالمستأجرة). والمهم في ذلك الأمر كله أننا وجدنا خلال دراساتنا في الحديث والتاريخ أن أم المؤمنين عائشة كانت تعتمد حياة الرسول (ص) لكل ما تريد. فإذا أرادت أن تحرض على عثمان أخرجت نعلا وقالت: هذا نعل الرسول، وإذا أرادت تحطيم مروان ذكرت قول النبي (ص) في أبيه ولعنه إياه، وإذا أرادت أن تبين فضل

عثمان وحياء حدثت عن ستر الرسول (ص) نخذه عنه، بعد أن كانت مكشوفة أمام غيره، وكذلك تحدثت عن كيفية تلقي الرسول (ص) الوحي وعن صلاته وصومه وعن جهاده وغزوه وعن كل شؤون الرسول (ص) منذ بعثته إلى وفاته. وهكذا أصبح حديثها أكثر استعراضا لحياة الرسول (ص) من أي حديث آخر. وقد بعث لنا الرسول (ص) إماما وقائدا وأسوة فلا بد لنا من تدارس تلك الأحاديث دراسة موضوعية للتعرف على صحيحها من سقيمها. ولا يجدينا تركها وإهمالها بعد أن أخذ منها قسم من المسلمين معالم سيرة الرسول (ص) ودانوا بها، وترجم المستشرقون حياة الرسول (ص) اعتمادا عليها، وتمسك بها مبلغو النصارى في نقد الاسلام وسلوك نبيه (ص). لهذا كله لم يكن لنا بد من تجشم عناء هذا البحث، والله على ما نقول وكيل وقد أدرنا البحوث في أبواب الكتاب باذنه تعالى وفق المخطط الآتي:

---

[١٣]

مخطط البحوث (١) ثلاثة بحوث تمهيدية أ - ما جرى في أمر رواية الهديث. ب - نظرية عدالة جمج الصحابة وصحة جميع ما رووا. ج - كثرة ما روي عن أم المؤمنين عائشة وأهميته. (٢) ما روي عن أم المؤمنين عائشة خاصة أ - في سيرة النبي (ص) معها. ب - في خبر التحريم والتخيير. ج - في خبر المسابقة والتيمم والافك. خبر غزوة بني المصطلق وروايات قصة الافك فيها. د - في خبر وفاة الرسول (ص). هـ - في خبر ما بعد وفاة الرسول (ص).

---

[١٤]

(٣) ما روي عن أم المؤمنين عائشة وغيرها من الصحابة في سيرة الرسول (ص) أ - استماع النبي (ص) الغناء و... ! ب - الناس أعلم بأمور دنياهم ! ج - نسيان النبي (ص) آيات من القرآن الكريم ! د - من لعنه النبي (ص) وسبه. (٤) روايات افتري بها على أم المؤمنين عائشة وغيرها من الصحابة أ - بدء نزول الوحي. ب - بدء الدعوة. ج - اسطورة الغرانيق. (٥) قيام أم المؤمنين عائشة بتحيص سنة الرسول (ص) واستدراكها على روايات الصحابة والتابعين ١ - أبي الدرداء ٢ - أبي هريرة ٣ - عروة بن الزبير ٤ - عمر بن الخطاب ٥ - عبد الله بن عمر ٦ - عمرو بن العاص ٧ - مروان بن الحكم ٨ - كعب الاحبار وغيره

---

[١٥]

(٦) أقوال المستشرقين واستفادتهم من الروايات الماضية أ - مونتجومري وات في كتابه محمد في مكة. ب - المستشرق ر. ف. بودلي في كتابه حياة محمد. ج - كارل بروكلمن في تاريخ الشعوب. د - ف. بوهل في دائرة المعارف الاسلامية. هـ - يوسف شاخت في دائرة المعارف الاسلامية.

---

[١٧]

الباب الأول بحوث تمهيدية أ - ما جرى في أمر رواية الحديث ب - نظرية عدالة جميع الصحابة وصحة جميع ما رووا ج - كثرة ما روي عن أم المؤمنين عائشة وأهميته

---

[١٩]

أ - ما جرى في أمر رواية الحديث صنف ابن الجوزي رواة الحديث الذين وقع في حديثهم الموضوع والكذب والمقلوب إلى خمسة أقسام، وقال عن القسم الثالث منهم: قوم تعمدوا الكذب الصريح لا لأنهم أخطأوا ولا لأنهم رووا عن كذاب، فتارة يكذبون في الاسانيد وتارة يسرقون الاحاديث وتارة يضعون أحاديث، وقسم هؤلاء الوضاعون إلى سبعة أقسام وقال عن القسم الثالث منهم ما موجزه: انهم قوم وضعوا الاحاديث في الترغيب والترهيب. ومضمون فعلهم أن الشريعة ناقصة نحتاج إلى تتمة فأتممناها ! وفي ما يأتي نورد أمثلة منها باذنه تعالى: كان غلام خليل يتزهد ويهجن شهوات الدنيا ويتقوت الباقلا تصوفا وغلقت اسواق بغداد يوم موته، وقيل له هذه الاحاديث تحدث بها من الرقائق فقال: " وضعناها لنرقق بها قلوب العامة ". وقالوا لميسرة بن عبد الله: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا ؟ قال: " وضعتها ارغب الناس فيها " وكان أطول الناس قياما بليل وأكثرهم صياما بنهار وكان يضع الحديث وضعا. قال ابن حبان: وكان أبو بشر أحمد بن محمد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في السنة وأذبهم عنها وأقمعهم لمن

خالفها، وكان مع هذا يضع الحديث. قد وضع في فضائل قزوين نحو أربعين حديثا كان يقول: " إني أحتسب في ذلك ".

---

[٢٠]

وقيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال: " إني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة ". وقد حكى مؤمل بن إسماعيل أن رجلا وضع في فضائل القرآن حديثا طويلا. كان وهب بن حفص من الصالحين، مكث عشرين سنة لا يكلم أحدا. قال أبو عروبة: " وكان يكذب كذبا فاحشا ". وكان يحيى بن سعيد القطان يقول: ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه في من ينسب إلى الخير والزهد (١). * * * كانت تلكم أمثلة من أخبار من وضع الحديث من أهل الخير تقربا إلى الله تعالى، ويسوغ لنا أن نعد من هذا الصنف ممن وضع الحديث تقربا إلى الله، وضع أخبار وكرامات لبعض الناس تقربا إلى الله كما نجد ذلك في ما جاء في كتاب الاحياء لابي حامد الغزالي. فمن كان الغزالي ؟ وما هي أخباره ؟ وماذا جاء في كتابه الاحياء ؟ أولا: أبو حامد الغزالي وأخباره: الشيخ أبو حامد محمد الطوسي الملقب بحجة الاسلام الغزالي نسبة إلى عمل أبيه في غزل الصوف، ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ. برع في علوم عصره وكان فقيه عصره على مذهب الشافعي، حتى قيل فيه هو الشافعي الثاني. ولاه الوزير نظام الملك تدريس مدرسة النظامية ببغداد فدرس فيها زمانا، ثم أناب أخاه أحمد في

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي ج ١ / ٤٠ - ٤١ ط. الأولى في المدينة المنورة ١٣٨٦. (*)

---

[٢١]

التدريس بالنظامية، وسافر للحج وعاد إلى الشام سنة ٤٨٨ هـ، واعتكف في زاوية بالجامع الاموي، وصار يطوف المشاهد ويزور الترب ويأوي إلى القفار، وسافر إلى بغداد ثم إلى طوس وألف في هذا العهد كتابه " إحياء علوم الدين " وتوفي بطوس سنة ٥٠٥ هـ (١). ثانيا: ما جاء في كتابه احياء علوم الدين: قال أبو حامد الغزالي في بيان علاج حب الجاه: ان أرباب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير، كما فعل بعضهم، فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه، فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج، فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا: انه طرار. وقال العلامة ابن الجوزي البكري الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) عن الغزالي في كتابه تلبيس ابليس في الرد على الصوفية: ولقد عجبت لأبي حامد الغزالي الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم حتى انه قال: لا ينبغي للمريد إذا تاقت نفسه إلى الجماع ان يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين (٢) ؟ وقال ابو حامد: مما ينبغي أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك ويانس بالزوجة، ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى (٣). وحكى عن أبي يزيد انه قال: دعوت نفسي إلى الله عزوجل فجمحت

---

(١) ترجمة الغزالي في مقدمة الجزء الأول من احياء علوم الدين ط. دار المعرفة - بيروت. ومن هذه الطبعة ننقل في ما يأتي من هذا البحث. (٢) تلبيس ابليس ط. بيروت ١٣٦٨ هـ ص ٢١٣. (٣) تلبيس ابليس ص ٢٩٥.

---

[٢٢]

فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك (١). وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الاحياء قال: كان بعض الشيوخ في بداية إرادته يكسل عن القيام، فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع، قال: وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر. وعلق ابن الجوزي على هذا بقوله: أعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد، كيف حكى هذه الأشياء ولا ينكرها ؟ وكيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم وقال قبل أن يورد هذه الحكايات: ينبغي للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدئ فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر حاجته أخذه وصرفه في الخير وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه، وان رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك، وان رأى الغالب عليه البطالة استخدمه في بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان، وان رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم، وان رآه عزبا ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأسا ؟ قلت: وأني

لأتعجب من أبي حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة ؟ وكيف مجل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضا شديدا ؟ وكيف يحل رمي المال في البحر ؟ وقد نهى رسول الله (ص) عن إضاعة المال. وهل يحل سب مسلم بلا سبب ؟ وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك ؟ وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج ؟ وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب ؟

---

(١) تلبيس ابليس ص ٢١٠.

---

[٢٣]

فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف (١) ؟ وقال: وقد قال أبو حامد الغزالي في كتاب الاحياء: مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلوة في مكان مظلم وقال فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه في جبته أو يتدثر بكساء أو أزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية. وقال، قلت: انظر إلى هذه الترتيبات، والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ؟ ومن أين له أن الذي يسمعه نداء الحق وأن الذي يشاهده جلال الربوبية ؟ وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة ؟ وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل في المطعم فإنه يغلب عليه الماليخوليا. وقد يسلم الانسان في مثل هذه الحالة من الوساوس إلا أنه إذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الأشياء - إلى قوله -: فإن أطرق الانسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية، إلى غير ذلك. نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة (٢). وقال: وقد ذكر أبو حامد الطوسي في كتاب الاحياء: ان بعضهم قال: للربوبية سر لو اظهر بطلت النبوة، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم، وللعلماء بالله سر لو اظهروه لبطلت الاحكام. قلت: فانظروا اخواني إلى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة ان ظاهرها يخالف باطنها (٣). تال ابو حامد: ضاع لبعض الصوفية ولد صغير، فقيل له: لو سألت الله ان

---

(١) نفس المصدر السابق ٣ / ٢٨٨. (٢) تلبيس ابليس ص ٢٨٨ - ٢٨٩. (٣) ن. م.

---

[٢٤]

يرده عليك، فقال: اعتراضي عليه في ما يقضي اشد علي من ذهاب ولدي (١). وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكريني انه قال: نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب في قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي وخرجت فجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني فصرت بعد ذلك أعرف بلص المحام فسكنت نفسي. قال أبو حامد: فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس. وأرباب الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير، كما فعل هذا في الحمام. قلت: سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الاحياء، فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحل. والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمي أصحابه أرباب أحوال، وأي حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة في النهي عنه ؟ وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي.. ؟ وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق ؟ وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله في الأرض ؟ ولو أن رجلا وقف مع امرأته في طريق يكلمها ويلصمها ليقول عنه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصيا بذلك. ثم كيف يجوز التصرف في مال الغير بغير إذنه ؟ ثم في نص مذهب أحمد والشافعي أن من سرق من الحمام ثيابا عليها حافظ وجب قطع يده. ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم ؟ كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه. فعجبي من هذا الفقيه المستلب

---

(١) تلبيس ابليس ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

---

[٢٥]

عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبي من هذا المستلب الثياب (١). وقال: وحكى أبو حامد: أن أبا تراب النخشي قال لمريد له: لو

رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة. قلت: وهذا فوق الجنون بدرجات (٢). كان ذلكم بعض ما نقله ابن الجوزي من كتاب الاحياء، ونضيف إليها ما يأتي ونقول: ومن كمال عرفان الغزالي قوله في إحياء علوم الدين: فان قيل: هل يجوز لعن يزيد لانه قاتل الحسين أو آمر به ؟ قلنا: لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال انه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة، لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق. فان قيل: فهل يجوز أن يقال: قاتل الحسين لعنه الله ؟ أو الآمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا: الصواب ان يقال: قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله، لأنه يحتمل ان يموت بعد التوبة. ومن كمال عرفانه أيضا انه روى حديثا على رسول الله (ص) لا أصل له وقال: وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الاحوال ان يسري ذلك إلى قالبه فيهدمه. فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة احيانا ويقول: (كلميني يا عائشة) لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه. وقال العلامة زين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العرفي (ت ٨٠٦ ه) في تخريج ما في الاحياء من الاخبار: حديث: كان يضرب يده على فخذ عائشة

(١) تلبيس ابليس ص ٣٥٥. (٢) ن. م ص ٣٥٤. وفيه بعض الاختلاف مع ما نقلناه من الاحياء.

[٢٦]

أحيانا ويقول: (كلميني يا عائشة) لم أجد له أصلا (١). أقول: وأنا - أيضا - لم أجد له أصلا، والسبب في ذلك أنه لا أصل له، ولكن العلماء بعد الغزالي اعتمدوا على نقله ونسبوا هذا الحديث إلى رسول الله (ص) مثل المولى مهدي النراقي (ت ١٢٠٩ ه) الذي اسند هذا الحديث إلى رسول الله (ص) في كتابه جامع السعادات وابنه الملا احمد النراقي (ت: ١٢٤٥ ه) الذي نقل الحديث في كتابه معراج السعادة (٢). وهكذا شحن الشيخ أبو حامد كتابه احياء علوم الدين بأمثال تلكم المفتريات والمختلقات وأخذ منه من أخذ من العلماء. ونحن لا نشك أن الغزالي كتب ما كتب في الاحياء من كل كذب وافتراء وتدليس احتسابا للخير وبقصد التقرب إلى الله في تربية السالكين إليه. ولا يمنعنا ذلك من أن ندرس ما روى ونقل خبرا بعد خبر ونبين زيفه ومخالفته للحق وأحكام الاسلام وعقائده. وكان الغزالي من أعاظم العلماء في عصره ومن أئمة أهل العرفان في دهره، وافترى بها على رسول الله (ص) وأصحابه وأئمة أهل بيته مما درسناه في سلسلة دراسات في سبيل تمحيص سنة الرسول (صى). * * * كان ذلك شأن من تأول الخبر واجتهد ودون في كتب العرفان والسير والسلوك ما لا يوافق شرع الاسلام. وفي ما يأتي نستعين الله وندرس في البحوث الآتية ما روي عن الصحابة من حديث بعد دراسة ما قاله العلماء في شأن عدالة الصحابة.

(١) المصدر السابق ج ٣ / ١٠١ وبهامشه قول العلامة العرفي حول ما رواه الغزالي عن أم المؤمنين عائشة. (٢) راجع مصادر النراقيين في " قيام الائمة بإحياء السنة "، ٧ / ٦٤ - ٦٦.

[٢٧]

ب - نظرية - عدالة جميع الصحابة وصحة جميع ما رووا الصحابي وعدالته في مدرسة الخلافة: ترى مدرسة الخلفاء أن الصحابي من لقي النبي (ص) مؤمنا به، ولو ساعة من نهار، ومات على الاسلام. وانه لم يبق بمكة والطائف أحد سنة عشر إلا أسلم وشهد مع النبي (ص) حجة الوداع. وأنه لم يبق في الأوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي (ص) إلا دخل في الاسلام. وانهم (كانوا في الفتوح لا يؤمرون إلا الصحابة) وبهذه القاعدة عدوا جميعا في عداد الصحابة ممن برهنا في كتابنا: " خمسون ومائة صحابي مختلق " أنهم مختلقون ولم يكن لهم وجود في التاريخ. وترى أن جميع الصحابة عدول لا يتطرق إليهم الجرح، ومن انتقص أحدا منهم فهو من الزنادقة، ثم يلتزمون بصحة كل ما رواه من سمي في اصطلاحهم بالصحابي، ويأخذون من جميعهم معالم دينهم (١).

(١) الاصابة ج ١ / ١٠ - ١٨. (*)

[٢٨]

الصحابي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام: ترى مدرسة أهل البيت عليهم السلام أن لفظ الصحابي ليس مصطلحا شرعيا، وإنما

شأنه شأن سائر مفردات اللغة العربية، و (الصاحب) في لغة العرب بمعنى الملازم والمعاشر ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته، والصحبة نسبة بين اثنين، ولذلك لا يستعمل الصاحب وجمعه الأصحاب والصحابة في الكلام إلا مضافا، كما ورد في القرآن الكريم: (يا صاحبي السجن) (يوسف / ٣٩ و ٤١) و (أصحاب موسى) (الشعراء / ٦١). وكذلك كان يستعمل في عصر الرسول (ص) ويقال: صاحب رسول الله، واصحاب رسول الله، مضافا إلى رسول الله (ص) أو مضافا إلى غيره، مثل قولهم (أصحاب الصفة) لمن كانوا يسكنون صفة مسجد الرسول (ص) ثم استعمل الصحابي بعد رسول الله (ص) بلا مضاف إليه وقصد به أصحاب رسول الله (ص) وصار اسأ لهم، وعلى هذا فإن (الصحابي) و (الصحابة) من اصطلاح المتشرعة وتسمية المسلمين وليس اصطلاحا شرعيا. أما عدالتهم، فإن مدرسة أهل البيت ترى تبعا للقرآن الكريم، أن في الصحابة منافقين (مردوا على النفاق) (١) ورموا فراش رسول الله (ص) بالافك (٢) وحاولوا اغتيال رسول الله (٣) وأخبر عنهم الرسول (ص) أنهم يوم القيامة يختلجون دون رسول الله (ص) فينادي: أصيحابي أصيحابي، فيقال له:

---

(١) التوبة: ١٠١. (٢) النور: ١١ - ١٧. (٣) مسند أحمد ٥ / ٤٥٣، ومجمع الزوائد ١ / ١١٠، ومغازي الواقدي ٣ / ١٠٤٢ وامتاع الاسماع للمقريزى ص ٤٧٧، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ٣ / ٢٥٨ - ٢٥٩، كان ذلك في مصادر مدرسة الخلفاء وفي مدرسة أهل البيت: مجار الانوار: ج ٢٨ / ٩٧. (*)

---

[٢٩]

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم (١). وأن منهم مؤمنين أثنى الله عليهم والرسول (ص) في أحاديثه، وأنهم المقصودون في ما ورد من الثناء في القرآن والحديث، وقد عين النبي (ص) العلامة الفارقة بين المؤمن والمنافق: حب الامام علي وبغضه، كما رواه الامام علي (٢) عليه السلام

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، باب: (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني) ٣ / ٨٦، وكتاب الأنبياء، باب: (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ٢ / ١٥٦، وكتاب الرقاق، باب: في الحوض، ٤ / ٩٥، وكتاب الفتن، باب: ما جاء في قول الله تعالى: (وأتقوا فتنة لا تصيبن...) الأنفال / ٢٥، ٤ / ١٤٧، والترمذي، أبواب: صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الحشر ٩ / ٢٥٦، وابن ماجة، كتاب المناسك، باب: الخطبة يوم النحر، ح ٣٠٥٧، ٢ / ١٠١٦. وراجع: مسند أحمد ج ١ / ٤٥٣ وج ٣ / ٢٨ وج ٥ / ٤٨. وصحيح مسلم، ط. دار احياء التراث العربي بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي سنة ١٩٧٢، كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا، ج ٤ / ١٨٠٠ ح ٤٠. (٢) الامام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ابن عم الرسول (ص): ولد في جوف الكعبة، كما رواه الحاكم في المستدرك ج ٣ / ٤٨٣، والمالكي في الفصول المهمة. وابن المغازلي الشافعي (ت: ٤٨٣ ه) في المناقب، ح ٣ ص ٧. والشبلنجي في نور الأبصار ص ٩٦. وكانت ولادته في ١٣ رجب سنه ثلاثين من عام الفيل. ربايعه المهاجرون والأنصار سنة ٣٥ ه. وضربه ابن ملجم المرادي ليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة في محراب مسجد الكوفة، وتوفي في يوم ٢١ منه. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٣٦ حديثا. راجع: ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة وص ٢٧٦ من جوامع السيرة. وروايته في المنافقين في صحيح مسلم ج ١ / ٦١، باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الايمان وبغضهم من علامات النفاق. وصحيح الترمذي ج ١٣ / ١٧٧، باب: مناقب علي.
وسنن ابن ماجة الباب الهادي عشر من مقدمته. وسنن النسائي ج ٢ / ٢٧١، باب: علامة المؤمن وباب: علامة المنافق كتاب الايمان وشرائعه وخصائص النسائي ص ٣٨. ومسند أحمد ج ١ / ٨٤ و ٩٥ و ١٢٨. وتاريخ بغداد ج ٢ / ٢٥٥ وج ٨ / ٤١٧، وج ١٦ / ٤٢٦. وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ٤ / ١٨٥ وقال: حديث صحيح متفق عليه. وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ / ١٩٨. وتاريخ ابن كثير ج ٧ / ٣٥٤، وبترجمته في كل من =

---

[٣٠]

وأم المؤمنين أم سلمة (١) وعبد الله بن عباس (٢) وأبو ذر الغفاري (٣) وأنس بن مالك (٤) وعمران بن حصين (١٥) ومن ثم

فإنهم ينظرون في حال الراوي، فإن كان =

الاستيعاب ج ٢ / ٤٦١ وأسد الغابة ج ٤ / ٢٩٢. وكنز العمال ج ١٥ / ١٠٥. والرياض النضرة ج ٢ / ٢٨٤. والمناقب لابن المغازلي، ص ١٩٠ ح ٢٢٥. (١) أم سلمة هند ابنة أبي أمية بن المغيرة القرشي المخزومي، كانت قبل رسول الله (ص) عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، أسلما قديما وهاجرا إلى الحبشة ثم إلى المدينة، ولما جرح بأحد وتوفي سنه ثلاث من الهجرة، تزوجها رسول الله (ص) وكانت مصبية، وتوفيت بعد قتل الحسين سنة إحدى وستين. روى عنها أصحاب الصحاح ٣٧٨ حديثا. راجع ترجمتها وترجمة زوجها بأسد الغابة، وجوامع السيرة، ص ٢٧٦، وتقريب التهذيب ج ٢ / ٦١٧. وحديثها في شأن المنافقين في سنن الترمذي ج ١٣ / ١٦٨. ومسند أحمد ج ٦ / ٢٩٢. والاستيعاب ج ٢ / ٤٦٠، بطرق متعددة. وتاريخ ابن كثير ج ٧ / ٣٥٤. وكنز العمال ٦ / ١٥٨ ط. الأولى. (٢) عبد الله بن العباس عم النبي ابن عبد المطلب، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٦٦٠ حديثا. ترجمته بأسد الغابة والاصابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦. (٣) أبو ذر جندب أو بريد بن جنادة أو عبد الله أو السكن أو غير ذلك، تقدم إسلامه وتأخرت هجرته، فشهد ما بعد بدر من غزوات رسول الله. توفي منفيا بالربذة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٨١ حديثا. ترجمته في التقريب ج ٢ / ٤٢٠. وجوامع السيرة ص ٢٧٧. والجزء الثاني من عبد الله بن سبأ. (٤) أنس بن مالك بن النضر الانصاري الخزرجي، روى هو أنه خدم النبي عشر سنين، كان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة بياض كانت به، وكان ذلك من دعاء الامام علي عليه لكتمانه الشهادة محديث الغدير أن يضربه الله بيضاء لا تواريها العمامة، أشار إليه في الاعلاق النفيسة ص ١٢٢، وتفصيله بشرح نهج البلاغة ج ٤ / ٣٨٨، وتوفي في البصرة بعد التسعين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٢٨٦ حديثا. ترجمته بأسد الغابة. والتقريب. وجوامع السيرة ص ٢٧٤. وروايته في شأن

المنافقين بكنز العمال ج ٧ / ١٤٠ ط. الأولى. (٥) أبو نجيد عمران بن حصين الخزاعي الكعبي، أسلم عام خيبر، وصحب الرسول (ص) وقضى بالكوفة، وتوفي بالبصرة سنة ٥٢. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨٠ حديثا. =

---

[٣١]

ممن قاتل الامام عليا أو الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وعاداهم فإنهم لا يلتمزون بأخذ ما يروي أمثال هؤلاء، صحابيا كان أو غير صحابي. =

وروايته بشأن المنافقين بكنز العمال ج ٧ / ١٤٠ ط. الأولى. ترجمته في التقريب ج ٢ / ٧٢ وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

---

[٣٢]

ج - كثرة ما روي عن أم المؤمنين عائشة وأهميته أولا: كثرة ما روي عن أم المؤمنين عائشة: رووا عن أم المؤمنين عائشة - وحدها - عن النبي (ص) ٢٢١٠ حديثا، وعن سائر أمهات المؤمنين الثمان ٦١٢ حديثا (١)، ولها في مسند أحمد وحده أكثر من ٢٢٧٠ حديثا بما فيها المكرر ولسائر امهات المؤمنين ٤٢٧ حديثا (٢) وقد اشتمل كتاب البخاري ومسلم على ١٢٠٠ حديث في الاحكام، وفي الكتابين نيف وتسعون ومائتا حديث عن أم المؤمنين عائشة، ولم يخرج من الاحكام منها إلا يسيرا ومن ثم قالوا: حمل منها ربع الشريعة (٣). ومن هذا يظهر الفرق جليا بين أحاديثها وأحاديث غيرها من المكثرين كأبي هريرة - مثلا - فانهم ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة إلا ما كان حديث صفة جنة أو نار أو حث على عمل أو نهي عن شر جاء في القرآن (٤). وفي ما يأتي خلاصة عن أحاديث أمهات المؤمنين استخرجناها من مسند

---

(١) جوامع السيرة لابن حزم ص ٢٧٦ - ٢٧٩ و ٢٨٥ و ٢٨٧ و ٢٨٩. (٢) احصيناها عن الطبعة الاولى من مسند أحمد وفي احاديث المسند بعض التكرار. (٣) الاجابة ص ٦٢ - ٦٣. (٤) راجع: ابن كثير ج ٨ / ١٠٩.

---

[٣٣]

أحمد وجوامع السيرة: ١ - أم سلمة: لها في مسند أحمد ٢٧٧ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٣٧٨ حديثا. ٢ - ميمونة: لها في مسند أحمد ٦٢ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٧٦ حديثا. ٣ - حفصة: طا في مسند أحمد ٤٤ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٦٠ حديثا. ٤ - أم حبيبة: لها في مسند أحمد ٢٧ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٦٥ حديثا. ٥ - صفية: لها في مسند أحمد ٩ أحاديث، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ١٠ أحاديث. ٦ - زينب: لها في مسند أحمد ٤ أحاديث، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ١١ حديثا. ٧ - جويرية: لما في مسند أحمد ٤ أحاديث، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٧ أحاديث. ٨ - سودة: لم يخرج لها في المسند، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٥ أحاديث. فيكون مجموع احاديثهن في مسند أحمد ٤٢٧ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٦١٢ حديثا. أما أحاديث عائشة وحدها فهي في مسند أحمد ٢٢٧٠ حديثا، ومجموع أحاديثها في جوامع السيرة ٢٢١٠ حديثا.

---

[٣٤]

ثانيا: أهمية أحاديث أم المؤمنين عائشة: قال أبو موسى: ما أشكل علينا أمر فسالنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما (١). وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: ما رأيت أحدا اعلم بسنن رسول الله (ص) ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه ولا أعلم بآية فيما نزلت ولا فريضة، من عائشة (٢). قال مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله الأكابر يسألونها عن الفرائض (٣) ويعني بالمشيخة الأكابر من ذكره محمود بن لبيد في حديث له (٤) قال فيه: وكان الأكابر من أصحاب رسول الله (ص) عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنن. وقال قاسم (٥): " كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرا إلى ان ماتت يرحمها الله ". وقد روى عنها من الصحابة خاصة أبوها أبو بكر والخليفة عمر وابنه عبد الله وابن عباس وأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص وربيعة بن عمرو الجريشي والسائب بن يزيد وزيد بن خالد الجهني وعبد الله بن عامر بن ربيعة وعبد الله بن الحارث بن نوفل وصفية بنت شيبة. وروى عنها من التابعين خلق

(١ و ٢) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٣٧٥ وج ٤ / ٣٤٥ بترجمتها من الاصابة، والاجابة ص ٦١. (٣) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٣٧٥ وبترجمتها في الاصابة ج ٤ / ٣٤٥. (٤) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٣٧٥. (٥) نفس المصدر.

---

[٣٥]

كثير (١). وكان ابن الزبير إذا حدث عن عائشة قال: والله لا تكذب عائشة على رسول الله (ص) ابدا (٢). وكان مسروق إذا حدث عنها قال: " حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من كل عيب " (٣). سجلها ابن حزم في مقدمة أصحاب الفتيا من الصحابة الذين كتبهم على مراتبهم في كثرة الفتيا (٤). فكيف أصبحت أكثر الصحابة افتاء بما في ذلك الصحابة الخلفاء الذين كان المسلمون يرجعون إليهم في شؤونهم ؟ وكيف بلغ مجموع أحاديث أزواج الرسول الثمان ٦١٢ حديثا، وبلغ أحاديثها وحدها ٢٢١٠ حديثا ؟ وقد دخلت بيت الرسول (ص) في السنة الثانية من الهجرة ولم تتجاوز العام العاشر من عمرها وهي طفلة صغيرة تلعب باللعب، وتوفيت في السنة الثامنة أو التاسعة والخمسين من الهجرة. ودخلته أم سلمة أيضا في السنة الثانية وهي امرأة كبيرة ايمة، ثم عاشت بعد عائشة ثلاث سنين حيث توفيت في السنة الثانية والستين أو الثالثة والستين من الهجرة. والفرق بين أحاديثهما كبير، وكيف كانت لا تسأل عن أمر إلا وعندها علم منه ؟ ألا ينبغي لأحاديث بلغت من الكثرة والأهمية ما بلغته أحاديث أم المؤمنين عائشة ان تعنى بدراستها عناية خاصة ؟ أما أصحاب الحديث الذين

---

(١) پ راجع: الاجابة ص ٤١ وقد عد تسعين من التابعين الذين رووا عنها. (٢) بترجمتها في طبقات ابن سعد ج ٨ / ٦٩. (٣) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٦ بترجمة عائشة والاجابة ص ٤٢. (٤) جوامع السيرة لابن حزم ص ٣١٩.

---

[٣٦]

كانوا يدرسون الرواة وأحاديثهم فانهم أحجموا عن ذلك ! الصحابة يسمع الحديث بعضهم عن بعض ثم يسنده إلى رسول الله (ص) ويرويه عنه: أخرج أحمد في مسنده عن حبيب بن عبيد الرحبي أن أبا امامة (١) دخل على خالد بن يزيد فالقى له وسادة فظن أبو

أمامة انها حرير فتنحى يمشي القهقرى حتى بلغ آخر السماط وخالد يكلم رجلا ثم التفت إلى أبي امامة فقال له: يا أخي ما ظننت انها حرير، قال أبو أمامة، قال رسول الله (ص): " لا يستمتع بالحرير من يرجو أيام الله " فقال له خالد: يا أبا امامة أنت سمعت هذا من رسول الله (ص) ؟ فقال: اللهم غفرا، أنت سمعت هذا من رسول الله (ص) ! بل كنا في قوم ما كذبونا ولا كذبنا (٢). وقد أخبروا أن جمعا من الصحابة رووا عن عائشة ولم يذكروا أنها روت من أحد شيئا. ووجدنا أم المؤمنين عائشة أميرة متبوعة لا مأمورة تابعة، سواء في ميادين الهرب أو في مجالات السلم، وسواء كانت معارضة للحكم أو مؤيدة له، وكذلك كانت أم المؤمنين في سائر نواحي حياتها تحدث عن النبي (ص) وكثير من الصحابة كانوا يأخذون عنها ويرجعون إليها، وأحيانا كانوا يروون عن

---

(١) أبو أمامة الباهلي اسمه صدي بن عجلان واختلفوا في نسبه إلى باهلة - سكن مصر ثم انتقل منها إلى حمص فسكنها ومات بها سنة ٨١ أو ٨٦ وكان من المكثرين في الرواية عن رسول الله (ص) وأكثر حديثه عند الشاميين الاستيعاب ج ٢ / ٦٢٠ الرقم ٠٣. (٢) مسند أحمد ج ٥ / ٢٦٧.

---

[٣٧]

النبي (ص) بلا ذكر واسطة ما كانوا قد سمعوه عنه بواسطة، فإذا وجدنا الحديث ترويه عائشة ويرويه غيرها فنجزم بانها لم تكن تأخذ من غيرها في الرواية ولابد أن يكون غيرها قد أخذ الرواية عنها ولم يذكر اسمها ونسبها إلى الرسول (ص).

---

[٣٩]

الباب الثاني ما روي عن أم المؤمنين عائشة خاصة أ - في سيرة النبي (ص) معها ب - في خبر التحريم والتخبير ج - في خبر المسابقة والتيمم والافك د - في خبر وفاة الرسول (ص) هـ - في خبر ما بعد وفاة الرسول (ص)

---

[٤١]

أ - في سيره النبي (ص) معها أولا - رآها النبي (ص) في المنام قبل أن يتزوجها في صحيح البخاري وغيره واللفظ للبخاري عن عائشة (رض) قالت: قال لي رسول الله (ص): " رأيتك في المنام يجئ بك الملك في سرقة من حرير فقال لي: هذه امرأتك فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي فقلت: إن يك هذا من عند الله يمضه ". وفي صحيح مسلم: " ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير " (١). وفي صحيح الترمذي: عن عائشة أن جبرائيل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي (ص) فقال: إن هذه زوجتك في الدنيا وألاخرة (٢).

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ / ١٦٥ كتاب النكاح (باب النظر إلى المرأة قبل التزويج) و ٣ / ١٦٠ (باب نكاح الابكار)، وكتاب تعبير الرؤيا (باب كشف المرأة في المنام) وصحيح مسلم ج ٤ / ١٨٨٩ كتاب فضائل الصحابة، ومسند أحمد ج ٦ / ٤١ و ١٢٨ و ١٦١، وفي كتاب الاجابة ص ٥٢ - ٥٣، وكذلك بترجمتها في طبقات ابن سعد ج ٨ / ٦٤. وسيرة ابن اسحاق ص ٢٣٩. (٢) الترمذي كتاب المناقب ج ١٣ / ٢٥٦، والاستيعاب ج ٢ / ٧٤٤، وأسد الغابة =

---

[٤٢]

هذه أصل الرواية وقد رواها جمع من المحدثين من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وسائر الموسوعات الحديثية عن أم المؤمنين وحدها. وكان شأن هذه الرواية شأن غيرها من الروايات اللاتي يعجب بها المنقبيون فيوسعونها. فقد رووا عن أبي هريرة انه قال: " ان طول تلك الخرقة ذراعان وعرضها شبر " (١). وعن حبيب مولى عروة بن الزبير انه قال: " لما ماتت خديجة حزن عليها النبي (ص) فأتاه جبريل بعائشة في مهد، فقال: هذه تذهب ببعض حزنك وان فيها لخلفا عن خديجة " (٢). قال الزركشي تعليقا على الحديث: " فيحتمل انها عرضت عليه مرتين لما يدل عليه اختلاف الحال ويشهد له رواية البخاري مرتين " (٣). واستفادوا من هذا الحديث حكما شرعيا، قال الزركشي - ايضا -: " وقد أدخله البخاري في باب النظر إلى المرأة إذا أراد تزويجها، قال بعضهم: وهو استدلال صحيح لأن فعل النبي (ص) في النوم واليقظة سواء وقد كشف عن وجهها ". هذا بعض ما قالوه حول هذه الروايات فما الغاية من روايتها ؟ =

ج ٧ / ١٧٩، والمستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبي ج ٤ / ٩ وفي كنز العمال ج ١٣ / ١١٩ ط. حيدر آباد سنة ١٣٨٥ هـ، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ١١٧. (١ و ٢) الاجابة للزركشي ص ٥٣، وروى - أيضا - غير هذه الاحاديث في هذا الباب. (٣) الاجابة ص ٥٣.

---

[٤٣]

الغاية من رواية الاحاديث السابقة: لعل الهدف من نشر الروايات السابقة معارضة أم المؤمنين زينب في ما كانت تفخر به على سائر أمهات المؤمنين، فقد كان في قصة زواجها للنبي (ص) مدعاة فخر لما ولقبيلتها بني اسد كما ذكروا في قصتها وقالوا: كانت زينب بنت جحش ممن هاجر مع رسول الله (ص) إلى المدينة وكانت امرأة جميلة فخطبها رسول الله (ص) على زيد بن حارثة وقالت: يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا اجم (١) قريش. قال: " فاني قد رضيته لك " فزوجها زيد بن حارثة وكان مولى رسول الله (ص) وقد تبناه، فتزوجت زيدا على كره منها حتى جاء زيد إلى رسول الله (ص) يشتكيها. وروى قصتها مولاها مذكور عنها انها قالت: " خطبني عدة من قريش فارسلت اختي حمنة إلى رسول الله (ص) استشيره، فقال لها رسول الله (ص): " أين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها (ص) ؟ ". قالت: ومن هو يا رسول الله ؟ قال: " زيد بن حارثة ". قالت: فغضبت حمنة غضبا شديدا فقالت: يا رسول الله اتزوج ابنة عمتك مولاك ؟ ! قالت: وجاءتني فأعلمتني فغضبت أشد من غضبها فقلت أشد من قولها

---

(١) الايم المرأة أو الرجل لا زوج لها أو له.

---

[٤٤]

فأنزل الله عزوجل: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) الآية، قالت: فأرسلت إلى رسول الله (ص) فقلت: اني استغفر الله واطيع الله ورسوله، افعل يا رسول الله ما رأيت. فزوجني رسول الله (ص) زيدا فكنت أزرأ عليه فشكاني إلى رسول الله (ص) فعاتبني رسول الله (ص) ثم عدت فأخذته بلساني فشكاني إلى رسول الله (ص). فقال رسول الله (ص): " امسك عليك زوجك واتق الله " فقال: أنا أطلقها، قالت: فطلقني... " (١). وروى أنس بن مالك (٢) وقال: " لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الله (ص) لزيد بن حارثة: " اذهب فاذكرني طا " - قال زيد -: فلما قال ذلك رسول الله (ص) عظمت في نفسي فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت: يا زينب بعث رسول الله (ص) يذكرك فقالت: ما كنت لاحدث شيئا حتى اؤامر ربي عزوجل، فقامت إلى مسجدها فأنزل الله عزوجل هذه الآية: (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) فجعل رسول الله (ص) يدخل عليها بغير اذن ". وفي رواية مذكور السابقة بعد قوطها: " فطلقني ": " فلما انقضت عدتي لم أعلم إلا ورسول الله (ص) قد دخل علي بيتي وانا مكشوفة الشعر فعلمت انه أمر من السماء فقلت: يا رسول الله بلا خطبة ولا اشهاد ؟ فقال: الله زوج وجبريل الشاهد ". ويذكر الرواة ان نزول الوحي على رسول الله (ص) بشأنها كان في بيت

---

(١) في ترجمتها من حلية الاولياء لابي نعيم ج ٢ / ٥٢. (٢) حلية الاولياء ج ٢ / ٥٢.

---

[٤٥]

عائشة كها روى ابن سعد في طبقاته وقال: " بينا رسول الله (ص) جالس يتحدث مع عائشة أوحى الله إليه في زينب: (واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك) الآية، قالت عائشة: فأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظم الامور واشرفها ما صنع لها، زوجها الله من السماء وقلت: هي تفخر علينا بهذا " (١). وقالت أم المؤمنين عائشة - أيضا -: " لم يكن أحد من نساء النبي (ص) تساميني في حسن المنزلة عنده غير زينب بنت جحش، وكانت تفخر على نساء النبي (ص) فتقول: ان اباءكن أنكحوكن وان الله أنكحني اياه من فوق سبع سماوات " (٢). واخبرت أم سلمة عن ذلك كما رواه - أيضا - ابن سعد في طبقاته (٣) عن أم سلمة انها ذكرت زينب بنت جحش فترحمت عليها وذكرت بعض ما كان يكون بينها وبين عائشة، فقالت زينب: اني والله ما انا كأحد من نساء رسول الله (ص) انهن زوجهن بالمهور وزوجهن الاولياء وزوجني الله رسوله، " وانزل في الكتاب يقرأ

به المسلمون لا يبدل ولا يغير: (واذ تقول للذي انعم الله عليه وأنعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا تضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا) [الاحزاب: ٣٧].

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٠٢ ومستدرك الحاكم ج ٤ / ٢٤. (٢) بترجمة زينب من الاستيعاب وقريب منه بترجمتها من حلية الاولياء ج ٢ / ٥٣. (٣) بترجمة زينب من طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٠٣.

---

[٤٦]

لم يقتصر الامر على مفاخرة زينب أم المؤمنين عائشة داخل بيوت أزواج النبي (ص) وانما تعداه إلى الخارج، فقد روى ابن سعد - ايضا - في طبقاته " ان رجلا من بني اصمد فاخر رجلا، فقال الأسدي: هل منكم امرأة زوجها الله من فوق سبع سماوات ؟ يعني زينب بنت جحش " (١). كان هذا التفاخر ينافي ما مر علينا في الجزء ا الأول من اقتضاء سياسة الخلفاء إلى السنة السادسة من عهد الخليفة عثمان تفضيل أم المؤمنين عائشة على جميع المسلمين بما فيهم امهات المؤمنين وقيامهم بذلك على احسن وجه، فقد فضلت في العطاء على جميع المسلمين بما فيهم امهات المؤمنين وارجعوا إليها في الفتيا من بين الصحابة وسائر امهات المؤمنين، إلى غير ذلك مما ذكرناه في بابه من الجزء الأول. كان لا بد من علاج لهذا التفاخر الذي يخالف سياسة الخلافة القائمة، وكان علاجه نشر أمثال تلكم الأحاديث، وبعد رواية تلكم الأحاديث ان كانت أم المؤمنين زينب تفخر على نساء النبي (ص) بنزول آيات في شأنها يقرأها المسلمون، وان كانت بنو أسد تفخر بزواج زينب من فوق سبع سماوات، فلام المؤمنين عائشة ان تفخر بقصة صورتها في سرقة من حرير وللبكريين - أيضا - أن يفخروا بهذه القصة بعد أن انتشر هذا الروايات في المجتمع الاسلامي. نجحت الدعاية وانتشر هذا الخبر وجعله الزركشي من خصائص أم المؤمنين عائشة (رض) وقال: الثانية والاربعين: ان الله تعالى اختارها لرسوله. ونقل عن فتوح الفتوح لابن الجوزي في جواب افتخارها على عائشة: " يا زينب لقد صدقت ولقد شاركتك عائشة في ان الله تعالى بعث صورتها

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٠٣.

---

[٤٧]

في سرقة من حرير مع جبريل فجلاها، فقال: " هذه زوجتك " فهذا تزويج مطوي في سر القدر ظهر أثره يوم عقد العقد غير ان عائشة كانت من اختيار الله لرسوله (ص)، وكنت يا زينب من اختيار الرسول (ص) لنفسه " (١). * * * هكذا نجحت السياسة ونشرت فضيلة للمقربين إليها في قبال كل فضيلة رويت لغيرهم حتى في قبال ما جاء في القرآن الكريم ورواه السلف للخلف جيلا بعد جيل، وتمسك بها بعض أبناء الامة الاسلامية ممن كان يلتزم بكل ما يقرره الحكام والتبس الأمر على كثير من المسلمين، وتعسر عليهم معرفة الحق من سيرة الرسول (ص) وتاريخ أصحابه حتى يومنا الحاضر، ولا بد لنا من تدارسها لمعرفة الصواب منها.

---

(١) الاجابة للزركشي ص ٧٦.

---

[٤٨]

ثانيا - روايات الخطبة والمؤاخاة حديث الخطبة: في الاصابة عن عائشة قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون وذلك بمكة: أي رسول الله ! ألا تزوج، قال: من ؟ قالت: ان شئت بكرا وان شئت ثيبا، قال: فن البكر ؟ قالت: بنت احب خلق الله اليك عائشة بنت أبي بكر، قال: ومن الثيب ؟ قالت: سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك، قال: فاذهبي فاذكريهما علي، فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان فقالت: ما ادخل الله عليكم من الخير والبركة ! قالت: وما ذاك ؟ قالت أرسلني رسول الله (ص) أخطب عليه عائشة، قالت: وددت، انتظري أبا بكر فجاء أبو بكر فذكرت له فقال: وهل تصلح له وهي بنت أخيه، فرجعت فذكرت ذلك للنبي (ص) قال: قولي له: أنت أخي في الاسلام وابنتك تحل لي فجاء فأنكحه... الحديث (١).

---

(١) في الاصابة ج ٤ / ٣٤٨ - ٣٤٩ الرقم ٧ ٠ ٤ وهذا سياقه: واخرج ابن ابي عاصم من طريق يحيى القطان عن محمد بن عمرو

وعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة: (قالت لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم) الحديث. وفي مسند أحمد ج ٦ / ٢١٠ عن يحيى بن عبد الرحمن وأبي سلمة مرسلا باسقاط اسم عائشة من السند، وجاء في اثناء الحديث هكذا: (قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا... قالت: فجاء رسول الله (ص)... فجاءتني... أمي...) مما يدل على ان الرواية مروية عن ام المؤمنين وان اسقط اسمها عن السند.

---

[٤٩]

نرئ ان غاية الدعاية في نشر الحديث السابق معارضة الخبر الذي روته أسماء بنت عميس، قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله (ص) فلما أصبحنا جاء النبي (ص) إلى الباب فقال: يا أم أيمن ادعي لي أخي فقالت: هو أخوك وتنكحه، قال: نعم يا أم أيمن، فجاء علي فنضح النبي (ص) عليه من الماء ودعا له، ثم قال: ادعي لي فاطمة، قالت: فجاءت تعثر من الحياء فقال لها رسول الله (ص): اسكني فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إلي، قالت: ونضح النبي (ص) عليها من الماء، ثم رجع رسول الله (ص) فرأى سوادا بين يديه، فقال: من هذا ؟ فقلت: أنا أسماء، قال: أسماء بنت عميس ؟ قلت: نعم، قال: جئت في زفاف ابنة رسول الله ؟ قلت: نعم، فدعا لي (١). وغاية الدعاية من نشر حديث أم المؤمنين عائشة السابق وحديثها الذي جاء في الكنز أن الرسول (ص) قال: " أبو بكر مني وأنا منه وأبو بكر أخي في الدنيا والاخر " (٢) هي إثبات مؤاخاة النبي (ص) لابي بكر، ومعارضة الأحاديث الواردة في مؤاخاة النبي (ص) لعلي الآتي بيانها بإذنه تعالى. مؤاخاة الرسول اص) لابن عمه: آخى النبي (ص) ابن عمه عليا أكثر من مرة، وكانت الأولى منها في بدء الدعوة بمكة عندما نزلت عليه: (وأنذر عشيرتك الأقربين)، دعا بني عبد

---

(١) المستدرك للحاكم ج ٣ / ١٥٩ وتلخيصه نرى ان في الحديث تصحيفا في الاسم فإن الصحيح سلمى بنت عميس زوجة حمزة سيد الشهداء أخت أسماء بنت عميس، وكن عشر أخوات لام، وكانت أسماء بنت عميس يومذاك مهاجرة مع زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة، راجع ترجمة أسماء وسلمى ابنتي عميس في أسد الغابة. (٢) كنز العمال ج ١٢ / ١٥٧ الحديث ٧٩٠ (مر عن عائشة) ط. حيدر آباد سنة ١٣٦٤ هـ.

---

[٥٠]

المطلب وقال في حديثه لهم: (قد أمرني الله تعالك أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي...) الحديث. وكانت الثانية والثالثة في المدينة (١). وروى خبر الثانية أبو عمر باختصار في الاستيعاب وقال: آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين ثم آخى بين المهاجرين والانصار وقال في كل واحدة منهما لعلي: انت أخي في الدنيا والآخرة وآخى بينه وبين نفسه (٢). وروى تفصيلها ابن هشام صاحب السيرة وقال: قال ابن اسحاق: وآخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والانصار فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله ان نقول عليه ما لم يقال: " تأخوا في الله اخوين اخوين " ثم اخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: " هذا أخي " فكان رسول الله (ص) سيد المرسلين... وعلي بن أبي طالب أخوين (٣). وكان حمزة... وزيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) أخوين وإليه اوصى حمزة يوم احد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت.

---

(١) اخرجه الطبري في ج ٢ / ٢١٧ ط. المطبعة المحسنية المصرية وج ١ / ١١٧١ - ١١٧٢ ط. أوربا، وابن الاثير في ج ٢ / ٢٢ وابن كثير ج ٣ / ٤٠، وابو الفداء ج ١ / ٢١٦، واحمد ج ١ / ١٥٩، وابن سعد ج ١ / ١٨٧، وراجع: كنز العمال ج ١٢ / ٢٠٠ و ٢٠٣، ومستدرك الحاكم ج ٣ / ١٣٣ والاصابة ج ١ / ٢٠٩ ويأتي تفصيل خبرها في روايات بدء الدعوة ان شاء الله تعالى. ومن التفاسير في تفسير الاية من سورة الشعراء كل من الطبري ١٩ / ٧٤ - ٧٥ والسيوطي ٥ / ٩٥ - ٩٧. (٢) الاستيعاب بترجمة علي ص ٤٦٠. (٣) سيرة ابن هشام ج ٢ / ١٢٤.

---

[٥١]

وكان أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة وخارجة بن زيد أخوين، وعمر وعتبان اخوين. وبلال مولى أبي بكر.. وأبو رويحة... أخوين - إلى قوله -: فهؤلاء من سمي لنا ممن كان رسول الله (ص) آخى بينهم، فلما دون عمر بن الخطاب - الدواوين بالشام، وكان بلال قد

خرج إلى الشام فاقام بها مجاهدا، فقال عمر لبلال: إلى من نجعل ديوانك يا بلال ؟ قال مع أبي رويحة لا افارقه ابدا للاخوة التي كان رسول الله (ص) عقد بينه وبيني، فضم إليه وضم ديوان الحبشة إلى خثعم، لمكان بلال منهم، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام (١). وخبر الثالثة منها عندما تخاصم علي وزيد وجعفر في الولاية على ابنة حمزة فقال الرسول لزيد: " أنت مولاي ومولاها " وقال لعلي: " أنت أخي وصاحبي " وقال لجعفر: " اشبهت خلقي وخلقي... " (٢). وقال في غير هذا: " اللهم اشهد قد بلغت هذا أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي... " (٣) الحديث. وجاء خبر المؤاخاة في أحاديث كثيرة غير ما ذكرناها (٤): مثل ما رواه ابن عمر وقال: ان رسول الله (ص) آخى بين أصحابه فآخى بين أبي بكر وعمر وبين طلحة والزبير وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف فقال

---

(١) أخرجه ابن هشام في ج ٢ / ١٢٣ - ١٢٧ وابن كثير ج ٣ / ٢٢٦ وأخرج مختصر المؤاخاة ابن القيم في زاد المعاد ج ٢ / ٦٣.
(٢) مسند أحمد في ج ١ / ٢٣٠ والاستيعاب ص ٤٦٠ بترجمة علي (ع)، وامتاع الاسماع ص ٣٤٠. (٣) منتخب الكنز بهامش مسند احمد ج ٥ / ٣٢. (٤) راجع: تاريخ الخطيب ج ١٢ / ٢٦٨ واسد الغابة ج ٤ / ٩١ الترجمة رقم ٣٧٨٣ وابن كثير ج ٧ / ٣٣٥ والاصابة ص ٥٠١ بترجمة علي، والترمذي في مناقب علي من كتاب المناقب ج ١٢ / ١٧٠ وتذكرة خواص الامة ص ١٥.

---

[٥٢]

علي: يا رسول الله انك قد آخيت بين اصحابك فمن أخي ؟ قال رسول الله (ص): أما ترضى يا علي أن أكون اخاك ؟ قال ابن عمر: وكان علي عليه السلام جلدا شجاعا فقال علي: بلى يا رسول الله ! فقال رسول الله (ص): أنت أخي في الدنيا والآخرة (١). وكان علي يباهي بهذه المؤاخاة كما ناشد أصحاب الشورى فيما روى ابن عبد البر (٢) عن أبي الطفيل قال: لما احتضر عمر جعلها شورى بين علي وعثمان... فقال لهم علي: أنشدكم الله هل فيكم احد آخى رسول الله (ص) بينه وبينه إذ آخى بين المسلمين غيري ؟ قالوا: اللهم لا. وكان يقول: " أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها بعدي إلا كذاب " (٣). هذه الاحاديث في مؤاخاة النبي (ص) لعلي مشهورة ومنتشرة حتى أن بعضهم - كابن كثير في تاريخه - عقد بابا في هذه المؤاخاة، غير أن خصوم علي استطاعوا أن يعارضوا هذه الآحاديث بحديث أم المؤمنين عائشة في مؤاخاة النبي (ص) لأبي بكر الذي سبق ذكره، على ان الحديث المروي عن أم المؤمنين عائشة في مؤاخاة النبي (ص) أبا بكر بمكة يخالف الثابت في زمان المؤاخاة انها كانت في المدينة، ولم يسبق ذلك من النبي في مكة في غير خبر انذار بني هاشم الاتي بيانه في بحث سيرة النبي (ص) باذنه تعالى.

---

(١) المستدرك ج ٣ / ١٤ وفي الترمذي ج ١٢ / ١٧٠ الحديث باختصار وليس فيه ذكر من آخى بينهم من الصحابة. (٢) الاستيعاب ص ٤٦٠ بترجمة علي. (٣) ابن كثير ج ٧ / ٣٣٥، كنز العمال ج ١٢ / ٢٠٧ الحديث ١١٧٩، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ٣٢، سنن ابن ماجة المقدمة ج ١ / ٤٤ الحديث ١٢٠.

---

[٥٣]

ثالثا - روايات واعروساه قال الزركشي في تعداد خصائص عائشة: (الهادية والاربعون): انها سمعته يقول في يوم من الايام فقدها: " واعروساه " فجمعها الله عليه (١). وتفصيل القصة ما رواه مجاهد وقال: قالت عائشة: خرج رسول الله (ص) فلما كنا بالسمر انصرفنا وانا على جمل، وكان آخر العهد منهم وأنا أسمع صوت النبي (ص) وهو بين ظهري ذلك السمر وهو يقول: " واعروساه "، قالت: فو الله اني لعلى ذلك إذ نادى مناد أن القي الخطام، فالقيته فأعقله الله بيده (٢). أقول: انها لعمر الحق مزية لام المؤمنين عظيمة أن يصرخ الرسول (ص) قائلا فيها: " واعروساه " وأن يأتيها النداء: " ألقي الخطام " فإذا ألقته أعقله الله بيده. غير ان الرواية رويت من آخر بكيفية أخرى، كما رواها كل من ابن سعد والطبري عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة انها سئلت: متى بنى بك رسول الله (ص) ؟ فقالت: لما هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة خلفنا وخلف بناته، فلما قدم المدينة بعث الينا زيد بن حارثة وبعث معه أبا رافع مولاه. وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر يأمره ان يحمل اهله أمي أم رومان وأنا وأختي أسماء امرأة الزبير، فخرجنا جميعا حتى إذا كنا بالبيض من منى * (هماش) * (١) في الفصل الثاني من الاجابة ص ٧٥ وقال: ذكره

ابن شاهين في كتاب السنة. (٢) مسند أحمد ج ٦ / ٢٤٨، السمر: شجر العضاه، والعضاه شجر الشوك الكبير.

---

[٥٤]

نفر بعيري وانا في محفة معي فيها أمي، فجعلت أمي تقول: وا ابنتاه واعروساه ! حتى أدرك بعيرنا وقد هبط من لفت فسلم الله عزوجل... الحديث (١). وفي الاستيعاب بترجمة أم رومان عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما هاجر رسول الله... الحديث (٢). وفيه: (حتى إذا كنا بالبيداء نفر بعيري وأنا في محفة معي فيها أمي فجعلت تقول: وا ابنتاه ! واعروساه ! حتى ادرك بعيرنا). في الحديثين الأخيرين حدثت أم المؤمنين تفصيل القصة لكل من عمرة بنت عبد الرحمن وابن عروة، وصرحت فيهما ان الصارخ واعروساه هي امها ام رومان، وليس فيهما ذكر للنداء إليها (القي الخطام) ولا (فأعقله الله بيده). وقد حاول ابن كثير في تاريخه (٣) أن يجمع بين الحديثين المختلفين فقال: قال الواقدي وابن جرير وغيرهما: ولما رجع عبد الله بن أريقط الدئلي إلى مكة بعث معه رسول الله (ص) وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع موليا رسول الله (ص) ليأتوا بأهاليهم من مكة، فذهبوا فجاءوا ببنتي النبي (ص) فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سودة وعائشة وأمها أم رومان وأهل النبي، وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل في أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول: " واعروساه وا ابنتاه " قالت عائشة: فسمعت قائلا يقول: أرسلي خطامه، فأرسلت خطامه فوقف باذن الله وسلمنا الله عزوجل....

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ / ٦٢ - ٦٣ وذيل المذيل لتاريخ الطبري ص ٧٠، واللف: شق الشئ وجانبه. (٢) الاستيعاب ج ٢ / ٧٧٠. (٣) تاريخ ابن كثير ج ٣ / ٢٢١.

---

[٥٥]

رابعا - روايات رؤيتها لجبرائيل عليه السلام أورد ابن كثير الحديث الثاني وأخذ من الأول النداء " واعروساه " حسب روايات رؤيتها لجبرائيل وسلام جبرائيل عليها الآتية: في صحيح البخاري ومسند أحمد واللفظ لاحمد: عن عائشة قالت: لما رجع رسول الله (ص) من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل عليه السلام وعلى رأسه الغبار، قال: قد وضعت السلاح ؟ فو الله ما وضعتها، أخرج إليهم، قال رسول الله (ص) فأين ؟ قال: ها هنا، فأشار إلى بني قريظة... الحديث (١). وفي مسند أحمد عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما فرغ رسول الله (ص) من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل فجاء جبريل عليه السلام، فقال. أوقد وضعتم السلاح ؟ ما وضعنا اسلحتنا بعد انهد إلى بني قريظة، فقالت عائشة: كأني أنظر إلى جبريل من خلل الباب قد عصب رأسه من الغبار (٢). روي عن علقمة بن وقاص، عن عائشة - حديثا طويلا - قالت فيه: فجاءه جبريل عليه السلام، وأن على ثناياه لنقع الغبار... الحديث (٣). وعن القاسم عن عائشة: أن جبريل عليه السلام أتى النبي (ص) على برذون وعليه

---

(١) مسند أحمد ج ٦ / ٥٦ واخرج البلاذري رؤيتها لجبرئيل في ذكره غزوة بني قريظة من فتوح البلدان ص ٣٢ وصحيح البخاري ج ٢ / ١٤٠ كتاب الجهاد باب الغسل بعد الحرب والغبار الباب ١٨. (٢) مسند أحمد ج ٦ / ١٣١ و ٢٨٠. (٣) مسند أحمد ج ٦ / ١٤١ - ١٤٢.

---

[٥٦]

عمامة طرفها بين كتفيه فسألت النبي (ص) عنه فقال: رأيته ذاك جبريل عليه السلام (١). أخرج ابن سعد في طبقاته عن مسروق قال: قالت لي عائشة: لقد رأيت جبرائيل واقفا في حجرتي هذه على فرس، ورسول الله (ص) يناجيه، فلما دخل قلت: يا رسول الله من هذا الذي رأيتك تناجيه ؟ قال: وهل رأيته ؟ قلت: نعم، قال: فبمن شبهته ؟ قلت: بدحية الكلبي ! قال: لقد رأيت خيرا كثيرا ذلك جبريل، قالت: فما لبثت إلا يسيرا حتى قال: يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قلت: وعليه السلام جزاه الله من دخيل خيرا (٢). غاية الدعاية من الروايات السابقة: من الجائز أن تكون غاية الدعاية من الروايات السابقة مقابلة حديث سلام جبرئيل على خديجة كما رواه صاحب اسد الغابة والاصابة في ترجمتها: عن رسول الله (ص) قال: أتاني جبريل فقال: يا رسول الله (ص) هذه

خديجة أنتك

---

(١) مسند أحمد ج ٦ / ١٤٨. (٢) طبقات ابن سعد ج ٨ / ٦٧ - ٦٨ ط. بيروت سنة ١٣٧٧ ه ومسند أحمد ج ٦ / ٧٤ - ٧٥ وفي ص ١٤٦ منه روت ذلك لابي سلمة وبعد قولها: جزاه الله خيرا من صاحب ودخيل فنعم الصاحب ونعم الدخيل، قال سفيان: الدخيل الضيف، وراجع: منتخب كنز العمال ج ٥ / ١١٩، والمستدرك ج ٤ / ٧، وتلخيصه، وأخرج رواية أم المؤمنين، بأن جبريل قد سلم عليها كل من: كنز العمال ج ١٣ / ١١٨ واحمد في مسنده ج ٦ / ٥٥ و ٨٨ و ١١٢ و ١١٧ و ١٥٠ و ٢٢٤، والبخاري باب فضل عائشة ج ٢ / ٣٠٨ وكتاب الادب ج ٤ / ٨١، ومسلم ج ٤ / ١٨٩٦، والترمذي ج ١٠ / ١٦٧ كتاب الاستئذان، ومنتخب كنز العمال ج ٥ / ١١٧ وسنن النسائي كتاب عشرة النساء ج ٧ / ٦٩، واسد الغابة ترجمة عائشة ج ٧ / ١٩٠. والدخيل: من دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم.

---

[٥٧]

ومعها اناء فيه طعام وشراب، فإذا هي أنتك فاقرأ عليها من ربها السلام ومني.... الحديث (١). وفي حديث آخر في الاصابة انها خرجت تلتمس رسول الله (ص) بأعلى مكة ومعها غذاؤها فلقيها جبرائيل في صورة رجل... الخ. نتيجة البحث: رووا عن أم المؤمنين عائشة انها قالت: " رأيت الغبار عل رأس جبرئيل " أو " عصب رأسه الغبار " كما في رواية البخاري أو " ان على ثناياه نقع الغبا ر ". وقد جاء في الكتاب والسنة ان الملك يتمثل على صورة انسان، أما أن يصبح جسما يحمل الغبار فهذا ما خص روايته بما رووا عن أم المؤمنين عائشة ! * * * كان ذلكم بعض ما روي عن أم المؤمنين عائشة في فضائلها ويتلو هذا البحث ما روي عنها في ما بينها وبين الرسول (ص).

---

(١) الاصابة ج ٤ / ٢٧٤ واسد الغابة ج ٧ / ٨٤، وكنز العمال ج ١٣ / ١١٥ ومسلم ج ٤ / ١٨٨٧ كتاب فضائل الصحابة والبخاري ج ٢ / ٣١٥.

---

[٥٨]

خامسا - روايتها عن معاشرة الرسول (ص) اياها مما لا يليق بمقام الرسول (ص) مضت القرون تلو القرون وأحاديث أم المؤمنين عائشة يرويها الخلف عن السلف متسالمين على صدق جميعها، ولم يشكوا في صدق اسناد روايتها إليها، ولم يقم احد بنقدها وتمحيصها، وكان أكثر حديثها عن سيرة رسول الله (ص) مثل الاحاديث الآتية في صحيح مسلم عن عائشة، قالت: كنت أشرب وأنا حائض ثم اناوله النبي (ص) فيضع فاه على موضع في وكنت أتعرق العرق (١) وأنا حائض ثم أناوله النبي (ص) فيضع فاه على موضع في (٢). وفي رواية أخرى كان رسول الله يعطيني العرق فأتعرقه ثم يأخذه فيضع فاه على موضع في، ويعطيني الاناء فأشرب ثم يأخذه فيضع فاه على موضع في (٣). وفي مسند أحمد، عن عائشة قالت: كان النبي (ص) يتوشحني (٤) وينال من رأسي وانا حائض (٥).

---

(١) تعرق العظم اخذ ما عليه من اللحم باسنانه نهشا والعرق العظم اخذ عنه معظم اللحم. (٢) صحيح مسلم، باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد من كتاب الحيض ج ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦ والنسائي: باب سئور الحائض ج ١ / ٢٣ و ٥٣ و ٥٤ و ٦٤ وسنن أبي داود ج ١ / ٣٣ ومسند ابي عوانة ج ١ / ٣١١، وسنن الدارمي ج ١ / ٢٤٦، ومسند احمد ج ٦ / ٦٢ و ١٢٧، و ١٩٢ و ١٩٣ و ٢١٠ ومنتخب الكنز ج ٣ / ٤٧٣. (٣) مسند احمد ج ٦ / ٦٤. (٤) توشح لبس الوشاح والوشاح شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها والكشح ما بين السرة ووسط الظهر. (٥) مسند أحمد ج ٦ / ١٨٧.

---

[٥٩]

صلاة النبي (ص) في مرط عائشة: وفي صحيح مسلم، عن عائشة قالت: كان النبي (ص) يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلي مرط (١) وعليه بعضه إلى جنبه (٢). وفي رواية عن عائشة قالت: كان رسول الله (ص) يقوم ويصلي وعليه طرف اللحاف وعلى عائشة طرفه ثم يصلي (٣). وهذا يخالف ما ورد في مسند أحمد ان النبي (ص) كره الصلاة في ملاحف النساء (٤). في مسند أحمد عن عائشة قالت: كنت أبيت أنا ورسول الله (ص) في الشعار الواحد وأنا طامث حائض قالت: فان أصابه مني شئ غسله لم

يعد مكانه وصلى فيه (٥). وفي رواية أنها طرقتها الحيضة من الليل ورسول الله (ص) يصلي فأشارت إلى رسول الله (ص) بثوب فيه دم فاشار إليها رسول الله (ص) وهو في الصلاة اغسليه فغسلت موضع الدم ثم اخذ رسول الله ذلك الثوب فصلى فيه (٦).

---

(١) المرط من اكسية النساء ويكون من صوف اوخز أو غيره تلتحف به. (٢) صحيح مسلم ج ٢ / ٦١ باب الاعتراض بين يدي المصلي ومسند احمد ج ٦ / ٦٧ و ٧٠ و ٩٩ و ١٢٩ و ١٣٧ و ١٤٦ و ١٩٩ و ٢٠٤ و ٢٢٠ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١. (٣) مسند أحمد ج ٦ / ٣٢. (٤) مسند أحمد ج ٦ / ١٢٩. (٥) مسند احمد ج ٦ / ٤٤. (٦) مسند أحمد ج ٦ / ٦٦.

---

[٦٠]

النبي يتكئ في حجرها وهي حائض ثم يقرأ القرآن: في البخاري عن عائشة ان النبي (ص) كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن (١). وفي رواية كان النبي (ص) يقرأ القرآن ورأسه في حجري وأنا حائض (٢). وفي سنن ابي داود في حديث لعائشة قالت: اخبرك بما صنع رسول الله (ص) ؟ دخل فمضى إلى مسجده - تعني مسجد البيت (٣) - فلم ينصرف حتى غلبتني عيني واوجعه البرد فقال: ادني مني فقلت: اني حائض فقال: وان، اكشفي عن فخذيك فكشفت فخذي فوضع خده وصدره على فخذي وحنيت عليه حتى دفئ ونام (٤). فعلته أنا ورسول الله (ص) فاغتسلنا: في مسند احمد عن القاسم، عن عائشة زوج النبي (ص) قالت: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل، فعلته أنا ورسول الله (ص)

---

(١) صحيح البخاري ج ١ / ٤٤ كتاب الحيض باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض وصحيح مسلم ج ١ / ١٦٩ كتاب الحيض ومسند احمد ج ٦ / ٦٨ و ٧٢. (٢) صحيح البخاري ج ٤ / ٢٠٤ كتاب التوحيد باب قول النبي الجاهر بالقرآن ومسند احمد ج ٦ / ١١٧ و ١٣٥ و ١٩٠ و ٢٥٨، وسنن ابي داود ج ١ / ٣٣ رمسند ابي عوانة ج ١ / ٣١٢ - ٣١٣ ومنتخب الكنز ج ٣ / ٤٧٣ وقريب منه في مسند احمد ج ٦ / ١٤٨ و ١٥٨ و ٢٠٤. (٣) قاله ابو داود. (٤) سنن ابي داود ج ١ / ٣٤.

---

[٦١]

فاغتسلنا (١). وفيه عن عبد الله بن رباح انه سأل عما يوجب الغسل فقالت: إذا اختلف الختانان وجبت الجنابة، فعلت أنا ورسول الله (ص) فاغتسلنا (٢). وعن أم كلثوم أن عائشة أخبرتها أنها والنبي فعلا ذلك ثم اغتسلا (٣). وفي رواية قالت: فعلناه مرة فاغتسلنا في الذي يجامع ولا ينزل (٤)، وقد روت ذلك عن النبي ايضا كما في هذا الحديث عن عائشة زوج النبي (ص) قالت: ان رجلا سأل رسول الله (ص) عن الرجل يجامع أهله ثم يغسل، هل عليهما الغسل ؟ وعائشة جالسة فقال رسول الله (ص): اني لافعل ذلك انا وهذه ثم نغتسل (٥). في صحيح البخاري عن عائشة زوج النبي (ص) انها قالت: كنت انام بين يدي رسول الله (ص) ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي وإذا قام بسطتهما قالت: والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح (٦). وفي رواية قالت: كنت امد رجلي في قبلة النبي (ص) وهو يصلي فإذا سجد

---

(١) مسند احمد ج ٦ / ١٦١. (٢) مسند أحمد ج ٦ / ٢٦٥. (٣) مسند أحمد ج ٦ / ٧٤. (٤) مسند أحمد ج ٦ / ١١٠ وقريب من لفظه في ص ٦٨ منه. (٥) صحيح مسلم ج ١ / ١٨٧ ومسند ابي عوانة ج ١ / ٢٨٩. (٦) صحيح البخاري ج ١ / ٥٦ باب الصلاة على الفراش من كتاب الصلاة وص ١٤١ وصحيح مسلم باب الاعتراض بين يدي المصلي ج ٢ / ٦١ ومسند ابي عوانة ج ٢ / ٥٢ - ٥٦ ومسند احمد ج ٦ / ١٤٨ و ٢٥٥ و ٢٢٥ قريبا منه، وكذلك قريب منه ص ٣٧، ٤٠ و ٤١ و ٤٤ و ٥٠ و ٥٤ و ٦٤ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٨ و ١٠٣ و ١٣٢ و ١٣٤ و ١٤٨ و ١٧٦ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٩٢ و ١٩٩ - ٢٠٠ و ٢٠٥ و ٢٢١ و ٢٣٤ و ٢٧٥.

---

[٦٢]

غمزني فرفعتها فإذا قام مددتها (١). عن عمرة عن عائشة قالت: صلى النبي (ص) في حجرتي والناس يأتمون به من وراء الحجرة يصلون بصلاته (٢). وفي مسند أحمد عن عروة، عن عائشة ان رسول الله (ص) قبل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضا، قال عروة: فقلت لها من هي إلا أنت فضحكت (٣). كانت تغسل رأس النبي وهي حائض وهو معتكف: في البخاري، عن عائشة قالت: كان

النبي (ص) يباشرني وانا حائض وكان يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فاغسله وأنا حائض (٤). وفي رواية انها كانت ترجل (٥) رسول الله (ص) وهي حائض ورسول الله (ص) حينئذ مجاور في المسجد يدني لها رأسه وهي في حجرتها فترجله وهي حائض (٦).

---

(١) صحيح البخاري ج ١ / ١٤٥ باب ما يجوز العمل في الصلاة. (٢) مسند أحمد ج ٦ / ٣٠. (٣) مسند أحمد ج ٦ / ٢١٠. (٤) صحيح البخاري ج ١ / ٢٣٩ باب الحائض ترجل المعتكف وباب غسل المعتكف و ٢٤٢ ومسند أحمد ج ٦ / ٢٠٤. (٥) رجل الشعر: سرحه أي مشطه. (٦) صحيح البخاري ج ١ / ٤٤ كتاب الحيض باب غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، وقريب منه في صحيح مسلم ج ١ / ١٦٧ كتاب الحيض والبخاري ج ٤ / ٢٩ والموطأ ١ / ٧٨ والنسائي ج ١ / ٣٥ باب غسل الحائض رأس زوجها ومنتخب الكنز ج ٣ / ٣٧٣ وسنن الدارمي ج ١ / ٢٤٦ - ٢٤٨ ومسند احمد ج ٦ / ٣٢ و ٥٠ و ٥٥ و ٨٦ و ١٠٠ =

---

[٦٣]

وفي البخاري عن عائشة قالت: كنت أغتسل أنا والنبي (ص) من اناء واحد من جنابة (١). وفي رواية أخرى فأقول له: ابق لي ابق لي (٢). وفي رواية يبادرني وأبا دره فأقول: دع لي دع لي (٣). وفي رواية أخرى أبادره ويبادرني حتى يقول: دعي لي، وأقول أنا: دع لي (٤). وهذا ينافي ما ورد عنها في المستدرك قالت: كان رسول الله (ص) لا يصلي في شعرنا ولحفنا (٥). وفي سنن أبي داود (٦) عن عائشة انها قالت: كنت إذا حضت نزلت عن المثال (٧) على الحصير فلم تقرب رسول الله (ص) =

و ١٠٤ و ١٧٠ و ١٨١ و ١٨٩ و ٢٠٤ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٢٤٧ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٤ و ٢٧٢ ومسند ابي عوانة ج ١ / ٣٠٩ والبخاري ج ١ / ٤٥. (١) صحيح البخاري ج ١ / ٤١ كتاب الغسل باب هل يدخل الجنب يده في الاناء. (٢) مسند أحمد ج ٦ / ٩١. (٣) النسائي ج ١ / ٧١ باب اغتسال الرجل والمرأة من اناء واحد وراجع: البخاري ج ١ / ٣٩ و ٤ ٠ وج ٤ / ٣١ وصحيح مسلم ج ١ / ١٧٦ كتاب الغسل وسنن النسائي ج ١ / ٢٣، ومسند ابي عوانة ج ١ / ٢٣٣ - ٢٣٤ و ٢٨٤ وسنن الدارمي ج ١ / ١٩٢، ومسند احمد ج ٦ / ٣٠ و ٣٧ و ٤٢ و ٤٣ و ٦٤ و ١٠٣ و ١١٨ و ١٢٣ و ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣١ و ١٥٧ و ١٦١ و ١٦٨ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ٢١٠ و ٢٣١ و ٢٣٥ و ٢٥٥ و ٢٦٥ و ٢٨١. (٤) ن. م. (٥) مستدرك الحاكم وتلخيصه ج ١ / ٢٥٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. (٦) سنن أبي داود ج ١ / ٣٤. (٧) المثال: الفراش.

[٦٤]

ولم تدن منه حتى تطهر. ولكن المقامين يختلفان ففي المقام الأول كان القصد من التحديث بيان حب النبي (ص) لأم المؤمنين، وفي المقام الثاني بيان واقع حال النبي (ص). النبي يقبلها وهو صائم: في مسند أحمد عن عائشة قالت: أهوئ الي رسول الله ليقبلني فقلت: اني صائمة قال: وأنا صائم فأهوى الي فقبلني (١). وفي رواية اخرى عنها: كان يقبلها وهو صائم ويمص لسانها (٢). وقالت: ان رسول الله (ص) ليظل صائما ثم يقبل ما شاء من وجهي حتى يفطر (٣). وفي رواية وهو صائم في رمضان (٤). وفي رواية ان رسول الله كان يباشرها وهو صائم ثم يجعل بينه وبينها ثوبا يعني الفرج (٥).

---

(١) مسند أحمد ج ٦ / ١٣٤ و ١٧٦. (٢) ن. م، ص ١٢٣ و ٢٣٤. (٣) ن. م، ص ١٠١ و ٢٥٤ و ٢٦٣. (٤) ن. م، ص ٢٥٦. وراجع: مسند احمد ج ٦ / ٤٠ و ٤٢ و ٤٤ و ٩٨ و ١٠١ و ١٢٣ و ١٢٦ و ١٢٨ و ١٣٠ و ١٣٤ و ١٥٦ و ١٦٢ و ١٧٦ و ١٧٤ و ١٧٩ و ١٩٣ و ٢٠٧ و ٢١٢ و ٢١٥ و ٢٢٠ و ٢٢٣ و ٢٣٤ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٥٢ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٨ و ٢٦٣ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٨٠ و ٢٨٢ وسنن الدارمي ج ١ / ١١٧ والبخاري ج ١ / ٢٢٩ باب القبلة للصائم وصحيح مسلم ج ٣ / ١٣٤ - ١٣٧. (٥) مسند أحمد ج ٦ / ٥٩. ررواية يباشرها وهو صائم في مسند احمد ج ٦ / ٢٣٠ و ١٢٨.

---

[٦٥]

وقد روي عنها حديث التقبيل لكل من: بكر، وعلقمة، وشريح، وعثمان ابن عبد الله، وطلحة، والقاسم، وعمرو بن ميمون، وطلحة بن

عبد الله بن عوف، ومصدع ابو يحيى، وأبو سلمة، وسعد التيمي، ومحمد بن الاشعث، ومسروق، والبهي مولى الزبير، وعكرمة، والاسود، ومعاذة، وعروة.

---

[٦٦]

ب - روايات التحريم والتخيير آيات التحريم والتخيير التحريم والتخيير قصتان أخبر الله تعالى عن الاولى منهما في سورة التحريم حيث قال عز اسمه: بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير * إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا * يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون * يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون * يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من

---

[٦٧]

تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك في كل شئ قدير * يأيها النبي جهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين * وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين * ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) [الآيات: ١ - ١٢] وأخبر عن الثانية في سورة الاحزاب حيث قال عز اسمه: بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) - إلى قوله تعالى -: (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا) [الآيات: ٢٨ - ٣٤] وجاء في تفسير الايات عن أم المؤمنين عائشة الروايات الآتية:

---

[٦٨]

روايات التحريم روايات تحريم النبي العسل على نفسه: أ - في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للأول (١) بسنده عن أم المؤمنين عائشة انها قالت: ان النبي (ص) كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلا فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي (ص) فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير (٢) أكلت مغافير. فدخل عك احداهما فقالت له ذلك، فقال: لا، بل شربت عسلا عند زينب ابنة جحش ولن أعود له، (وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا) (٣) فنزلت: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلى (إن تتوبا إلى الله) عائشة وحفصة (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) بقوله: بل شربت عسلا.

---

(١) أخرج كل من البخاري ج ٣ / ٢٧١ كتاب الطلاق باب لم تحرم ما احل الله لك وج ٣ / ٢٠٥ كتاب التفسير باب تبتغي مرضاة ازواجك من سورة التحريم، وج ٤ / ١٥٨ كتاب النذور والايمان باب إذا حرم طعامه، ومسلم ج ٤ / ١٨٤، والنسائي في كتاب الطلاق ج ٦ / ١٥١ وكتاب الايمان ج ٧ / ١٣ والنذور باب تحريم ما احل الله وكتاب عشرة النساء ج ٧ / ٧١ باب الغيرة، ومسند أحمد ج ٦ / ٢٢١ وابن سعد في ج ٨ / ٧٦ ط. اوربا، والقرطبي في تفسير سورة التحريم ج ١٨ / ١٧٧ و ١٨٤ وتيسير الوصول ج ١ / ١٨٩، وابو داود ج ٢ / ١٤٥. (٢) المغافير واحدة: مغفور، صمغ حلو كريه الرائحة، ينضح من شجر العرفط، والعرفط شجر الطلح. (٣) هذه الجملة في بعض طرق هذه الرواية.

---

[٦٩]

ب - في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للأول بسنده عن عائشة قالت: كان رسول الله (ص) يحب الحلواء ويحب العسل وكان إذا صلى العصر أجاز على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك فقال لي: أهدت إمرأة من قومها عكة (١) عسل فسقت رسول الله (ص) منه شربة فقلت: أما والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة بنت زمعة وقلت: إذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله أكلت مغافير ؟ فانه سيقول: لا، فقولي له: ما هذه الريح التي اجد منك ؟ وكان رسول الله (ص) يشتد عليه أن توجد منه الريح، فانه سيقول: سقتني حفصة شربة عسل فقولي له: جرست نحله العرفط ؟ وسأقول ذلك وقوليه أنت يا صفية، فلما دخل على سودة قلت: تقول سودة: والذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أبادره بالذي قلت لي: وانه لعلى الباب فرقا منك (٢)، فلما دنا رسول الله (ص) قلت: يا رسول الله أكلت مغافير ؟ قال: لا، قلت: فما هذه الريح ؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل، قلت: جرست نحله (٣) العرفط ؟ فلما دخل علي قلت له: مثل ذلك، ودخل على صفية فقالت له: مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه، قال: لا حاجة لي به، قالت: تقول سودة: سبحان الله لقد حرمناه، قالت: قلت لها: (اسكتي) (٤).

---

(١) العكة: وعاء السمن. (٢) فرقا منك: أي خوفا منك. (٣) جرست النحل: اكلت الحلواء. والحلوة، والحلوى: طعام عمل بالسكر أو العسل. (٤) صحيح البخاري ج ٤ / ١٣٦ - ١٣٧ كتاب الحيل باب ما يكره من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر، وكتاب الطلاق باب لم تحرم ما احل الله لك ج ٣ / ٢٧١، وصحيح مسلم ج ٢ / ١١٠١ كتاب الطلاق باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، وأحمد في مسنده ج ٦ / ٥٩، وابن سعد في الطبقات ج ٨ / ٨٥ ط. اوربا، وتيسير =

---

[٧٠]

ج - في طبقات ابن سعد بسنده عن أم المؤمنين عائشة قالت: كان رسول الله (ص) قل يوم إلا وهو يطوف على نسائه فيدنو من أهله فيضع يده ويقبل كل امرأة من نسائه، حتى يأتي على آخرهن، فإن كان يومها قعد عندها وإلا قام، فكان إذا دخل بيت ام سلمة يحتبس عندها، فقلت: أنا وحفصة - وكانتا جميعا يدا واحدة - ما نرى رسول الله يمكث عندها إلا أنه يخلو معها، تعنيان الجماع، قالت: وأشتد ذلك علينا حتى بعثنا من يطلع لنا ما يحبسه عندها، فإذا هو إذا صار إليها أخرجت له عكة من عسل فتحت له فمها فيلعق منه لعقا (١)، وكان العسل يعجبه، فقالتا: ما من شئ نكرهه إليه حتى لا يلبث في بيت أم سلمة ؟ فقالتا: ليس شئ أكره إليه من أن يقال له: نجد منك ريح شئ، فإذا جاءك فدنا منك فقولي: إني اجد منك ريح شئ، فإنه يقول: من عسل أصبته عند أم سلمة، فقولي له: أرى نحله جرس عرفطا، فلما دخل على عائشة فدنا منها قالت: إني لأجد منك شيئا ! ما أصبت ؟ فقال: عسل من بيت أم سلمة، فقالت: يا رسول الله أرى نحله جرس عرفطا... الحديث (٢). ولا بد لنا في تفهم هذه الأحاديث من دراسة آيات سورة التحريم. في من نزلت هذه السورة ؟ أجمع المفسرون وأصحاب المسانيد والصحاح والسير على أن هذه السورة نزلت في أمي المؤمنين عائشة وحفصة (رض). =

الوصول ج ١ / ١٨٨ - ١٨٩، وألقرطبي في تفسير سورة التحريم ج ١٨ / ١٧٧ - ١٧٨، وكنز العمال في تفسير سورة التحريم ج ٢ / ٣٤٠ الحديث (١٧٨٨) ط. حيدر آباد. (١) لعق: أكل شيئا باصبعه أو لسانه. (٢) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٧٠، في ذكر قسم رسول الله بين نسائه.

---

[٧١]

روى البخاري عن ابن عباس قال: لبثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبي (ص) فجعلت أهابه فنزل يوما منزلا فدخل الأراك فلما خرج سألته فقال: عائشة وحفصة... الحديث (١). وروى البخاري عن ابن عباس قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع ان أسأله هيبة له، حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعت وكنا ببعض الطريق

عدل إلى الأراك لحاجة له قال: فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت له: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي (ص) من أزواجه ؟ فقال: تلك حفصة وعائشة... الحديث (٢). وروى مسلم عن ابن عباس قال: كنت أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على عهد رسول الله (ص) فلبثت سنة ما أجد له موضعا حتى صحبته إلى مكة، فلما كان بمر الظهران (٣) ذهب يقضي حاجته. فقال: أدركني بأداوة (٤) من ماء. فأتيته بها. فلما قضى حاجته ورجع ذهبت أصب عليه. وذكرت فقلت له: يا أمير المؤمنين ! من

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ / ١٣٧ - ١٣٨ في تفسير سورة التحريم من كتاب التفسير باب تبتغي مرضاة أزواجك وكتاب النكاح ج ٣ / ١٧٢ باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، وكتاب المظالم باب (٢٦) الغرفة والعلية ج ٣ / ١٧٢. (٢) صحيح البخاري ج ٤ / ٢٢ كتاب اللباس باب (٣١) ما كان النبي يتجوز من اللباس والبسط. (٣) مر الظهران: الظهران واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مر تضاف إلى هذا الوادي ويقال مر الظهران. راجع: معجم البلدان. (٤) الأداوة: إناء صغير من جلد.

---

[٧٢]

المرأتان ؟ فا قضيت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة (١). وفي مسند أحمد عن ابن عباس قال: أردت أن أسأل عمر فما رأيت موضعا فمكثت سنتين، فلما كنا بمر الظهران وذهب ليقضي حاجته، فجاء وقد قضى حاجته فذهبت أصب عليه من الماء قلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله (ص) ؟ قال: عائشة وحفصة (٢). وفي مسند الطيالسي عن ابن عباس أنه قال:... فقلت: يا أمير المؤمنين أريد أن أسألك عن حديث منذ سنة فمعتني هيبتك أن أسألك، قال: لا تفعل، إذا علمت أن عندي علما فسلني قال: قلت: أسألك عن حديث المرأتين قال: نعم حفصة وعائشة... الحديث (٣). كان ذلكم خبر ما روي عن أم المؤمنين في قصة التحريم. ما روي عن أم المؤمنين عائشة في ما هجر النبي (ص) أزواجه: روي عنها في سبب هجر النبي (ص) لأزواجه وتخييرهن بين رضا الله ورضا رسوله (ص) والدار الآخرة وبين متع الدنيا كالآتي بيانه: أ - في طبقات ابن سعد عن حارثة بن أبي الرجال قال: دخلت مع القاسم

---

(١) صحيح مسلم ج ٢ / ١١١٠ - ١١١١ كتاب الطلاق باب (٥). (٢) مسند أحمد ج ١ / ٤٨، وبلفظ آخر في ج ١ / ٣٣. (٣) مسند ابي داود الطيالسي ص ٦ الحديث (٢٣)، وسنن النسائي ج ٤ / ١٣٧ كتاب الصوم باب كم الشهر، وصحيح الترمذي ج ١٢ / ٢٠٩ تفسير سورة التحريم من كتاب التفسير، وابن سعد في الطبقات ج ٨ / ١٨٢ وتفسير القرطبي ج ١٨ / ١٨٩، وكنز العمال ج ٢ / ٣٣٢ و ٣٣٦ و ٣٣٨ تفسير سورة التحريم، وفي المستدرك للحاكم ج ٢ / ٤٩٣ عن أنس.

---

[٧٣]

ابن محمد على عمرة بنت عبد الرحمن فقال القاسم: يا أم محمد في أي شئ هجر رسول الله (ص) نساءه ؟ فقالت عمرة: أخبرتني عائشة أنه أهدي إلى رسول الله هدية في بيتها فأرسل إلى كل امرأة من نسائه بنصيبها وأرسل إلى زينب بنت جحش فلم ترض ثم زادوها مرة أخرى فلم ترض فقالت عائشة: لقد أقمأت (١) وجهك أن ترد عليك المدية. فقال رسول الله (ص): لأنتن أهون على الله من ان تقمئنني، لا أدخل عليكن شهرا. قالت: فدخل في مشربة، وكان عمر بن الخطاب آخى رجلا من الأنصار لا يسمع شيئا إلا أخبره به ولا يسمع عمر شيئا إلا حدثه. قال: فلقيه عمر ذلك اليوم فقال: هل كان خبر ؟ فقال الأنصاري: نعم عظيم. فقال عمر: لعل الحارث بن أبي شمر سار إلينا. قال الانصاري: أعظم من ذلك. قال عمر: ما هو ؟ قال: ما أرى رسول الله إلا قد طلق نساءه... الحديث إلى قولها: فلما مضى تسع وعشرون ليلة نزل رسول الله من مشربته... الخ. وأخرج بعده مسندة إلى ابن مناح عن عائشة مثله وعن الزهري، عن عائشة أيضا نحوه (٢).

---

(١) أقمأتك: صغرتك وأذللتك. (٢) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١ ٨٨ - ١٩٠ ط. بيروت، وج ٨ / ١٣٦ - ١٣٧ ط. اوربا، ابن ماجة ج ١ / ٦٦٤ كتاب الطلاق باب (٢٤).

---

[٧٤]

دراسة الروايات: إن أحاديث أم المؤمنين عائشة في بيان سبب نزول آيات التحريم جاءت في صحاح كتب الحديث والسنن والمسانيد والتفاسير المعتمدة ومصادر السيرة الموثقة، ونجد فحاوي تلك الروايات مختلفة كل الاختلاف فيما بينها، ففي بعضها ان المتواطأ عليها حفصة، وفي أخرى انها زينب، وفي غير ما انها أم سلمة، وعن المتواطئات تارة ذكرت حفصة وعائشة واخرى عائشة وسودة وصفية، فكيف يمكن التوفيق بين هذه الاحاديث ؟ ! ثم ما قيمة تحريم النبي (ص) العسل على نفسه ليجند الله ملائكته وصالح المؤمنين ويكون هو تبارك وتعالى معهم ظهيرا للنبي (ص) عليهما ؟ أكل ذلك لانهما سببا هذا التحريم ؟ ! وما ذلك السر الذي أذاعته احداهما فأنبأ الله نبيه " فعرف بعضه وأعرض عن بعض تكرما " ؟ أهو افشاء سر تحريم النبي (ص) العسل على نفسه ؟ ألهذا ضرب الله مثلا امرأة لوط وامرأة نوح ؟ وكيف فات النبي (ص) أن العسل لم يكن بذي رائحة كريهة ليحرمها على نفسه ؟ وهل كان فاقدا حاسة الشم ومغفلا إلى هذا الحد لتنطلي عليه هذه الحيلة البسيطة ؟ اللهم إن هذا ما لا يقبله عقل سليم ! * * * كانت تلكم ما روي عن أم المؤمنين عائشة في سبب هجر النبي (ص) أزواجه وروى عنها في أمر تخيير النبي (ص) أزواجه ما يأتي:

---

[٧٥]

روايات التخيير في مسند أحمد عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل علي رسول الله (ص) قالت: بدأ بي فقلت: يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك قد دخلت من تسع وعسثرين أعدهن ؟ فقال: إن الشهر تسع وعشرون، ثم قال: يا عائشة إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ علي الآية: (يا أيها النبي قل لأزواجك - حتى بلغ - أجرا عظيما). قالت عائشة: قد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: فقلت: أفي هذا أستأمر أبوي ؟ فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة (١). وفي رواية عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه بعد هذا: " ففرح بذلك رسول الله (ص) " (٢).

---

(١) مسند أحمد ج ٦ / ١٦٣، وصحيح البخاري ج ٣ / ٢٧٠ كتاب الطلاق باب من خير نساءه. (٢) مسند أحمد ج ٦ / ٧٨ وللحديث طرق كثيرة منها في مسند أحمد ج ٦ / ٧٨ و ١٠٣ و ١٥٢ - ١٥٣ و ١٨٥ و ٢٤٨ و ٢٦٣ - ٢٦٤ و ٢١١ - ٢١٢ فقال: يا عائشة إني عارض عليك أمرا فلا تفتاتن فيه بشئ حتى تعرضيه على ابويك ابي بكر وام رومان. قالت: أي رسول الله وما هو ؟، وفي صحيح مسلم ج ٢ / ١١٠٣ كتاب الطلاق باب إن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية وج ٢ / ١١٠٧ باب في الايلاء واعتزال النساء وتخييرهن، وابن ماجة ج ١ / ٦٦٢ كتاب الطلاق باب التخيير رقم (٢٠٥٣)، والنسائي ج ٦ / ١٥٩ - ١٦٠ كتاب الطلاق، والترمذي ج ١٢ / ٨٤ وابن سعد ج ٨ / ٦٨ - ٦٩.

---

[٧٦]

وعلى هذه الاحاديث استند الزركشي في الاجابة في قوله: (كان قوله لها: لا تبادريني بالجواب خوفا من أن تبتدره باختيار الدنيا) (١). إن هذه المشاكل إلى غيرها تدعونا إلى الرجوع إلى غير أحاديث أم المؤمنين عائشة لعلنا نجد فيها تفسيرا يرفع غموض آيات السورتين الكريمتين. ما روي عن الخليفة عمر في قصتي التحريم والتخيير: روي عن الخليفة عمر بن الخطاب في ذلك كالآتي بيانه: روى البخاري بسنده عن ابن عباس قال: لبثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبي (ص) فجعلت أهابه فنزل يوما منزلا فدخل الأراك فلما خرج سألته فقال: عائشة وحفصة، ثم قال: كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئا، فلما جاء الاسلام وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقا من غير ان ندخلهن في شئ من امورنا، وكان بيني وبين امرأتي كلام فأغلظت لي فقلت لها: وإنك لهناك ؟ قالت: تقول هذا لي وابنتك تؤذي النبي (ص). فأتيت حفصة فقلت لها: إني أحذرك أن تعصي الله ورسوله وتقدمت إليها في اذاه. فأتيت أم سلمة فقلت لها. فقالت: أعجب منك يا عمر قد دخلت في أمورنا فلم يبق إلا أن تدخل بين رسول الله (ص) وأزواجه ؟ فرددت وكان رجل من الانصار إذا غاب عن رسول

---

(١) الاجابة: ص ٦٦.

---

[٧٧]
الله (ص) وشهدته أتيته بما يكون، وإذا غبت عن رسول الله (ص) وشهد أتاني بما يكون من رسول الله (ص) وكان من حول رسول الله (ص) قد استقام له، فلم يبق إلا ملك غسان بالشام كنا نخاف أن يأتينا، فما شعرت إلا بالانصاري وهو يقول: إنه قد حدث أمر، قلت له: وما هو ؟ أجاء الغساني ؟ قال: أعظم من ذاك طلق رسول الله (ص) نساءه، فجئت فإذا البكاء من حجرهن كلها، وإذا النبي (ص) قد صعد في مشربة له وعلى باب المشربة وصيف، فأتيته فقلت: استأذن لي، فدخلت فإذا النبي (ص) على حصير قد أثر في جنبه وتحت رأسه مرفقة من أدم حشوها ليف، وإذا أهب (١) معلقة وقرط، فذكرت الذي قلت لحفصة وام سلمة والذي ردت علي أم سلمة فضحك رسول الله (ص) فلبث تسعا وعشرين ليلة ثم نزل (٢). وفي حديثه بصحيح مسلم قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله ! ما يشق عليك من شأن النساء ؟ فان كنت طلقتهن فإن الله معك... ونزلت آية التخيير: (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه... * عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) الحديث (٣). إن حديث عمر هذا يناقض بعضه بعضا، ويخالف حديث أم المؤمنين عائشة، ويزيد في الأمر غموضا على غموض، فإن كان سبب نزول آيات

---

(١) المشربة والغرفة والعلية: بيت منفصل عن الأرض. لوالوصيف: الغلام دون المراهق. ومرفقة من أدم حشوها ليف: المرفقة المتكأ والأدم بهع أديم: الجلد المدبوغ، والليف: قشر النخل. والاهب: جمع الاهاب جلد لم يدبغ. وقرط: جلد مدبوغ بورق السلم.
(٢) صحيح البخاري ج ٤ / ٢٢ كتاب اللباس باب ما كان النبي (ص) يتجوز من اللباس والبسط وطبقات ابن سعد ٨ / ١٨٢.
(٣) صحيح مسلم ج ٢ / ١١٠٧ كتاب الطلاق باب في الايلاء واعتزال النساء وتخييرهن وايلاء: حلف.

---

[٧٨]
التحرجم ما ذكره من أن نساء النبي (ص) كن يراجعنه (١) طوال النهار ويضايقنه، وانه راجع في ذلك أم سلمة فردته، فما وجه تخصيص عائشة وحفصة من بينهن باللوم والتقريع في قوله تعالى: (وإن تظاهرا عليه...) الآيات ؟ كما صرح به هو مع اشتراك غيرها معهما في تلك المراجعة والطلب الملح، وهذا يخالف ما ذكرته أم المؤمنين في احاديثها من أن سبب نزول الايات تحريم النبي (ص) العسل على نفسه في قصة قد ذكرتها، والخليفة بعد هذا لم يذكر ما حرمه الرسول (ص) على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه ولم يبين السر الذي اذاعته زوج الرسول (ص) وزاد غموضا في الامر ما ذكر عمر في حديثه عن التحريم: من ايلاء النبي (ص) أزواجه تسعا وعشرين ليلة وتخييره اياهن، وهذا ما دعا مسلما أن يجعل التحريم والايلاء والمظاهرة امرا واحدا في صحيحه حيث قال: باب في الايلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: (وإن تظاهرا عليه) (٢) وشوش على ابن سعد فذكر التخيير في بابين من طبقاته فقال: باب ذكر المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله وتخييره نساءه (٣) وقال في باب آخر: ذكر ما هجر فيه رسول الله (ص) نساءه وتخييره اياهن (٤). هذه الاحاديث إلى عشرات من امثالها في قصة التحريم والتخيير، الواردة في كتب الصحاح والسنن والسير والمسانيد تولد للباحث دوارا شديدا في محاولته معرفة الواقع التأريخي، كما تربك المؤرخ فيما إذا أراد الرجوع إلى أصح كتب الحديث لكتابة سيرة النبي (ص) وتشوش على المفسر في محاولته تفسير آي الذكر

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٨٢. (٢) صحيح مسلم ج ٢ / ١١٠٥. (٣) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٨٢. (٤) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٧٩.

---

[٧٩]
الحكيم على ضوء الحديث النبوي الشريف، وتضيع على الفقيه جهده في استنباطه الأحكام استنادا إلى السيرة النبوية، إلا فيما إذا كان كل منهم يدرس موضوعه دراسة سطحية، ويعتمد على أول حديث يصادفه في إحدى أمهات كتب الصحاح والمسانيد، ويصدر حكمه القطعي استنادا إلى ما صادفه من حديث دونما تتبع وتنقيب عن غيره من الأحاديث المتناقضة في هذا الباب. ولعل المستشرق الأجنبي أبعد من كل هؤلاء عن فهم الواقع من حياة النبي (ص) وماذا عساه أن يفهم من الرجوع إلى هذه الأحاديث ؟ ! لقد

وجدنا أم المؤمنين في أحاديثها الأولى عن التحريم تذكر أن سبب نزوهلا مراجعة نساء النبي إياه، ونجد أم المؤمنين تذكر في أحاديثها الأخيرة أن النبي هجر نساءه شهرا لأن زينب ردت عليه ماكان قد بعثه إليها، فقالت عائشة: لقد اقأت وجهك أن ترد عليك فغضب الرسول من ذلك وقال: " أنتن أهون على الله من أن تقمئنني لا أدخل عليكن شهرا " وليت شعري ما ذنب سائر أمهات المؤمنين أن يهجرهن الرسول (ص) شهرا لما قامت به ام المؤمنين عائشة وام المؤمنين زينب، وقد قال تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ؟ أضف إلى هذا أنها قالت: إن الرسول (ص) أمرها أن تراجع أبويها في التخيير، وكان التخيير في السنة الثامنة بينا أمها كانت قد توفيت في السنة الرابعة أو الخامسة أو السادسة من الهجرة، وبعد كل هذا هل أن قصة التخيير والمظاهرة هما قصة واحدة أم إنهما قصتان ؟ أما القرآن الكريم فإذا رجعنا إليه وحده - دون الاستئناس إلى الأحاديث المذكورة - فنجد أمر التخيير مذكورا في الآيات الاتية من سورة الأحزاب كالآتي: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين

---

[٨٠]

امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) [الآية: ٢٨ و ٢٩] نجد الخطاب في هذه الايات إلى قوله تعالى: (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا) [الاية: ٣٤] موجها إلى جميع زوجات الرسول وليس فيه تهديد ووعيد وإنما تخيير بين الحياة الدنيا فيسرحهن سراحا جميلا، وبين اختيار الله ورسوله والدار الاخرة فيعد الله لهن أجرا حسنا. بينا الخطاب في سورة التحريم موجه إلى اثنتين فقط حيث قال: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن...) إلى آخر السورة، بما فيها من وعيد وتهديد، وأجمل ما فيها من التمثيل بامرأتين وامرأتين، كل ذلك يدل على أن قصة التخيير غير قصة المظاهرة والتي جاء كل منهما في سورة على حدة. * * * كان كل ذلكم في ما روي عن ام المؤمنين عائشة والخليفة الصحابي عمر بن الخطاب في قصتي التحريم والتخيير. وإذا رجعنا إلى ما روي عن غيرهما من الصحابة وجدنا: أولا - قصة التخيير: روى ابن سعد في باب " ذكر ما هجر فيه رسول الله (ص) نساءه وتخييره اياهن ": عن جارية بن أبي عمران قال: سمعت أبا سلمة الحضرمي يقول: جلست مع أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وهما يتحدثان وقد ذهب بصر جابر فجاء رجل فسلم ثم جلس فقال: يا ابا عبد الله أرسلني إليك عروة ابن

---

[٨١]

الزبير أسألك فيم هجر رسول الله (ص) نساءه ؟ فقال جابر: تركنا رسول الله يوما وليلة لم يخرج إلى الصلاة فأخذنا ما تقدم وما تأخر، فاجتمعنا ببابه نتكلم ليسمع كلامنا ويعلم مكاننا، فأطلنا الوقوف فلم يأذن لنا ولم يخرج إلينا. قال: فقلنا: قد علم رسول الله مكانكم ولو أراد أن يأذن لكم لأذن، فتفرقوا لا تؤذوه. فتفرق الناس غير عمر بن الخطاب يتنحنح ويتكلم ويستأذن حتى أذن له رسول الله، قال عمر: فدخلت عليه وهو واضع يده على خده أعرف به الكآبة، فقلت: أي نبي الله بأبي أنت وأمي ما الذي رابك ؟ وما لقي الناس بعدك من فقدهم لرؤيتك ؟ فقال: يا عمر يسألنني أولاء ما ليس عندي، يعني نساءه، فذاك الذي بلغ مني ما ترى. فقلت: يا نبي الله قد صككت (١) جميلة بنت ثابت صكة ألصقت خدها منها بالأرض لانها سألتني ما لا أقدر عليه، وأنت يا رسول الله على موعد من ربك وهو جاعل بعد العسر يسرا. قال: فلم أزل أكلمه حتى رأيت رسول الله قد تحلل عنه بعض ذلك. قال: فخرجت فلقيت أبا بكر الصديق فحدثته الحديث فدخل أبو بكر على عائشة فقال: قد علمت أن رسول الله لا يدخر عنكن شيئا فلا تسألنه ما لا يجد، انظري حاجتك فاطلبيها إلي. وانطلق عمر إلى حفصة فذكر لها مثل ذلك، ثم اتبعا أمهات المؤمنين فجعلا يذكران لهن مثل ذلك حتى دخلا على أم سلمة فذكرا لها مثل ذلك، فقالت لها أم سلمة: ما لكما ولما هاهنا رسول الله (ص)، أعلى بأمرنا عينا ولو أراد أن ينهانا لنهانا، فمن نسأل إذا لم نسأل رسول الله ؟ هل يدخل بينكما وبين أهليكما أحد ؟ فا نكلفكما هذا. فخرجا من عندها، فقال ازواج النبي (ص) لأم سلمة: جزاك الله خيرا حين فعلت ما فعلت، ما قدرنا أن نرد عليهما شيئا. ثم قال جابر لابي سعيد: ألم يكن الحديث هكذا ؟ قال: بلى

وقد بقيت منه بقية. قال جابر: فأنا

---

(١) صكه: ضربه ضربا شديدا. وصك وجهه: لطمه.

---

[٨٢]

آتي على ذلك إن شاء الله، ثم قال: فأنزل الله في ذلك: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) يعني متعة الطلاق، ويعني بتسريحهن تطليقهن طلاقا جميلا (وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة) تخترن الله ورسوله فلا تنكحن بعده أحدا. فانطلق رسول الله فبدأ بعائشة فقال: إن الله قد أمرني أن اخيركن بين أن تخترن الله ورسوله والدار الآخرة وبين أن تخترن الدنيا وزينتها، وقد بدأت بك فأنا أخيرك. قالت: اي نبي الله وهل بدأت بأحد منهن قبلي ؟ قال: لا. قالت: فإني أختار الله ورسوله والدار الآخرة فاكتم علي ولا تخبر بذاك نساءك. قال رسول الله (ص): بل أخبرهن. فأخبرهن رسول الله (ص) جميعا فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وكان خياره بين الدنيا والآخرة أن يخترن الآخرة أو الدنيا. قال: (وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما). فاخترن أن لا يتزوجن بعده. ثم قال: (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة - يعني الزنى - يضاعف لها العذاب ضعفين - يعني في الاخرة - وكان ذلك على الله يسيرا * ومن يقنت منكن لله ورسوله - يعني تطع الله ورسوله (ص) - وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين - مضاعفا لها في الآخرة وكذلك العذاب - وأعتدنا لها رزقا كريما * يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض - يقول: فجور - وقلن قولا معروفا * وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)، يقول: لا تخرجن من بيوتكن ولا تبرجن، يعني إلقاء القناع فعل أهل الجاهلية الأولى. فقال أبو سعيد: هذا الحديث على وجهه (١).

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٧٩ - ١٨١.

---

[٨٣]

كانت تلكم قصة التخيير، حدث عنها صحابيان ممن أدركا الواقعة بتفصيل واف، وبينا موقف الشيخين المشرف من ابنتيهما، وليس فيه ذكر للهجر والتحريم والطلاق مما لا مبرر للقيام به في هذه الواقعة، والتي تنتهي في يومين وليس في شهر وأن ما ذكراه يتناسب وسياق آيات التخيير. ثانيا - قصة المظاهرة والتحريم: وأما قصة المظاهرة والتحريم، فكالاتي بيانه: أخرج ابن سعد في باب " ذكر المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله (ص) وتخييره نساءه " من طبقاته بسنده إلى عروة بن الزبير قال: انطلقت حفصة إلى أبيها تحدث عنده، وأرسل رسول الله (ص) إلى مارية فظل معها في بيت حفصة وضاجعها، فرجعت حفصة من عند أبيها وأبصرتها فغارت غيرة شديدة، ثم إن رسول الله (ص) أخرج سريته فدخلت حفصة فقالت: قد رأيت ما كان عندك وقد والله سؤتني. قال النبي (ص): فإني والله لأرضينك، إني مسر إليك سرا فأخفيه لي، فقالت: ما هو ؟ قال: أشهدك أن سريتي علي حرام يريد بذلك رضا حفصة... الحديث (١). واخرج (٢) عن ابن عباس يقول: خرجت حفصة من بيتها، وكان يوم عائشة، فدخل رسول الله (ص) بجاريته وهي مخمر وجهها فقالت حفصة لرسول الله (ص): أما إني قد رأيت ما

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٨٧ وط. اوربا ج ٨ / ١٣٥. (٢) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٨٥ - ١٨٦ وج ٨ / ١ ٣٤ ط. اوربا وفي مستدرك الحاكم عن انس: ان النبي (ص) كانت له امة يطأها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه... الحديث.

---

[٨٤]

صنعت، فقال لها رسول الله (ص): فأكتمي عني وهي حرام، فانطلقت حفصة إلى عائشة فأخبرتها وبشرتها بتحريم القبطية، فقالت له عائشة: أما يومي فتعرس فيه بالقبطية، وأما سائر نسائك فتسلم لهن أيامهن ! فأنزل الله: (وإذ اسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا - لحفصة - فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير * إن تتوبا إذ الله فقد صغت قلوبكما - يعني عائشة وحفصة - وإن تظاهرا عليه - يعني حفصة وعائشة - فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح

المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربه إن طلقكن...) الآية. فتركهن رسول الله (ص) تسعا وعشرين ليلة ثم نزل: (يا أيها النبي لم تحزم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم) فأمر فكفر يمينه وحبس نساءه عليه. وعن جبير بن مطعم قريبا من هذا (١). وعن القاسم بن محمد ايضا باختصار (٢). وعن زيد بن أسلم أن النبي حرم أم إبراهيم فقال: " هي علي حرام، قال: والله لا أقربها "، قال: فنزل (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم...) الحديث (٣). وعن مسروق قال: آلى رسول الله من أمته وحرمها فأنزل الله في الايلاء (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وأنزل الله: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) فالحرام هنا حلال (٤). وأما، من هجرهن الرسول (ص)، وهل إنه هجر جميع نسائه تسعا

---

(١) ن. م، ج ٨ / ١٨٦ - ١٨٧. وج ٨ / ١٢٥ ط. اوربا. (٢) ن. م، ج ٨ / ١٨٧ و ٢١٣. وج ٨ / ١٢٥ و ١٥٤ ط. اوربا. (٣) طبقات ابن سعد ج ٨ / ١٨٦. وج ٨ / ١٢٤ ط. اوربا. (٤) ن. م، ج ٨ / ١٨٦ وج ٨ / ١٣٤ ط. اوربا.

---

[٨٥]

وعشرين يوما ؟ أو هجر بعضهن ؟ ففي حديث أم سلمة بيان ذلك فيما اخرجه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه واللفظ للاول: عن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث أن أم سلمة أخبرته أن رسول الله (ص) حلف أن لا يدخل على بعض أهله شهرا، فلما مضى تسعة وعشرون يوما غدا عليهم (أو راح). فقيل له: حلفت يا نبي الله أن لا تدخل علينا شهرا ؟ فقال: إن الشهر تسعة وعشرون يوما.. (١). وفي سنن ابن ماجة وصحيح البخاري واللفظ للاول: عن أم سلمة أن رسول الله (ص) آلى من بعض نسائه شهرا فلما كان تسعة وعشرون يوما راح أو غدا. فقيل: يا رسول الله إنما مضى تسع وعشرون. فقال: الشهر تسع وعشرون (٢). وهذا يتناسب وأصل الواقعة من قيام بعض أمهات المؤمنين بما سبب التحرجم فهجر الرسول (ص) تلكم البعض فحسب. إذن فهؤلاء الرواة يحدثون أن النبي (ص) كان قد وطا سريته مارية في بيت حفصة، فاستاءت من ذلك فحرمها على نفسه ابتغاء مرضاتها، وأسر ذلك إلى

---

(١) مسند احمد ج ٦ / ٣١٥، وصحيح مسلم ج ٢ / ٧٦٤ كتاب الصوم باب الشهر يكون تسعا وعشرين، وصحيح البخاري ج ٣ / ١٧٤ كتاب النكاح باب هجرة النبي (ص) نساءه في غير بيوتهن، وكتاب المظالم ج ٢ / ٤٨ باب الغرفة والعلية. (٢) سنن ابن ماجة ج ١ / ٦٦٤ - ٦٦٥ كتاب الطلاق باب الايلاء، وصحيح البخاري ج ٢ / ٤٨ كتاب المظلم باب الغرفة والعلية وكتاب النكاح ج ٣ / ١٧٤ باب هجرة النبي (ص) نساءه في غير بيوتهن.

---

[٨٦]

حفصة فأذاعته إلى عائشة. وفي بعض الروايات أن ذلك كان في يوم عائشة، وغير بعيد هذا القول لان النبي (ص) كان قد خصص لكل واحدة من زوجاته يوما وليلة، أما السرية فلم يكن لها يوم مخصوص ليقضي معها الرسول (ص) فلابد أنه كان يطؤها في يوم بعض أزواجه، ولما صادف ذلك في بيت حفصة ويوم عائشة، وكانتا متصافيتين فيما بينهما متظاهرتين على غيرهما، راجعتا النبي (ص) بذلك بشدة فحرم النبي (ص) السرية على نفسه، كل ذلك جائز والعقل يستسيغه. ويؤيد ذلك أن النبي (ص) لما هجرهن تسعا وعشرين ليلة مكث في العلية التي كان أسكنها مارية، والتي كيت بعد ذلك بمشربة أم إبراهيم يومين، كل ذلك جائز. وأما أنه كيف كان تظاهرهما الذي ذكره القرآن حين قال: (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه...) ؟ وما هو الأمر الذي أعرض عن ذكره الرسول (ص) تكرما ؟ فلا نطمتن إلى شئ مما حدثته الرواة في ذلك، فإن كان الرسول أعرض عن ذكره تكرما ولم يجبهم به، وأنهما ومن كان معهما لم يحدثوا ذلك لأحد فمن أين عرفه الرواة ؟ فقد وجدنا الخليفة عمر وأم المؤمنين عائشة لم يريا من الحكمة بيان ذلك في ما حدثوا عنه. أما ما قاله الرواة في ذلك فقد رووا عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا...). قال: اطلعت حفصة على النبي (ص) مع أم إبراهيم فقال: " لا تخبري عائشة " وقال لها: " إن أباك وأباها سيملكان أو سيليان بعدي فلا تخبري عائشة ". قال: فانطلقت حفصة فأخبرت عائشة، فأظهره الله عليه فعرف بعضه

---

[٨٧]

وأعرض عن بعض... (فلما نبأت به) أي أخبرت به عائشة لمصافاة كانت بينهما، وكانتا متظاهرتين على نساء النبي (ص) (وأظهره الله عليه) أي أطلعه الله عليه ومعنى (عرف بعضه وأعرض عن بعض، عرف حفصة بعض ما أوحي إليه وأعرض عن بعض تكرما (١). عن الضحاك في قوله: (يا أيها النبي لم تحرم) كانت لرسول الله (ص) فتاة فغشيها فبصرت به حفصة، وكان اليوم عائشة وكانتا متظاهرتين، فقال رسول الله (ص): " اكتمي علي ولا تذكري لعائشة ما رأيت " فذكرت حفصة لعائشة فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله (ص) حتى حلف أن لا يقربها أبدا فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يكفر يمينه ويأتي جاريته (٢). عن ابن عباس قوله: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلى قوله: (وهو العليم الحكيم) قال: كانت عائشة وحفصة متحابتين، وكانتا زوجتي النبي (ص)، فذهبت حفصة إلى أبيها فتحدثت عنده، فأرسل النبي (ص) إلى جاريته فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة فوجدتهما في بيتها فجعلت تنتظر خروجهما وغارت غيرة شديدة فأخرج رسول الله (ص) جاريته، ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سؤتني فقال النبي (ص): لارضينك فإني مسر اليك سرا فاحفظيه قالت: ما هو ؟ قال: إني أشهدك أن سريتي هذه علي حرام رضا لك... (٣) الحديث. عن ابن عباس قال: قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا ؟ * ٠ هامش) * (١) راجع: تفسير القرطبي ج ١٨ / ١٨٦ - ١٨٧ في تفسير (التحريم) والسيوطي في الدر المنثور ج ٦ / ٢٤١. (٢) تفسير الطبري ج ٢٨ / ١٠٢، تفسير سورة التحريم. (٣) تفسير الطبري ج ٢٨ / ١٠١ تفسير سورة التحريم والسيوطي ج ٦ / ٢٣٩.

---

[٨٨]

قال: عائشة وحفصة ؟ وكان بدء الحديث في شأن مارية أم إبراهيم القبطية، أصابها النبي (ص) في بيت حفصة في يومها فوجدت حفصة فقالت: يا نبي الله لقد جئت إلي شيئا ما جئته إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي قال: ألا ترضين أن احرمها فلا أقربها ؟ قالت: بلى، فحرمها وقال: لا تذكري ذلك لأحد، فذكرته لعائشة فاظهره الله عزوجل عليه فأنزل الله: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) الآيات كلها، فبلغنا أن رسول الله (ص) كفر عن يمينه وأصاب جاريته (١). وفي تفسير سورة التحريم من القرطبي (٢). روى الدارقطني عن ابن عباس، عن عمر: دخل رسول الله (ص) بأم ولده مارية في بيت حفصة، فوجدته حفصة معها - وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها - فقالت له: تدخلها بيتي ! ما صنعت بي هذا من بين نسائك إلا من هواني عليك، فقال لها: " لا تذكري هذا لعائشة فهي علي حرام إن قربتها " قالت حفصة: وكيف تحرم عليك وهي جاريتك ؟ فحلف لها ألا يقربها، فقال النبي (ص): " لا تذكريه لأحد " فذكرته لعائشة فآلى لا يدخل على نسائه شهرا فاعتزلهن تسعا وعشرين ليلة، فأنزل الله عزوجل: (لم تحرم ما احل الله لك) الآية. وفي رواية ابن عباس بكنز العمال: حتى إذا كان يوم حفصة قالت: يا رسول الله إن لي حاجة إلى أبي فأذن لي آتيه، فأذن لها، ثم أرسل إلى مارية جاريته فأدخلها بيت حفصة، فوقع عليها، فقالكت حفصة: فوجدت الباب مغلقا

---

(١) كنز العمال ج ٢ / ٣٣٢ - ٣٣٩ من تفسير سورة التحريم والحديث (١٧٨٦)، والدر المنثور للسيوطي ج ٦ / ٢٣٩ والطبري في تفسير سورة التحريم ج ٢٨ / ١٠٢. (٢) تفسير القرطبي ج ١٨ / ١٧٨ تفسير سورة التحريم. (*)

---

[٨٩]

فجلست عند الباب فخرج رسول الله (ص) وهو فزع ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي، فقال: " ما يبكيك " ؟ قالت: إنما أذنت لي من أجل هذا ؟ أدخلت أمتك بيتي، ثم وقعت عليها على فراشي، ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن، أما والله لا يحل لك هذا يا رسول الله ! فقال: " والله ما صدقت، اليس هي جاريتي وقد أحلها الله لي ؟ أشهدك أنها علي حرام ألتمس رضاك، لا تخبري بهذا امرأة منهن، فهي عندك أمانة " فلما خرج رسول الله (ص) قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة، فقالت: ألا ابشرك أن رسول الله (ص) قد حرم عليه أمته، وقد أراحنا الله تعالى منها، فأنزل الله.... الديث (١). عن زيد بن أسلم (٢) أن رسول الله (ص)

أصاب أم ولده إبراهيم في بيت بعض نسائه قال: فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي ! فجعلها عليه حراما. فقالت: يا رسول الله كيف تحرم عليك الحلال ؟ فحلف لها بالله لا يصيبها فأنزل الله عزوجل: (يا أيها النبي...) الاية. قال زيد: فقوله: انت علي حرام لغو (٣). قال ابن زيد في قوله: (يا أيها النبي لم تحرم) قال: إنه وجدت امرأة من نساء رسول الله (ص) ورسول الله مع جاريته في بيتها، فقالت: يا رسول الله أني

---

(١) كنز العمال ج ٢ / ٥٣٥ - ٥٣٧ ط. مؤسسة الرسالة في تفسير سورة التحريم وج ٢ / ٣٤٠ - ٣٤١ ط. حيدر آباد. (٢) الطبري في تفسيره ج ٢٨ / ١٠٠ تفسير سورة التحريم. (٣) وهناك ١٤ حديثا في الباب أنها نزلت في تحريم الجارية، راجع تفسير الطبري ج ٢٨ / ١٠٠ - ١٠١.

---

[٩٠]

كان هذا الأمر، وكنت أهونهن عليك ؟ فقال لها رسول الله (ص): " اسكتي لا تذكري هذا لأحد، هي علي حرام إن قربتها بعد هذا أبدا "، فقالت: يا رسول الله وكيف تحرم عليك ما أحل الله لك حين تقول: هي علي حرام أبدا ؟ فقال: " والله لا أتيها أبدا... " الحديث.

---

[٩١]

خلاصة بحثي التحريم والتخيير ونتيجتهما أ - قصة التحريم: نزلت سورة التحريم في شأن امي المؤمنين عائشة وحفصة بسبب ان رسول الله (صى) أصاب جاريته مارية في يوم عائشة وبيت حفصة فتألمت حفصة من ذلك فحرم الرسول (ص) مارية على نفسه تطييبا لخاطرها، واستكتمها الخبر فأنبأت أم المؤمنين عائشة بذلك وتظاهرتا على رسول الله (ص) فانبأه الله على ما تظاهرتا عليه، فأنبأ الرسول حفصة ببعض ما تظاهرتا عليه واعرض عن ذكر بعض ما انبأه الله لها تكرما، ثم خاطبهما الله وقال: (ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكا وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) ثم تهديد بالتطليق في الدنيا وبعد ذلك تهديد بعذاب الآخرة، ودعوة ثانية لعامة المؤمنين بالتوبة النصوح اي الخالصة من التردد وبتخويف وتهديد بعذاب الآخرة، وذكر لحال النبي (ص) والذين آمنوا معه يومذاك، ثم ضرب مثلا بسوء عاقبة زوجتي رسولين خانتا زوجيهما في مقابل حسن عاقبة مؤمنتين. * * * كان ذلكم خلاصة ما جاء في سورة التحريم، واجمعت الروايات وتواترت عن غير أم المؤمنين عائشة ان المتظاهرتين على رسول الله (ص) هما أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة. واختلفت روايات أم المؤمنين عائشة في ذكر

---

[٩٢]

المتظاهرة الثانية معها، وذكرت ان الذي حرمه الرسول (ص) على نفسه هو العسل، ولا يليق بعظمة الباري جل اسمه وحكمته ان يجيش لهذا الأمر ملائكته وصالح المؤمنين. ولا يتفق محتوى الآيات والتنصيص على ان المظاهرتين كانتا اثنتين مع رواية الخليفة عمر بأن الرسول (ص) طلق جميع أزواجه بسبب مطالبتهن الرسول (ص) بأكثر مما يتيسر له من النفقة، وانما يناسب ذلك آيات التخيير التي أمر الله جل اسمه رسوله (ص) أن يخير أزواجه بين أن يمتعهن ويسرحهن سراحا جميلا. إن أردن الدنيا وزينتها وبين أن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة التي أعد للمحسنات منهن فيها أجرا عظيما. ب - قصة التخيير: نعرف حقيقة قصة التخيير مما ذكره الصحابي جابر في الأمر أن الرسول (ص) لم يحفر لصلاة الجاعة في مسجده يوما وليلة وان الخليفة عمر استأذن النبي (ص) فدخل وأخبره النبي بان ازواجه يطالبنه من النفقة ما ليس عنده، وانه وأبا بكر طلبا من ابنتيهما أن لا تطالبا الرسول (ص) ما لا يتيسر له انفاقه عليهما، وبعدها يخاطبان سائر أزواج الرسول (ص) بذلك فجابهتهما أم سلمة بقولها: ما لكما ولما هاهنا رسول الله (ص) أعلى بامرنا... الحديث. فأنزل الله تعالى في هذا الشأن قوله الكريم: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا - يعني متعة الطلاق - وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة...) الاية. فبدأ بعائشة فقال: إن الله أمرني أن أخيركن بين أن تخترن الله ورسوله والدار الاخرة وبين أن تخترن الدنيا وزينتها وقد بدأت بك فانا اخيرك فقالت: فاني اختار الله ورسوله والدار

---
[٩٣]
الاخرة اكتم علي ولا تخبر بذلك نساءك قال: " بل اخبرهن " واخبرهن واخترن جميعا الله ورسوله والدار الآخرة، ولا يمتد زمان هذه الواقعة أكثر من يوم وليلة، ولم يشتهر فيها انه طلق نساءه فيما وانما الطلاق يناسب شأن المتظاهرتين عليه، وفيها قال الله تعالى: (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجا خيرا منكن...) فخلف الرسول (ص) أن لا يدخل عليهما شهرا تأديبا لهما، ولعله كان يذهب في نوبتهما إلى مشربة مارية. ولما تم تسع وعشرون ليلة دخل في نوبتهما في بيتيهما وكان غاية الدعاية في خلط القصتين في بعض الروايات الدفاع عن حرمة أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة.

---
[٩٤]
ج - روايات المسابقة والتيمم والافك قال المقريزي في غزوة المريسيع: كان حديث الافك، وذلك ان رسول الله (ص) نزل منزلا ليس معه ماء وسقط عقد عائشة (رض) من عنقها، فأقام (ص) بالناس حتى أصبحوا وضجر الناس وقالوا: حبستنا عائشة، فضاق بذلك أبو بكر وعاتب عائشة عتابا شديدا، ونزلت آية التيمم... ثم ساروا ونزلوا موضعا دمثا طيبا ذا أراك فقال رسول الله (ص): " يا عائشة ! هل لك في السباق " ؟ قالت: نعم، فتحزمت ثيابها وفعل ذلك رسول الله (ص)، ثم استبقا، فسبق (ص) عائشة (رض)، فقال: (هذه بتلك السبقة التي كنت سبقتني ". وكان جاء إلى منزل أبي بكر، ومع عائشة شئ فقال: " هلميه " فأبت وسعت وسعى في أثرها فسبقته.... وكان يرحل بعير عائشة أبو مويهبة ورجل آخر، وكانت تقعد في هودج... ثم ذكر قصة الافك (١). وقال ابن سعد بعد ايراده خبر غزوة بني المصطلق: وفي هذه الغزاة سقط عقد لعائشة فاحتبسوا على طلبه، فنزلت آية التيمم، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.

---
(١) امتاع الاسماع للمقريزي ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

---
[٩٥]
وفي هذه الغزاة كان حديث عائشة وقول أهل الافك فيها. قال: وأنزل الله تبارك وتعالى براءتها. وغاب رسول الله (ص) في غزاته هذه ثمانية وعشرين يوما وقدم المدينة لهلال شهر رمضان (١). وتفصيل الاخبار في كتب الحديث كالآتي بيانها باذنه تعالى:

---
(١) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٦٥ ط. بيروت.

---
[٩٦]
أولا - حديث المسابقة أخرج أحمد حديث المسابقة بأربعة أسانيد في مسنده (١). عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: خرجت مع النبي (ص) في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى اسابقك، فسابقته فسبقته فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس: تقدموا، فتقدموا ثم قال: تعالي حتى اسابقك فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك. عن أبي سلمة مثله (٢). وعن هشام، عن أبيه أيضا قريبا منه (٣). وعن القاسم بن محمد، عن عائشة باختصار (٤). * * * كانت تلكم أحاديث المسابقة في مسند أحمد. وفي ما يأتي حديث التيمم بإذنه تعالى.

(٢ و ٣ و ٤ و ٥) مسند احمد ج ٦ / ٢٦٤ و ٢٨٠ و ٣٩ و ١٨٢ و ١٢٩ و ٢٦١ وراجع منتخب الكنز ج ٦ / ١٧٣ وفي عيون الاخبار ج ١ / ٣١٥ بسنده إلى ابي سلمة وفي سنن ابن ماجة ص ٦٣٥ كتاب النكاح باب حسن المعاشرة عن هشام عن ابيه موجز الحديث.

---
[٩٧]
ثانيا - حديث التيمم: في صحيحي البخاري ومسلم وسنن النسائي وسنن الدارمي وسنن ابن ماجة وموطأ مالك ومسند أحمد وأبي عوانة واللفظ للاول: عن عائشة انها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله (ص) ناسا من أصحابه في طلبها فأدركتهم

الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي (ص) شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجا وجعل للمسلمين فيه بركة (١). وفي مسند أحمد: عن عبد الله بن الزبير، عن عائشة زوج النبي (ص): أقبلنا مع رسول الله (ص) في بعض أسفاره حتى إذا كنا بتربان بلد بينه وبين المدينة بريد وأميال وهو بلد لاماء به... الحديث. وفيه أن أباها قال لها: والله ما علمت يا بنية انك لمباركة، ماذا جعل الله

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فضل عائشة ٢ / ٣٠٨، وصحيح مسلم، كتاب الحيض، الحديث رقم ١٠٩، ج ١ / ٢٧٩، وسنن النسائي، كتاب الطهارة، باب بدء التيمم ١ / ١٦٣ - ١٦٤، وسنن الدارمي، كتاب الوضوء، باب التيمم مرة ١ / ١٩٠ - ١٩١، وموطأ مالك، كتاب الطهارة، باب في التيمم، ح: ٨٩، ج ١ / ٥٣ - ٥٤، ومسند أحمد ٦ / ١٧٦، وسنن ابن ماجة، كتاب الطهارة، ح: ٥٦٨، ج ١ / ١٨٨، ومسند أبي عوانة ١ / ٣٠٢.

---

[٩٨]

للمسلمين في حبسك اياهم من البركة واليسر (١).

---

(١) مسند أحمد ج ٦ / ٢٧٢ وفي مادة تربان من معجم البلدان.

---

[٩٩]

ثالثا - حديث الافك أ - في صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد (١) واللفظ للأول: عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: كان رسول الله (ص) إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله (ص) معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله (ص) بعد ما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله (ص) من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلم قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جزع ظفار (٢) قد انقطع فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا

---

(١) أخرج هذه الرواية كل من البخاري ج ٦ / ١٢٧ في باب (لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسم خيرا) من تفسير سورة النور ط. بيروت دار التراث العربي، وفي باب حديث الافك من كتاب المغازي ج ٣ / ٢٦ - ٢٨. ومسلم في (باب في حديث الافك) من كتاب التوبة ج ٨ / ١١٢ - ١١٨. وفي مسند أحمد ج ٦ / ١٩٤ - ١٩٨ والطبري في تفسيره بسندهم إلى الزهري قال: حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص الليثي، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة (رض) زوج النبي (ص) حين قال لما أهل الافك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا: وكل حدثني طائفة من الحديث وبعض حديثهم يصدق بعضا وان كان بعضهم اوعى له من بعض. الحديث. (٢) الجزع: الخرز اليماني وظفار: بلد باليمن.

---

[١٠٠]

يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون اني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم انما تأكل العلقة (١) من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وكنت جارية... حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فاقمت في منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الزكواني - عرس - (٢) من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ عل يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة (٣) فهلك من هلك وكان الذي تولى الافك عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الافك لا أشعر بشئ من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا أعرف من رسول الله (ص) اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكي، إنما يدخل علي رسول الله (ص) فيسلم ثم يقول: كيف

تيكم ؟ ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر، حتى خرجت بعدما نقهت فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع (٤) وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا

---

(١) البلغة: البلغة من الطعام. (٢) في رواية مسلم. وعرس في السفر: نزل آخر الليل لنوم أو استراحة، أدلج: سار آخر الليل. (٣) في نحر الظهيرة: نحر الظهيرة حين تبلغ الشمس منتهاها من ارتفاع كأنها وصلت إلى النحر وهو أعلى الصدر. (٤) المناصع: هي المواضع التي يختلى فيها لقضاء الحاجة واحدها منصع.

[١٠١]

إلى ليل، وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا. فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا ؟ قالت: أي هنتاه (١) أو لم تسمعي ما قال ؟ قلت: وما قال ؟ قالت: فأخبر تني بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضي، قالت: فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله (ص) - تعني سلم - ثم قال: كيف تيكم ؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله (ص) فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس ؟ قالت: يا بنية هوني عليك فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله (ص) علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستأمر هما فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله (ص) بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال: يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله (ص) بريرة فقال: أي

---

(١) أي هنتاه: يا امرأة، يا هذه، يا بلهاء.

[١٠٢]

بريرة هل رأيت شئ يريبك ؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق ان رأيت عليها أمرا أغمصه (١) عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن (٢) فتأكله، فقام رسول الله (ص) فاستعذر يومئذ عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيرا. ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر ألله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله (ص) قائم على المنبر فلم يزل رسول الله (ص) يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما ما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لما فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله (ص) فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني،

---

(١) اغمصه: اعيبه عليها. (٢) الداجن: هو الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم وقد يسمى به كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها.

---

[١٠٣]

قالت: فتشهد رسول الله (ص) حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة فانه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله أص) مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة فقلت لأبي: أجب رسول الله (ص) فيما قال: قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله (ص) فقلت لأمي: أجيبي رسول الله (ص) قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله (ص) قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن: اني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم اني بريئة وان الله مبرئني ببرأتي ولكن والله ما كنت اظن ان الله ينزل في شأني وحيا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله (ص) في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت: فو الله ما قام رسول الله (ص) ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء (١) حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه قالت: فلما سري عن رسول الله (ص) وسري عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة اما الله عزوجل فقد برأك، فقالت أمي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عزوجل وأنزل الله: (إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم) العشر الآيات كلها، فلم أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق - وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره -: والله

---

(١) البرحاء: الشدة.

---

[١٠٤]

لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال. فانزل الله: (ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) قال أبو بكر: بلى والله اني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا، قالت عائشة: وكان رسول الله (ص) سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرا، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي (ص) فعصمها الله بالورع، قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لما فهلكت في من هلك من أصحاب الافك. ب - وأخرج البخاري (١) ومسلم في قصة الافك أيضا عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي عن عائشة قالت: لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به قام رسول الله (ص) في الناس خطيبا... ثم قال: فقام سعد بن معاذ فقال: ائذن لي يا رسول الله أن نضرب أعناقهم، وقام رجل من بني الخزرج وكانت ام حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال: كذبت... ولما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح فعثرت فقالت: تعس مسطح... ثم عثرت الثالثة فقالت: تعس مسطح فانتهرتها فقالت: والله ما أسبه إلا فيك. قلت: في أي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة النور، باب (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة...)، ج ٣ / ١١٢ و ١١٣ وج ٦ / ١٣٥ - ١٣٦ وهذا سنده: وقال أبو أسامة عن هشام بن عروة... واللفظ له، واخرجه مسلم في باب الافك من صحيحه وهذا سنده: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن العلاء قالا: ثنا أبو أسامة... الحديث ج ٨ / ١١٨ وط. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ص ٢١٢٩ - ٢١٣٠، والطبري في تفسيره ١٨ / ٧٤ - ٧٦، والترمذي ج ٢ / ٣٨٨

---

[١٠٥]

شأني ؟... فبقرت (١) لي الحديث، فرجعت إلى بيتي كأن الذي خرجت لا أجد منه لا قليلا ولا كثيرا ووعكت فقلت لرسول

الله: أرسلني إلى بيت أبي فأرسل معي الغلام... فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل... قال: أقسمت عليك أي بنية إلا رجعت إلى بيتك فرجعت... وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذي قيل له، فقال: سبحان الله، والله ما كشفت كنف (٢) انثى قط، قالت عائشة: فقتل شهيدا في سبيل الله، قالت: وأصبح أبواي عندي فلم يزالا حتى دخل رسول الله (ص)... فحمد ثم قال: اما بعد يا عائشة ان كنت قارفت سوءا أو ظلمت فتوبي... قالت: وقد جاءت امرأة من الأنصار فهي جالسة بالباب، فقلت: ألا تستحي (٣) من هذه المرأة ؟... تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت: اما بعد... وانزل على رسول الله (ص)... إلى قولها: وكان الذي يتكلم فيه مسطح وحسان ابن ثابت والمنافق عبد الله بن أبي وهو الذي كان يستوشيه (٤) ويجمعه وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة... الحديث. يختلف هذا الحديث عن الذي قبله من وجوه منها انه جاء في الحديث الأول قصة خروجها للتبرز وكلام أم مسطح معها بعد المرض، وفي الحديث الثاني ذكر أن مرضها كان بعد اخبار أم مسطح لها، ويظهر من هذا وغيره مما ينتبه إليه القارئ فيما إذا قارن بين الديثين من وجوه الاختلاف. ومضافا إلى هذين الحديثين، قد جاء في مسند أحمد (٥) طرف من حديث الافك بسند ابنه عبد الله إلى

---

(١) بقرت لي الحديث: فتحته. (٢) كنف الانسان: حظنه. (٣) كلمة نابية ولا أرى أم المؤمنين كانت تجابه الرسول (ص) بمثلها. (٤) استوشى الحديث: بحث عنه وجمعه. (٥) مسند احمد ج ٦ / ١٠٣.

---

[١٠٦]

عمر عن أبيه عن عائشة.... ج - في صحيح البخاري بسنده عن الزهري: قال لي الوليد بن عبد الملك: ابلغك أن عليا كان فيمن قذف عائشة ؟ قلت: لا. ولكن قد أخبرني رجلان من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أن عائشة قالت لهما: كان علي مسلما في شأنها (١). د - في صحيح البخاري عن هشام بن عروة عن ابيه، عن ام المؤمنين عائشة قالت: فقام رسول الله (ص) فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول. قالت: فقال رسول الله (ص) وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فو الله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي. فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد ابن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله (ص) قائم على المنبر فلم يزل رسول الله (ص) يخفضهم حتى سكتوا وسكت (٢). هـ - في سنن ابن ماجة وأبي داود والترمذي ومسند أحمد واللفظ للأول: عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة قالت: لما نزل عذري، قام رسول الله (ص) على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن. فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الافك ٣ / ٢٨. (٢) صحيح البخاري ج ٣ / ١١١ في تفسير سورة النور، وكتاب المغازي ج ٣ / ٢٧.

---

[١٠٧]

حدهم (١). وفي سنن أبي داود بسنده: فأمر برجلين وامرأة ممن تكلم بالفاحشة حسان ابن ثابت ومسطح بن اثاثة، قال النفيلي: ويقولون المرأة حمنة بنت جحش. وفي سنن الترمذي عن عروة عن عائشة مثله. وفي صحيح البخاري: وشاور عليا وأسامة في ما رمى به أهل الافك عائشة فسمع منهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين ولم يلتفت إلى تنازعهم ولكن حكم بما أمر الله (٢). وفي مغازي الواقدي بسنده عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة. كانت تلكم روايات أم المؤمنين عائشة في اوثق كتب الحديث والسيرة والتفسير عن قصتي التيمم والافك ونجد لرواياتها صدى في احاديث غيرها، كما نورد أمثله منها في ما يأتي بأذنه تعالى. أصداء روايات أم المؤمنين في

احاديث غيرها: أ - في حديث الخليفة عمر بن الخطاب. روى السيوطي في تفسير الآيات بسنده عن الخليفة عمر انه قال: كان رسول الله (ص) إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ثلاثا فن أصابتها القرعة خرج بها معه، فلما غزا بني المصطلق أقرع بينهن فأصابت عائشة وأم سلمة نخرج بهما معه، فلما كانوا في بعض الطريق مال رحل أم سلمة فأناخوا بعيرها ليصلحوا

---

(١) سنن ابن ماجة، باب حد القذف، ص ٨٥٧، وسنن أبي داود، باب حد القذف، الحديث ٤٤٤٧، و ٤٤٧٥، ٤ / ١٦٢، وفي سنن الترمذي، كتاب التفسير، تفسير سورة النور ٢ / ٥٧، ومسند احمد ٦ / ٣٥. (٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الافك ٣ / ٢٧ - ٢٨.

---

[١٠٨]

رحلها، وكانت عائشة تريد قضاء حاجة فلما أبركوا إبلهم قالت عائشة: فقلت في نفسي: إلى ما يصلح رحل أم سلمة أقضي حاجتي، قالت: فنزلت من الهودج ولم يعلموا بنزولي فأتيت خربة فانقطعت قلادتي فاحتبست في جمعها ونظامها، ولجت القوم إبلهم ومضوا وظنوا اني في الهودج، نخرجت ولم أر أحدا فاتبعتهم حتى اعييت، فقلت في نفسي: ان القوم سيفقدوني ويرجعون في طلبي فقمت على بعض الطريق، فمر بي صفوان بن المعطل وكان سأل النبي (ص) أن يجعله على الساقة فجعله، وكان إذا رجا الناس قام ليصلي ثم اتبعهم فما سقط منهم من شئ حمله حتى يأتي به أصحابه، قالت عائشة: فلما مر بي ظن أني رجل فقال: يا نومان قم فان الناس قد مضوا، فقلت: اني لست رجلا أنا عائشة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ثم أناخ بعيره فعقل يديه ثم ولى عني فقال: يا أمه قومي فاركبي فإذا ركبت فآذنيني، قالت: فركبت فجاء حتى حل العقال ثم بعث جمله فأخذ بخطام الجمل، قال عمر: فما كلمها كلاما حتى أتى بها إلى رسول الله (ص) فقال عبد الله ابن أبي بن سلول للناس: فجر بها ورب الكعبة وأعانه على ذلك حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة، وشاع ذلك في العسكر فبلغ ذلك النبي (ص) فكان في قلب النبي (ص) مما قالوا حتى رجعوا إلى المدينة، واشاع عبد الله بن أبي هذا الحديث في المدينة واشتد ذلك على رسول الله (ص) قالت عائشة: فدخلت ذات يوم أم مسطح فرأتني وأنا أريد المذهب فحملت معي السطل وفيه ماء فوقع السطل منها فقالت: تعس مسطح قالت لها عائشة: سبحان الله تسبين رجلا من أهل بدر وهو ابنك، قالت لها أم مسطح: انه سال بك السيل وأنت لا تدرين وأخبرتها بالخبر، قالت: فلما اخبرتني اخذتني الحمى بنافض مما كان ولم أجد للمذهب قالت عائشة: وقد كنت أرى من النبي (ص) قبل ذلك جفوة ولم أدر من أي شئ هو، فلما حدثتني أم مسطح علمت أن جفوة رسول الله (ص) من ذاك،

---

[١٠٩]

فلما دخل علي قلت: أتأذن لي أن أذهب إلى أهلي ؟ قال: اذهبي، نخرجت عائشة حتى أتت أباها، فقال: مالك ؟: قالت: اخرجني رسول الله (ص) من بيته، قال لها أبو بكر: فاخرجك رسول الله (ص) من بيته وآويك أنا والله لا آويك حتى يأمر رسول الله (ص) فأمره رسول الله (ص) ان يؤويها، فقال لها أبو بكر: والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية قط فكيف وقد أعزنا الله بالاسلام ؟ فبكت عائشة وأمها أم رومان وأبو بكر وعبد الرحمن وبكى معهم أهل الدار، وبلغ ذلك النبي (ص) فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه فقال: يا أيها الناس من يعذرني ممن يؤذيني ؟ فقام إليه سعد بن معاذ وسل سيفه وقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه، ان يكن من الأوس أتيتك برأسه وان يكن من الخزرج أمرتنا بأمرك فيه، فقام سعد بن عبادة فقال: كذبت والله ما تقدر على قتله انما طلبتنا بذحول كانت بيننا وبينكم في الجاهلية، فقال هذا: يا للأوس وقال هذا: يا للخزرج فاضطربوا بالنعال والهجارة فتلاطموا فقام اسيد بن حضير فقال: فيم الكلام هذا رسول الله (ص) يأمرنا بأمره فنفعله عن رغم انف منا، ونزل جبريل وهو على المنبر فلما اسري عنه تلا عليهم ما نزل به جبريل: (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، إلى آخر الاية، فصاح الناس: رضينا بما انزل الله وقام بعضهم إلى بعض وتلازموا أو تصايحوا فنزل النبي (ص) عن المنبر، وابطا الوحي في عائشة فبعث النبي (ص) إلى علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد وبريدة وكان إذا أراد ان يستشير في أمر أهله لم يعد عليا وأسامة بن زيد بعد موت أبيه، فقال لعلي: ما تقول في عائشة فقد اهمني ما قال الناس ؟

قال: يا رسول الله قد قال الناس وقد حل لك طلاقها، وقال لأسامة: ما تقول أنت ؟ قال: سبحان الله ما يحل لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، قال لبريرة: ما تقولين يا بريرة ؟ قالت: والله يا رسول الله ما علمت على أهلك إلا خيرا إلا أنها أمرأة تؤوم تنام حتى تجئ الداجن فتأكل عجينها

---

[١١٠]

وان كان شئ من هذا ليخبرنك الله، فخرج النبي (ص) حتى أتى منزل أبي بكر فدخل عليها فقال: يا عائشة ان كنت فعلت هذا الأمر فقولي لي حتى استغفر الله لك، فقالت: والله لا استغفر الله منه أبدا ان كنت قد فعلته فلا غفر الله لي وما أجد مثلي ومثلكم إلا مثل أبي يوسف. اذهب اسم يعقوب من الاسف (١) (قال انما اشكو بثي وحزني إلى الله واعلم من الله ما لا تعلمون) فبينا رسول الله (ص) يكلمها إذ نزل جبريل بالوحي فاخذت النبي (ص) نعسة فسري وهو يبتسم فقال: يا عائشة ان الله قد أنزل عذرك، فقالت: بحمد الله لا بحمدك، فتلا عليها سورة النور إلى الموضع الذي انتهى إليه عذرها وبراءتها، فقال رسول الله (ص): قومي إلى البيت، فقامت وخرج رسول الله (ص) إلى المسجد، فدعا أبا عبيدة بن الجراح فجمع الناس ثم تلا عليهم ما أنزل الله من البراءة لعائشة، وبعث إلى عبد الله بن أبي فجئ به ففربه النبي (ص) حدين وبعث إلى حسان ومسطح وحمنة فضربوا ضربا وجيعا ووجى في رقابهم. قال ابن عمر: انما ضرب رسول الله (ص) عبد الله بن أبي حدين لانه من قذف أزواج النبي (ص) فعليه حدان. فبعث أبو بكر إلى مسطح: لا وصلتك بدرهم أبدا ولا عطفت عليك بخير أبدا ثم طرده أبو بكر وأخرجه من منزله، ونزل القرآن: (ولا يأتل اولو الفضل منكم) إلى آخر الآية، فقال أبو بكر: اما إذ نزل القرآن يأمرني فيك لاضاعفن لك. وكانت امرأة عبد الله بن أبي منافقة معه فنزل القرآن: (الخبيثات) يعني امرأة عبد الله (للخبيثين) مع عبد الله (والخبيثون للخبيثات) عبد الله وامرأته (والطيبات) يعني عائشة وأزواج النبي (ص) (للطيبين) يعني

---

(١) هكذا في الأمل.

---

[١١١]

النبي (ص) (١). ب - أيضا أخرج السيوطي في تفسير الآية عن ابن عباس أنه قال: إن النبي (ص) كان إذا سافر جاء ببعض نسائه وسافر بعائشة وكان لها هودج وكان الهودج له رجال يحملونه ويضعونه، فعرس رسول الله (ص) وأصحابه وخرجت عائشة للحاجة فباعدت فلم يعلم بها فاستيقظ النبي (ص) والناس قد ارتحلوا. وجاء الذين يحملون الهودج فحملوه فلم يعلموا إلا أنها فيه فساروا. وأقبلت عائشة فوجدت النبي (ص) والناس قد ارتحلوا فجلست مكانها فاستيقظ رجل من الأنصار (٢) يقال له صفوان بن معطل وكان لا يقرب النساء فتقرب منها ومعه بعير له، فلما رآها وكان قد عرفها وهي صغيرة قال: أم المؤمنين ؟ ولوى وجهه وحملها ثم أخذ بخطام الجمل وأقبل يقوده حتى لحق الناس والنبي (ص) قد نزل وفقد عائشة، فاكثروا القول وبلغ ذلك النبي (ص) فشق عليه حتى اعتزلها. واستشار فيها زيد بن ثابت وغيره فقال: يا رسول الله دعها لعل الله يحدث أمره فيها. فقال علي بن أبي طالب: النساء كثير. وخرجت عائشة ليلة تمشي في نساء فعثرت أم مسطح فقالت: تعس مسطح، قالت عائشة: بئس ما قلت، فقالت: انك لا تدرين ما يقول فاخبرتها فسقطت عائشة مغشيا عليها، ثم أنزل الله: (إن الذين جاءوا بالافك)

---

(١) الدر المنثور ج ٥ / ٢٨ - ٢٩. (٢) يبدو ان الراوي يخلط كثيرا فان صفوان لم يكن من الأنصار.

---

[١١٢]

الآيات. وكان أبو بكر يعطي مسطحا ويصله ويبره فحلف أبو بكر لا يعطيه فنزل: (ولا يأتل أولو الفضل منكم) الاية، فأمره النبي (ص) أن يأتيها ويبشرها فجاء أبو بكر فأخبرها بعذرها وما أنزل الله فيها فقالت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك (١). ج - في الدر المنثور عن أبي اليسر الأنصاري: أن النبي (ص) قال لعائشة: يا عائشة قد أنزل الله عذرك قالت: بحمد الله لا بحمدك، فخرج رسول الله

(ص) من عند عائشة فبعث إلى عبد الله بن أبي ففربه حدين وبعث إلى مسطح وحمنة ففربهم (٢). و - في صحيح البخاري بسنده عن مسروق بن الاجدع قال: حدثتني أم رومان وهي أم عائشة قالت: بينا أنا قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت امرأة من الأنصار فقالت: فعل الله بفلان وفعل، فقالت أم رومان: وما ذاك ؟ قالت: ابني فيمن حدث الحديث، قالت: وما ذاك ؟ قالت: كذا وكذا، قالت عائشة: سمع رسول الله (ص) ؟ قالت: نعم، قالت: وأبو بكر ؟ قالت: نعم، فخرت مغشيا عليها، فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض، فطرحت عليها ثيابها فغطيتها، فجاء النبي (ص) فقال: ما شأن هذه ؟ قلت: يا رسول الله أخذتها الحمى بنافض، قال: فلعل في حديث تحدث به، قالت: نعم، فقعدت عائشة فقالت: والله لئن

---

(١) الدر المنثور ٥ / ٢٨ ومن هذه الرواية أخذ الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ ه) ما رواه بتفسير الاية من تفسيره البيان. (٢) الدر المنثور ج ٥ / ٢٩ وابو أنس قال بترجمته في اسد الغابة ج ٥ / ١٤٢: ابو أنس الانصاري مدني، وقال في آخر ترجمته: وابو انس يتصحف من ابي اسيد وكذا في الدر المنثور ذكره ابو اليسر.

---

[١١٣]

حلفت لا تصدقوني، ولئن قلت لا تعذروني، مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه، والله المستعان على ما تصفون، قالت: وانصرف ولم يقل شيئا، فأنزل الله عذرها، قالت: بحمد الله لا بحمد أحد ولا بحمدك (١). وانما قلنا ان الروايات الآنفة من اصداء روايات أم المؤمنين عائشة لأن في الرواية المروية عن الخليفة عمر بعد الاسترسال في الحديث عن القصة جاء: قالت عائشة. إذا فان ما روي عن الخليفة مصدره أم المؤمنين عائشة وتفرد هذا الحديث خاصة بذكر ما يأتي: أ - ان أباها لم يؤوها حتى اذن له رسول الله (ص). ب - ان الأوس والخزرج تضاربوا بالنعال حتى أنزل الله فيهم: (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...) الاية. ج - ان امرأة عبد الله بن أبي كانت - أيضا - منافقة وأنزل الله تعالى في شأنهما: (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) وأنزل سبحانه في شأن عائشة وسائر أزواج الرسول وا لرسول (ص): (والطيبات للطيبين) الآية. أما الرواية المروية عن ابن عباس فقد تفردت بذكر ما يأتي: أ - فاستيقظ النبي (ص) والناس قد ارتحلوا. ب - فاستيقظ رجل من الأنصار يقال له صفوان بن المعطل بينما صفوان كان من المهاجرين. ج - استشار النبي (ص) في أمرها زيد بن ثابت بينما جاء في روايات الصحاح انه استشار في أمرها أسامة بن زيد. وانما قلنا ان هذه الرواية - أيضا - من اصداء روايات أم المؤمنين لأن ابن

---

(١) صحيح البخاري ط. دار الكتب العربية بمصر سنة ١٣٢٧، كتاب المغازي، باب حديث الافك ج ٣ / ٢٨.

---

[١١٤]

عباس كان قد هاجر إلى المدينة مع أبيه في السنة الثامنة من الهجرة ولم يكن في المدينة قبل ذلك، وخبر الافك كا ترويه أم المؤمنين عائشة كان قبل ذلك، ولأن روايته للحديث الذي دار بين أم المؤمنين عائشة وأم مسطح لم يحضرها ليرويها إلا أن يكون قد سمعها من أحاديث أم المؤمنين عائشة التي مرت بنا في ما سبق والتي كانت قد انتشرت منذ عصر أم المؤمنين عائشة بين المسلمين وبقيت كذلك حتى اليوم. وكذلك الأمر في ما روي عن أبي أنيس انه أخبر أن أم المؤمنين عائشة قالت لرسل الله بعد نزول الآيات: (بحمد الله لا بحمدك) فهل كان أبو أنيس حاضرا معهما يخبر عما دار بينهما من حديث ؟ أم ان هذا الخبر - أيضا - من أصداء روايات أم المؤمنين عائشة ؟ ورواية مسروق بن الاجدع سوف يأفتي في التراجم بآخر البحث انه لم يلق ام رومان، وانه جاء إلى المدينة بعد وفاة أم رومان، ثم ان أم رومان - أيضا - على الاصح كانت قد توفيت قبل غزوة بني المصطلق. * * * كانت تلكم روايات المسابقة والتيمم والافك في كتب الصحاح والسنن والمسانيد وفي ما يأتي نورد أخبارها باذنه تعالى من أوثق مصادر سيرة الرسول (ص).

---

[١١٥]

حديث الافك في أوثق مصادر السيرة والتاريخ أخرج حديث الافك الأول عن أم المؤمنين كل من: ابن هشام (١)، والطبري (٢)، وابن كثير (٣)، وابن الأثير (٤)، عن محمد بن إسحاق وهذا سياقهم (٥): (فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان

يصنع نخرج سهمي

(١) قال ابن هشام في ج ٣ / ٣٤١ - ٣٤٧: خبر الافك في غزوة بني المصطلق " سنة ست " قال ابن إسحاق: ثنا الزهري، عن علقمة بن وقاص، وعن سعيد بن جبير، وعن عروة بن الزبير، وعن عبيد الله بن عتبة، قال: كل قد حدثني ببعض هذا الحديث، وبعض القوم كان اوعى له من بعض، وقد جمعت لك ما حدثني القوم. قال محمد بن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة نفسها حين قال فيها أهل الافك ما قالوا، وكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا، يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه، وكل كان عنها ثقة، فكلهم حدث عنها ما سمع. قالت: كان رسول الله (ص) إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه... الحديث. (٢) وأخرجه الطبري في ذكره حوادث السنة السادسة ج ٣ / ٦٧ وهذا سياقه: ثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، ثم أورد سند ابن هشام الأول بلفظه ثم قال: ثنا ابن حميد قال: ثنا ابن سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، ثم أورد سند ابن هشام الثاني بلفظه ثم أورد الحديث بنفسه كابن هشام. (٣) ابن كثير ج ٤ / ١٦٠ - ١٦١ وهذا لفظه: (قصة الافك) وهذا سياق محمد بن إسحاق ثم أورد رواية ابن هشام عن ابن إسحاق - والذي أخرجه الطبري أيضا - نقلها بألفاظها. (٤) قد أورد ابن الأثير مختصر هذا الحديث في ج ٢ / ٧٣ - ٧٥ من تأريخه وهو يورد ما جرى بين الصحابة عن تأريخ الطبري كما صرح بذلك في مقدمة تأريخه الكامل، اذن فكل هؤلاء المؤرخين ينتهي سندهم في حديث الافك إلى ابن إسحاق والطبري في تفسيره. (٥) واللفظ لابن هشام.

[١١٦]

عليهن معه نخرج بي رسول الله...) الحديث. وروى الواقدي في القصة في مغازيه في باب (ذكر عائشة وأصحاب الافك) (١) ما موجزة: عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: قلت لعائشة (رض): حدثينا يا أمه حديثك في غزوة المريسيع. قالت: يابن أخي، إن رسول الله (ص) كان إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها، وكان يحب ألا أفارقه في سفر ولا حضر. فلما أراد غزوة المريسيع أقرع بيننا نخرج سهمي وسهم أم سلمة، نخرجنا معه، فغنمه الله أموالهم وأنفسهم، ثم انصرفنا راجعين. ففزل رسول الله (ص) بتربان منزلا ليس معه ماء ولم ينزل على ماء. وقد سقط عقد لي من عنقي، فأخبرت رسول الله (ص) فأقام بالناس حتى أصبحوا، وضج الناس وتكلموا وقالوا: احتبستنا عائشة. وأتى الناس أبا بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة ؟ حبست رسول الله (ص)، والناس على غير ماء وليس معهم ماء. فضاق بذلك أبو بكر فجاءني مغيظا فقال: ألا ترين ما صنعت بالناس ؟ حبست رسول الله والناس على غير ماء وليس معهم ماء. قالت عائشة: فعاتبني عتابا شديدا وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله (ص)، رأسه على نخذي وهو نائم. فقال أسيد بن حضير: والله، إني لأرجو أن تترل لنا رخصة، ونزلت آية التيمم.

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٤٢٦، وقد تابع المقريزي في كتابه امتاع الاسماع ما جاء في مغازي الواقدي عن القصة ص ٤٢٧ - ٤٣٤.

[١١٧]

فقال رسول الله (ص): كان من قبلكم لا يصلون إلا في بيعهم وكنائسهم، وجعلت لي الأرض طهورا حيثما أدركتني الصلاة. فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت: وكان أسيد رجلا صالحا في بيت من الأوس عظيم. ثم إنا سرنا مع العسكر حتى إذا نزلنا موضعا دمثا طيبا ذا أراك، قال: يا عائشة، هل لك في السباق ؟ قلت: نعم. فتحزمت بثيابي وفعل ذلك رسول الله (ص)، ثم استبقنا فسبقني، فقال: هذه بتلك السبقة التي كنت سبقتيني. وكان جاء إلى منزل أبي ومعي شئ فقال: هلميه ! فأبيت فسعيت وسعى على أثري فسبقته. وكانت هذه الغزوة بعد أن ضرب الحجاب. قالت: وكان النساء إذ ذاك إلى الخفة، هن إنما يأكلن العلق (١) من الطعام، لم يهيجن (٢) باللحم فيثقلن. وكان اللذان يرحلان بعيري رجلين، أحدهما مولى رسول الله (ص) يقال له أبو موهبة، وكان رجلا صالحا، وكان الذي يقود بي البعير. وإنما كنت أقعد في الهودج فيأتي فيحمل الهودج فيضعه على البعير، ثم يشده بالحبال ويبعث بالبعير. ويأخذ بزمام البعير فيقود بي البعير. وكانت أم سلمة يقاد بها هكذا، فكنا نكون حاشية من الناس، يذب عنا

من يدنو منا، فربما سار رسول الله (ص) إلى جنبي وربما سار إلى جنب أم سلمة. قالت: فلما دنونا من المدينة نزلنا منزلا فبات به رسول الله (ص) بعض الليل، ثم ادلج وأذن للناس

---

(١) العلق: جمع علقة، وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغذاء. (شرح أبي ذر، ص ٣٣٥). (٢) التهييج: كالورم في الجسد. (شرح أبي ذر، ص ٣٣٥).

---

[١١٨]

بالرحيل فارتحل العسكر. وذهبت لحاجتي فمشيت حتى جاوزت العسكر وفي عنقي عقد لي من جزع ظفار (١)، وكانت أمي أدخلتني فيه على رسول الله (ص). فلما قضيت حاجتي انسل من عنقي فلا أدري به، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده، وإذا العسكر قد نغضوا (٢) إلا عيرات (٣)، وكنت أظن أني لو أقمت شهرا لم يبعث بعيري حتى أكون في هودجي، فرجعت في التماسه فوجدته في المكان الذي ظننت أنه فيه، فحبسني ابتغاؤه وأتى الرجلان خلافي، فرحلوا البعير وحملوا الهودج وهم يظنون أني فيه، فوضعوه على البعير ولا يشكون أني فيه - وكنت قبل لا أتكلم إذ أكون عليه فلم ينكروا شيئا - وبعثوا البعير فقادوا بالزمام وانطلقوا، فرجعت إلى العسكر وليس فيه داع ولا مجيب، ولا أسمع صوتا ولا زجرا. قالت: فالتفعت بثوبي واضطجعت وعلمت أني إن افتقدت رجع إلي. قالت: فو الله، إني لمضطجعة في منزلي، قد غلبتني عيني فنمت. وكان صفوان بن معطل السلمي ثم الذكواني على ساقة الناس من ورائهم، فادلج فأصبح عند منزلي في عماية الصبح، فيرى سواد إنسان فأتاني، وكان يراني قبل أن ينزل الحجاب وأنا متلفعة، فأثبتني فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني. فخمرت وجهي بملحفتي، فو الله إن كلمني كلمة غير أني سمعت استرجاعه حين أناخ بعيره. ثم وطأ على يده موليا عني، فركبت على رحله، وانطلق يقود بي حتى جئنا العسكر شد الضحى، فارتعج العسكر وقال أصحاب الافك الذي قالوا - وتولى كبره عبد الله بن أبي - ولا أشعر من ذلك بشئ والناس يخوضون في قول أصحاب

---

(١) ظفار: موضع باليمن قرب صنعاء، ينسب إليه الجزع. (القاموس المحيط، ج ٢، ص ٨١). (٢) نغضوا: تحركوا. (القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣٤٦). (٣) في ب: " ا إلا غير ات ".

---

[١١٩]

الافك. ثم قدمنا فلم أنشب أن اشتكيت شكوى شديدة، ولا يبلغني من ذلك شئ، وقد انتهى ذلك إلى أبوي، وأبواي لا يذكران لي من ذلك شيئا، إلا أني قد أنكرت من رسول الله (ص) لطفه بي ورحمته، فلا أعرف منه اللطف الذي كنت أعرف حين اشتكيت، إنما يدخل فيسلم فيقول: كيف تيكم ؟ فكنت إذا اشتكيت لطف بي ورحمني وجلس عندي. وكنا قوما عربا لا نعرف الوضوء في البيوت، نعافها ونقذرها، وكنا نخرج إلى المناصع (١) بين المغرب والعشاء لحاجتنا. فذهبت ليلة ومعي أم مسطح ملتفعة في مرطها، فتعلقت به فقالت: تعس مسطح ! فقلت: بئس لعمر الله ما قلت، تقولين هذا لرجل من أهل بدر ؟ فقالت لي مجيبة: ما تدرين وقد سال بك السيل. قلت: ماذا تقولين ؟ فأخبر تني بقول أصحاب الافك، فقلص ذلك مني، وما قدرت على أن أذهب لحاجتي، وزادني مرضا على مرضي، فما زلت أبكي ليلي ويومي. قالت: ودخل رسول الله (ص) بعد ذلك فقلت: ائذن لي أذهب إلى أبوي، وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما. فأذن لي فأتيت أبوي فقلت لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به وذكروا ما ذكروا ولا تذكرين لي من ذلك شيئا ! فقالت: يا بنية، خفضي عليك الشأن، فوالله ما كانت جارية حسناء عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها القالة وكثر الناس عليها. فقلت: سبحان الله، وقد تحدث الناس بهذا كله ؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم. قالت: فدعا رسول الله (ص) عليا وأسامة فاستشار هما في فراق أهله. قالت: وكان أحد الرجلين ألين قولا من الآخر. قال أسامة: يا رسول الله، هذا الباطل والكذب، ولا نعلم إلا خيرا، وإن بريرة تصدقك. وقال علي: لم يضيق

---

(١) هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة. واحدها منصع. (النهاية، ج ٤، ص ١٤٩). (*)

---

[١٢٠]

الله عليك، النساء كثير وقد أحل الله لك وأطاب، فطلقها وانكح غيرها. قالت: فانصرفا، وخلا رسول الله (ص) ببريرة فقال: يا بريرة، أي امرأة تعلمين عائشة ؟ قالت: هي أطيب من طيب الذهب، والله ما أعلم عليها إلا خيرا، والله يا رسول الله، لئن كانت على (١) غير ذلك ليخبرنك الله عزوجل بذلك، إلا أنها جارية ترقد عن العجين حتى تأتي الشاة فتأكل عجينها، وقد لمتها في ذلك غير مرة. وسأل رسول الله (ص) زينب بنت جحش ولم تكن امرأة تضاهي (٢) عائشة عند رسول الله (ص) غيرها. قالت عائشة: ولقد كنت أخاف عليها أن تهلك للغيرة علي، فقال هلا النبي (ص): يا زينب، ماذا علمت على عائشة ؟ قالت: يا رسول الله، حاشا سمعي وبصري، ما علمت عليها إلا خيرا. والله، ما أكلمها وإني لمهاجرتها، وما كنت أقول إلا الحق. قالت عائشة: أما زينب، فعصمها الله، وأما غيرها فهلك مع من هلك. ثم سأل رسول الله (ص) أم أيمن فقالت: حاشا سمعي وبصري أن أكون علمت أو ظننت بها قط إلا خيرا. ثم صعد رسول الله (ص) المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: من يعذرني ممن يؤذيني في أهلي ؟ ويقولون لرجل، والله ما علمت على ذلك الرجل إلا خيرا، وما كان يدخل بيتا من بيوتي إلا معي، ويقولون عليه غير الحق. فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله ؟ إن يك من الأوس آتك برأسه، وإن يك من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك نمضي لك. فقام سعد بن عبادة - وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن الغضب بلغ منه، وعلى ذلك ما غمص (٣) عليه في نفاق ولا غير ذلك إلا أن الغضب يبلغ من أهله، فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله. والله ما

---

(١) في ب: " ا لئن كانت على ذلك ". (٢) في ب: " (تناضي ". (٣) تقول هو مغموص عليه، أي مطعون في دينه. (القاموس المحيط، ج ٢ ص ٣١٠).

---

[١٢١]

قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنه من الخزرج، ولو كان من الأوس ما قلت ذلك، ولكنك تأخذنا بذحول (١) كانت بيننا وبينك في الجاهلية، وقد محا الله ذلك ! فقال أسيد بن حضير: كذبت والله، لنقتلنه وأنفك راغم فإنك منافق تجادل عن المنافقين ! والله، لو نعلم ما يهوى رسول الله من ذلك في رهطي الأدنين ما رام رسول الله مكانه حتى آتيه برأسه ؟ ولكني لا أدري ما يهوى رسول الله ! قال سعد ابن عبادة: تأبون يا آل أوس إلا أن تأخذونا بذحول كانت في الجاهلية والله ما لكم بذكرها حاجة، وإنكم لتعرفون لمن الغلبة فيها. وقد محا الله بالاسلام ذلك كله. فقام أسيد بن حضير فقال: قد رأيت موطننا يوم بعاث ! ثم تغالظوا، وغضب سعد بن عبادة فنادى: يا آل خزرج ! فانحازت الخزرج كلها إلى سعد بن عبادة. ونادى سعد بن معاذ: يا آل أوس ! فانحازت الأوس كلها إلى سعد بن معاذ. وخرج الحارث بن حزمة مغيرا حتى أتى بالسيف يقول: أضرب به رأس النفاق وكهفه. فلقيه أسيد بن حضير وهو في رهطه وقال: ارم به، يحمل السلاح من غير أمر رسول الله ! لو علمنا أن لرسول الله في هذا هوى أو طاعة ما سبقتنا إليه. فرجع الحارث (٢) واصطفت الأوس والخزرج، وأشار رسول الله (ص) إلى الحيين جميعا أن اسكتوا، ونزل عن المنبر فهدأهم وخفضهم حتى إنصرفوا. قالت عائشة: وجاء رسول الله (ص) فدخل علي فجلس عندي، وقد مكث شهرا قبل ذلك لا يوحى إليه في شأني. قالت: فتشهد رسول الله (ص) حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة، فانه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة يبرئك الله، وإن كنت ألممت بشئ مما يقول الناس فاستغفري الله عزوجل، فإن العبد إذا

---

(١) في الأصل: " بدخول "، وما أثبتناه هو قراءة ب. والذحول: العداوة. (النهاية ج ٢ / ٤٣). (٢) في ب: " فرجع الحارث بسيفه ولغطت الأوس والخزرج ".

---

[١٢٢]

اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله (ص) كلامه ذهب دمعي حتى ما أجد منه شيئا، وقلت لأبي: أجب رسول الله (ص). فقال: والله، ما أدري ما أقول وما أجيب به عنك، قالت: فقلت لامي: أجيبي عني رسول الله

(ص) فقالت: والله ما أدري ما أجيب عنك لرسول الله (ص)، وأنا جارية حديثة السن، لا أقرأ كثيرا من القرآن: قالت: فقلت: إني والله قد علمت أنكم سمعتم بهذا الحديث، فوقع في أنفسكم فصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر يعلم الله أني منه بريئة لتصدقوني. وإني والله ما أجد لي مثلا إلا أبا يوسف إذ يقول: (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) (١) والله ما يحضرني ذكر يعقوب، وما أهتدي من الغيظ الذي أنا فيه. ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وقلت: والله يعلم أني بريئة، وأنا بالله واثقة أن يبرئني الله ببرأتي. فقال أبو بكر: فما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر، والله، ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لانعبد الله ولا ندع له شيئا، فيقال لنا في الاسلام ! قالت: وأقبل علي أبي مغضبا، قالت: فاستعبرت فقلت في نفسي: " والله لا أتوب إلى الله مما ذكرتم أبدا "، وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأنا من أن ينزل في قرآن يقرأه الناس في صلاتهم، ولكن قد كنت أرجو أن يرى رسول الله (ص) في نومه شيئا يكذبهم (٢) الله عني به لما يعلم من براءتي، أو يخبر خبرا، فأما قرآن فلا والله ما ظننته ! قالت: فو الله، ما برح رسول الله (ص) من مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى يغشاه من أمر الله ماكان يغشاه. قالت: فسجي بثوبه وجمعت وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت ما رأيت فو الله لقد

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٨. (٢) في ب: " يكذب الله عني به ".

---

[١٢٣]

فرحت به وعلمت أني بريئة، وأن الله تعالى غير ظالم لي. قالت: وأما أبواي فوالذي نفسي بيده ما سري عن النبي (ص) حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا أن يأتي أمر من الله تحقيق ما قال الناس. ثم كشف رسول الله (ص) عن وجهه وهو يضحك، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان، وهو يمسح جبينه، فكانت أول كلمة قالها: " يا عائشة، إن الله قد أنزل براءتك ". قالت: وسري عن أبوي وقالت أمي: قومي إلى رسول الله. فقلت: والله، لا أقوم إلا بحمد الله لا بحمدك، فأنزل الله هذه الآية: (إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه) (١) الآية. قالت: فخرج رسول الله (ص) إلى الناس مسرورا، فصعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم تلا عليهم بما نزل عليه في براءة عائشة. قالت: فضربهم رسول الله (ص) الحد، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي، وكان مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت. قال أبو عبد الله: ويقال إن رسول الله (ص) لم يضربهم - وهو أثبت عندنا. * * كانت تلكم أخبار المسابقة والتيمم والافك في غزوة بني المصطلق ولا بد لنا في دراستها أن ندرس أخبار غزوة بني المصطلق في ما يأتي بإذنه تعالى. غزوة بني المصطلق في مغازي الواقدي ما موجزه: كانت غزوة المريسيع، ويقال غزوة بني المصطلق وهم بنو جذيمة بن كعب ابن خزاعة. فجذيمة هو المصطلق، والمريسيع ماء لخزاعة بينه وبين الفرع نحو من

---

(١) سورة النور: ١١.

---

[١٢٤]

يوم، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد (١). وكانت في سنة خمس من الهجرة، خرج رسول الله (ص) يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، وسببها أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي سيد بني المصطلق سار في قومه ومن قدر عليه من العرب، فدعاهم إلى حرب رسول الله (ص)، فابتاعوا خيلا وسلاحا وتهيأوا للمسير إلى رسول الله (ص). وجعلت الركبان تقدم من ناحيتهم فيخبرون بمسيرهم، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فبعث بريدة بن الحصيب الأسلمي يعلم علم ذلك، واستأذن النبي (ص) أن يقول فأذن له، فخرج حتى ورد عليهم ماءهم، فوجد قوما مغرورين قد تالبوا وجمعوا المجموع، فقالوا: من الرجل ؟ قال: رجل منكم، قدمت لما بلغني عن جمعكم لهذا الرجل، فأسير في قومي ومن أطاعني فتكون يدنا واحدة حتى نستأصله. قال الحارث ابن أبي ضرار: فنحن على ذلك، فعجل علينا. قال بريدة: أركب الآن فأتيكم بجمع كثيف من قومي ومن أطاعني. فسروا بذلك منه، ورجع إلى رسول الله (ص) فأخبره خبر

القوم، فندب رسول الله (ص) الناس، وأخبرهم خبر عدوهم فأسرع الناس للخروج، وقادوا الخيول وهي ثلاثون فرسا، في المهاجرين منها عشرة وفي الأنصار عشرون، ولرسول الله (ص) فرسان. وخرج مع رسول الله (ص) بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها، ليس بهم رغبة في الجهاد إلا أن يصيبوا من عرض الدنيا، وقزب عليهم السفر. فخرج رسول الله (ص) حتى سلك على الحلائق (٢) فنزل بها، فأصاب عينا من المشركين فضرب عنقه بعد أن عرض عليه الاسلام فأبى. وانتهى (ص) إلى

---

(١) البرد جمع بريد: والبريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع. (٢) يروى أيضا بالخاء المعجمة، وهو مكان به مزارع وآبار قرب المدينة. (شرح على المواهب اللدنية، ج ٢، ص ١١٦).

---

[١٢٥]

المريسيع [وهو ماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل] وقد بلغ القوم مسير رسول الله (ص) وقتله عينهم، فتفرق عن الحارث من كان قد اجتمع إليه من أفناء (١) العرب. وضرب له (ص) قبة من أدم، فصف أصحابه وقد تهيأ الحارث للحرب، ونادى عمر بن الخطاب في الناس: قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم. فأبوا ورموا بالنبل، فرمى المسلمون ساعة بالنبل ثم حملوا على المشركين حملة رجل واحد، فما أفلت منهم إنسان، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، وسبيت النساء والذرية، وغنمت الابل والشاء. ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد يقال له هشام بن صبابة: أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ. فأخرج رسول الله (ص) الخمس من جميع المغنم فكان يليه محمية بن جزء، وكان يجمع إليه الأخماس. وكانت الصدقات على حدتها، أهل الفئ بمعزل عن الصدقة، [وأهل الصدقة] بمعزل عن الفئ. فكان يعطي من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف، وفرق السبي، فصار في أيدي الرجال، وقسم المتاع والنعم والشاء، وصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن له - فكاتبها على تسع آواق من ذهب. فبينا النبي (ص) على الماء إذ دخلت عليه تسأله في كتابتها وقالت: يا رسول الله ! إني امرأة مسلمة وتشهدت وانتسبت، وأخبرته بما جرى لها، واستعانته في كتابتها، فقال: أو خير من ذلك، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك ! قالت: نعم ! فطلبها من ثابت فقال: هي لك يا رسول الله. فأدى ما عليها وأعتقها وتزوجها. وخرج الخبر إلى الناس وقد اقتسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ووطئوا نساءهم، فقالوا: أصهار النبي !

---

(١) يقال: قوم من أفناء القبائل: أي نزاع من ههنا وههنا، فهم أخلاط لا يدرى من أي قبيلة هم.

---

[١٢٦]

فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي. وكانت جويرية (رض) عظيمة البركة على قومها (١). * * * كان ذلكم موجز أخبار غزوة بني المصطلق على ماء المريسيع، وبعد انتهاء القتال وانتصار الرسول (ص) عليهم وقعت منافرة على ماء المريسيع أدى بابن أبي أن يقول ما قال، وكان بعد ذلك ما سننقله موجزا من مغازي الواقدي بإذنه تعالى. ذكر ما كان من أمر ابن أبي: روى الواقدي وقال: فبينا المسلمون على ماء المريسيع قد انقطعت الحرب، وهو ماء ظنون (٢) إنما يخرج في الدلو نصفه. أقبل سنان بن وبر الجهني ومعه فتيان من بني سالم يستقون وعلى الماء جمع من المهاجرين والانصار. فأدلى سنان دلوه، وأدلى جهجاه بن مسعود ابن سعد بن حرام الغفاري - أجير عمر بن الخطاب - دلوه، فالتبست دلو سنان ودلو جهجاه وتنازعا، فضرب جهجاه سنانا فسال الدم فنادى: يا آل خزرج ! وثارت الرجال، فهرب جهجاه وجعل ينادي في العسكر: يالقريش ! يالكنانة ! فأقبلت قريش وأقبلت الأوس والخزرج وشهروا السلاح حتى كادت تكون فتنة عظيمة، فقام رجال في الصلح فترك سنان حقه. وكان عبد الله بن أبي جالسا في عشرة من المنافقين فغضب وقال: والله ما

---

(١) مغازي الواقدي ١ / ٤٠٤ - ٤١١. (٢) الماء الظنون: أي القليل (النهاية).

---

[١٢٧]

رأيت كاليوم مذلة ! والله إن كنت لكارها لوجهي هذا ولكن قومي قد غلبوني، قد فعلوها، قد نافرونا (١) وكاثرونا في بلدنا، وأنكروا

منتنا (٢) والله ما صرنا وجلابيب (٣) قريش هذه إلا كما قال القائل: " ممن كلبك ياكلك ". والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما هتف به جهجاه وأنا حاضر لا يكون لذلك مني غيز (٤) والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضر من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتموهم بلادكم، ونزلوا منازلكم، وآسيتموهم (٥) في أموالكم حتى استغنوا، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم، ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونهم، فأيتم أولادكم وقللتم وكثروا... الحديث. وفي الاغاني (٦) فقال عبد الله بن أبي بن سلول: هذا ما جزونا به، آويناهم ثم هم يقاتلوننا ! وبلغ حسان بن ثابت الذي بين جهجاه وبين الفتية الأنصار،

---

(١) نافره: خاصمه وفاخره، فيكون أحدهما أعز نفرا من صاحبه. (٢) المنة: الاحسان والنعمة. (٣) الجلباب: إزار يشتمل به فيغطي الجسد، وهو من خشن اللباس يلبسه الفقراء، وكان المهاجرون لما هاجرا - على ما هم عليه من الخلة والعيلة - كان ذلك أكثر لباسهم فيما يرى، فجعل المنافقون يسمونهم " الجلابيب " كناية عن فقرهم وقلتهم وغربتهم، وجعلوا ذلك نبزا وتهزؤا. (٤) والغير: الاسم من قولك غيرت الشئ تغييرا، يريد لا يكون مني لهذا العدوان دفع أو تغيير أو قصاص. (٥) آسيتموهم: يريد سويتم بينكم وبينهم في هذه الأموال. (٦) الاغاني ج ٤ / ١٢ - ١٣ ط. ساسي وقال ابن كثير في ج ٤ / ١٦٣: وقد ذكر ابن إسحاق ان حسان بن ثابت قال شعرا يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة من قريش ممن تخاصم على الماء من اصحاب جهجاه.

---

[١٢٨]

فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل قدموا على رسول الله (ص) في الاسلام، وهذا الشعر من رواية مصعب دون الزهري: أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد يمشون بالقول سرا في مهادنة تهددا لي كأني لست من أحد قد ثكلت أمه من كنت صاحبه أو كان منتشبا في برثن الأسد ما للقتيل الذي اسمو فأقتله من دية فيه أعطيها ولاقود ما البحر حين تهب الريح شامية فيغطئل ويرمي العبر بالزبد يوما بأغلب مني حين تبصرني أفري من الغيظ فري العارض البرد أما قريش فإني لست تاركهم حتى ينيبوا من الغيات بالرشد ويتركوا اللات والعزى بمعزلة ويسجدوا كلهم للواحد الصمد ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم حق ويوفوا بعهد الله في سدد أبلغ بني بأني قد تركت لهم من خير ما ترك الاباء للولد الدار واسطة والنخل شارعة والبيض يرفلن في القسي كالبرد قال: فقال رسول الله (ص): " يا حسان نفست علي إسلام قومي " (١). وقال الواقدي والمقريزي: فقام زيد بن أرقم بهذا الحديث كله إلى رسول الله (ص)، فيجد عنده نفرا من أصحابه من المهاجرين والأنصار فأخبره الخبر. فكره رسول الله (ص) خبره وتغير وجهه، ثم قال رسول الله (ص): يا غلام، لعلك غضبت عليه ! قال: لا والله، لقد سمعته منه. قال: لعله أخطأ سمعك ! قال: لا يا نبي الله ! قال: لعله شبه عليك ! قال: لا والله، لقد سمعته منه يا رسول الله ! وشاع في العسكر ما قال ابن

---

(١) الاغاني ج ٤ / ١٢ - ١٣ ط. ساسي.

---

[١٢٩]

أبي، وليس للناس حديث إلا ما قال ابن أبي، وجعل الرهط من الانصار (١) يؤنبون الغلام ويقولون: عمدت إلى سيد قومك تقول عليه ما لم يقل، وقد ظلمت وقطعت الرحم ! فقال زيد: والله لقد سمعت منه ! قال: ووالله، ما كان في الخزرج رجل واحد أحب إلي من عبد الله بن أبي، والله، لو سمعت هذه المقالة من أبي لنقلتها إلى رسول الله (ص)، وإني لأرجو أن ينزل الله تعالى على نبيه حتى يعلموا أنا كاذب أم غيري، أو يرئ رسول الله (ص) تصديق قولي. وجعل زيد يقول: اللهم أنزل على نبيك ما يصدق حديثي ! فقال قائل: يا رسول الله، مر عباد بن بشر فليأتك برأسه. فكره رسول الله (ص) هذه المقالة. ويقال قال: قل لمحمد بن مسلمة يأتك برأسه. فقال النبي (ص) وأعرض عنه: لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. وقام النفر من الأنصار الذين سمعوا قول النبي (ص) ورده على الغلام، فجاءوا إلى ابن أبي فأخبروه، وقال أوس بن خولى: يا أبا الحباب، إن كنت قلته فأخبر النبي يستغفر لك، ولا تجحده فينزل ما يكذبك. وإن كنت لم تقله فأت رسول الله (ص) فاعتذر إليه واحلف لرسول الله (ص) ما قلته. فحلف بالله

العظيم ما قال من ذلك شيئا. ثم إن ابن أبي أتى إلى رسول الله (ص) فقال: يابن أبي، إن كانت سلفت منك مقالة فتب. فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد، ولا تكلمت به ! وكان في قومه شريفا، فكان يظن أنه قد صدق، وكان يظن به سوء الظن. ثم مشى إلى رسول الله (ص) وحلف بالله ما قال. وأسرع رسول الله (ص) عند ذلك السير، ورحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها. ولم يشعر أهل العسكر إلا برسول الله (ص) قد طلع على راحلته القصواء، وكانوا في حر شديد، وكان لا يروح حتى يبرد، إلا انه لما جاءه خبر ابن أبي رحل في تلك الساعة، فكان أول من لقيه، اسيد بن حضير، فقال: السلام عليك

---

(١) في ب: " يقولون ويؤنبون ".

---

[١٣٠]

أيها النبي ورحمة الله ! فقال رسول الله (ص): وعليك السلام ! فقال: يا رسول الله، قد رحلت في ساعة فنكرة ما كنت ترحل فيها ! فقال رسول الله (ص): أو لم يبلغكم ما قال صاحبكم ؟ قال: أي صاحب يا رسول الله ؟ قال: ابن أبي، زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل ! قال: فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت، فهو الأذل وأنت الأعز، والعزة لله ولك وللمؤمنين. ثم قال: يا رسول الله، ارفق به فو الله لقد جاء الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز، ما بقيت عليهم إلا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي، قد أرب (١) بهم فيها لمعرفته بحاجتهم إليها ليتوجوه، فجاء الله بك على هذا الحديث، فما يرى إلا قد سلبته ملكه. قال: فبينا رسول الله (ص) يسير من يومه ذلك، وزيد بن أرقم يعارض النبي (ص) براحلته، يريه وجهه في المسير، ورسول الله يستحث راحلته فهو مغذ في السير، إذ نزل عليه الوحي. قال زيد بن أرقم: فما هو إلا أن رأيت رسول الله (ص) تأخذه البرحاء ويعرق جبينه، وثقل يدا راحلته حتى ما كاد ينقلها، عرفت أن رسول الله (ص) يوحى إليه، ورجوت أن يكون ينزل عليه تصديق خبري. قال زيد بن أرقم: فسري عن رسول الله (ص)، فأخذ بأذني وأنا على راحلتي حتى ارتفعت من مقعدي ويرفعها إلى السماء، وهو يقول: وفت أذنك يا غلام، وصدق الله حديثك ! ونزل في ابن ابي السورة من أولها إلى آخرها وحده: (إذا جاءك المنافقون...) (٢). قال عمر: فأقبلت حتى جئت رسول الله (ص) وهو في فئ شجرة، عنده غليم أسيود يغمز ظهره، فقلت: يا رسول الله كأنك تشتكي ظهرك. فقال: تقحمت بي الناقة الليلة. فقلت: يا رسول الله، إيذن لي أن أضرب عنق ابن أبي

---

(١) أرب بهم: اشتد (القاموس المحيط ج ١، ص ٣٦). (٢) سورة المنافقون.

---

[١٣١]

في مقالته. فقال رسول الله (ص): أو كنت فاعلا ؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق ! قال رسول الله (ص): إذا لأرعدت له آنف بيثرب كثيرة، لو أمرتهم بقتله قتلوه. قلت: يا رسول الله، فمر محمد بن مسلمة يقتله. قال: لا يتحدث الناس أن محمدا قتل أصحابه. ومر عبادة بن الصامت بعبدالله بن أبي عشية راح النبي (ص) من المريسيع، وقد نزل على النبي (ص) سورة المنافقون فلم يسلم عليه، ثم مر أوس ابن خولى فلم يسلم عليه، فقال ابن أبي: إن هذا الأمر قد تمالأتما (١) عليه. فرجعا إليه فأنباه وبكّاه بما صنع، وبما نزل من القرآن إكذابا لحديثه، وجعل أوس بن خولى يقول: لا أكذب عنك أبا حتى أعلم أن قد تركت ما أنت (١٢) عليه وتبت إلى الله، إنا أقبلنا على زيد بن أرقم نلومه ونقول له: " كذبت على رجل من قومك " حتى نزل القرآن بتصديق حديث زيد وإكذاب حديثك. وجعل ابن أبي يقول: لا أعود أبدا ! وبلغ ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي مقالة عمر بن الخطاب لرسول الله (ص): " مر محمد بن مسلمة يأتك برأسه " فجاء إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله، إن كنت تريد أن تقتل أبي فيما بلغك عنه فمرني، فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا. والله، لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبر بوالد مني، وما أكل طعاما منذ كذا وكذا من الدهر، ولا يشرب شرابا إلا بيدي، وإني لأخشى يا رسول الله أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس، فأقتله فأدخل النار، وعفوك أفضل، ومنك أعظم. قال رسول الله (ص): يا عبد الله، ما أردت قتله وما أمرت به، ولنحسن صحبته

ما كان بين أظهرنا. فقال عبد الله: يا رسول الله، إن أبي

---

(١) أي تساعدا واجتمعا عليه. (النهاية، ج ٤، ص ١٠٥). (٢) في الأصل: " ما أنزل عليه "، وما أثبتناه هو قراءة ب.

[١٣٢]

كانت هذه البحرة (١) قد اتسقوا عليه ليتوجوه عليهم، فجاء الله بك، فوضعه الله ورفعنا بك، ومعه قوم يطيفون به ويذكرون أمورا قد غلب الله عليها. قال: فلما انصرف من عند النبي (ص) وعرف أن رسول الله (ص) قد تركه ولم يأمره بقتله، قال: ألا إنما الدنيا حوادث تنتظر ومن أعجب الأحداث ما قاله عمر يشئر على من عنده الوحي هكذا ولم يستشره بالتي تحلق الشعر ولو كان للخطاب ذنب كذنبه فقلت له ما قال في والدي كشر غداة يقول ابعث إليه محمدا ليقتله بئس لعمرك ما أمر فقلت رسول الله إن كنت فاعلا كفيتك عبد الله لمحك بالبصر تساعدني كف ونفس سخية وقلب على البلوى أشد من الحجر وفي ذاك ما فيه والاخرى غضاضة وفي العين مني نحو صاحبها عور فقال ألا لا يقتل المرء طائعا أباه وقد كادت تطير بها مضر قال رافع بن خديج: لما رحنا من المريسيع قبل الزوال كان الجهد بنا يومنا وليلتنا، ما أناخ منا رجل إلا لحاجته أو لصلاة يصليها. وإن رسول الله (ص) يستحث راحلته، ويخلف بالسوط في مراقها (٢) حتى أصبحنا، ومددنا يومنا حتى انتصف النهار أو كرب، ولقد راح الناس وهم يتحدثون بمقالة ابن أبي وما كان منه، فما هو إلا أن أخذهم السهر والتعب بالمسير، فا نزلوا حتى ما يسمع لقول ابن أبي في أفواههم - يعني ذكرا - وإنما أسرع رسول الله (ص) بالناس ليدعوا حديث ابن أبي، فلما

---

(١) البحرة: البلدة، يعني المدينة. (٢) أي في مراق بطنها، وهي مارق منه في أسافله. (أساس البلاغة، ص ٣٦٢).

[١٣٣]

نزلوا وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما. ثم راح رسول الله (ص) بالناس مبردا، فنزل من الغد ماء يقال له بقعاء فوق النقيع، وسرح الناس ظهرهم، فأخذتهم ريح شديدة حتى أشفق الناس منها، وسألوا عنها رسول الله (ص) وخافوا أن يكون عيينة بن حصن خالف إلى المدينة، وقالوا: لم تهج هذه الريح إلا من حدث ! وإنما بالمدينة الذراري والصبيان. وكانت بين النبي (ص) وبين عيينة مدة، فكان ذلك حين انقضائها فدخلهم أشد الخوف، فبلغ رسول الله (ص) خوفهم، فقال رسول الله (ص): ليس عليكم بأس منها، ما بالمدينة من نقب إلا عليه ملك يحرسه، وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها، ولكنه مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة، فلذلك عصفت الريح. وكان موته للمنافقين غيظا شديدا، وهو زيد بن رفاعة بن التابوت، مات ذلك اليوم. قال جابر بن عبد الله، قال: كانت الريح يومئذ أشد ما كانت قط. إلى أن زالت الشمس، ثم سكنت آخر النهار. قال جابر: فسألت حين تدمت قبل أن أدخل بيتي: من مات ؟ فقالوا: زيد بن رفاعة بن التابوت. وذكر أهل المدينة أنهم وجدوا مثل ذلك من شدة الريح حتى دفن عدو الله فسكنت الريح. قال عبادة بن الصامت يومئذ لابن أبي: أبا حباب، مات خليلك ! قال: أي أخلائي ؟ قال: من موته فتح للاسلام وأهله. قال: من ؟ قال: زيد بن رفاعة ابن التابوت. قال: يا ويلاه، كان والله وكان ! فجعل يذكر، فقلت: اعتصمت بالذنب الأبتر (١). قال: من أخبرك يا أبا الوليد بموته ؟ قلت: رسول الله (ص) أخبرنا الساعة أنه مات هذه الساعة. قال: فأسقط في يديه وانصرف كئيبا حزينا. قالوا: وسكنت الريح آخر النهار فجمع الناس ظهورهم. ثم تقدم عبد الله بن عبد الله بن أبي الناس حتى وقف لأبيه على الطريق

---

(١) أي المقطوع. (النهاية، ج ١، ص ٥٨).

[١٣٤]

- عند مضيق المدينة - فلما رآه أناخ به وقال: لا أفارقك حتى تزعم انك الذليل ومحمد العزيز. وفي رواية فقال: قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله (ص) في ذلك، فلما جاء رسول الله (ص) استأذنه في ذلك فأذن له فأرسل حتى دخل المدينة (١). انقسمت الصحابة في هذه الواقعة إلى قسمين، قسم مالت بهم العصبية القبلية عن الحق وآخرون عصمهم المبدأ والعقيدة عن الانجراف وراءها وكان حسان بن ثابت شاعر الأنصار ممن لبى نداء العصبية. قال ابن شهاب الزهري: وبلغ حسان بن ثابت الذي بين جهجاه وبين

الفتية الأنصار فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله (ص) في الاسلام: (امسى...) الأبيات. وفي رواية مصعب: (فغضب من ذلك حسان فقال هذا الشعر). مالت العصبية القبلية بحسان لما بلغه قول ابن أبي: ما صرنا وجلابيب قريش إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك. فأنشد يقول: أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد قد ثكلت امه من كنت صاحبه أو كان منتشبا في برثن الاسد ما لقتيلي الذي اغدو فاخذه من دية فيه يعطاها ولاقود ما البحر حين تهب الريح شامية فيغطئل ويرمي المعبر بالزبد

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٦٥.

---

[١٣٥]

يوما بأغلب مني حين تبصرني ملغيظ افري كفري العارض البرد (١) ثم حدا به المبدأ ان يتلافى ما قال فقال بعد هذا: اما قريش فاني لن اسالمهم حتى ينيبوا من الغيات للرشد ويتركوا اللات والعزى بمعزلة ويسجدوا كلهم للواحد الصمد ويشهدوا ان ما قال الرسول لهم حق ويوفوا بعهد الله والوكد ان قول حسان: " أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا... " الابيات إلى قوله: " كفري العارض البرد " إن هي إلا صدى لقول ابن ابي: (ما اعدنا وجلابيب قريش إلاى قال الأول: سمن كلبك يأكلك ". فان حسان يقول: امسى هؤلاء الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة - يقصد بها نفسه - امسى وحيدا وهو يلمح بهذا إلى ان الأنصار أصبحوا أقلية ثم يقول: إن صاحبي ثكلته أمه قد اصبح ذليلا كمن هو عالق في برثن الأسد ويقول: بلغت من العزة إلى حد ان قتيلي لا يعطى دية فيه وقاتله لا يقاد به، ثم تحمس بعد هذا وقال مهددا: ليس البحر حين تهب الريح عليه ويموج ويرمي بالزبد جوانبه باغلب مني حين افري اقطع من ألغيظ كفري السحاب الذي به البرد، قال كل هذا في شأن اخوانه المهاجرين ثم رجع إلى رشده وكان بليغا في تخلصه مما تورط فيه حين قال: اما قريش فلن اسالمهم حتى يتركوا اللات

---

(١) (الجلابيب): كان المشركون بمكة يلقبون اصحاب النبي (ص) بالجلابيب و (الفريعة): اسم ام حسان. و (منتشبا): عالقا في برثن الاسد. و (القود): قتل النفس بالنفس، (يغطئل): يموج ويتحرك. و (العبر): جانب النهر والبحر. و (ملغيظ) مخفف من الغيظ. و (فرى): اقطع. و (العارض): البرد السحاب الذي فيه البرد. و (الوكد): المواثيق المؤكدة.

---

[١٣٦]

والعزى ويسجدوا لله ويشهدوا بان ما قال لهم الرسول (ص) حق. ويح حسان الم يكن من سماهم بالجلابيب من فقراء المهاجرين بالمؤمنين ؟ فما باله يستكثر عليهم ويتهدد بهم ؟ بلغ فقراء المهاجرين أبيات حسان هذه فحزت في نفوسهم قال المقريزي (١): (فجاء صفوان بن المعطل إلى جعيل بن سراقة فقال: انطلق بنا نضرب حسان، فو الله ما اراد غيرك وغيري، ولنحن اقرب إلى رسول الله (ص) منهم. فأبى جعيل ان يذهب إلا بأمر رسول الله (ص) وخرج صفوان مصلتا السيف حتى ضرب حسان بن ثابت في نادي قومه). وقال ابن هشام (٢): فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف ثم قال: تلق ذباب السيف عني فانني غلام إذا هوجيت لست بشاعر ثم ان ثابت بن قيس بن شماس وثب على صفوان بن المعطل - حين ضرب حسان - فجمع يديه إلى عنقه بميل، ثم انطلق به إلى دار بني الحرث بن الخزرج فلقيه عبد الله بن رواحة، فقال: ما هذا ؟ قال: اما اعجبك ضرب حسان بالسيف ؟ والله ما أراه إلا قتله، قال له عبد الله بن رواحة: هل علم رسول الله (ص) بشئ مما صنعت ؟ قال: لا والله، قال: لقد اجترأت، اطلق الرجل، فأطلقه ثم اتوا رسول الله (ص) فذكروا ذلك له فدعا حسان وصفوان ابن المعطل، فقال حسان: يا رسول الله شهر علي السيف في نادي قومي ثم ضربني لأن اموت ولا اراني الا ميتا من جراحاتي ! فقال (ص) لصفوان: لم ضربته وحملت السلاح عليه ؟ وتغيظ. فقال: يا رسول الله آذاني وهجاني وسفه علي وحسدني على

---

(١) امتاع الاسماع ص ٢١١. (٢) سيرة ابن هشام ج ٣ / ٣٥٢ ط. مصر، تاريخ الطبري ج ٢ / ٦١٨.

---

[١٣٧]

الاسلام، فقال لحسان: " أسفهت على قوم أسلموا " ؟ ثم قال: (احبسوا صفوان فان مات حسان فاقتلوه به) فخرجوا بصفوان، وبلغ

ذلك سعد بن عبادة، فأقبل على قومه من الخزرج، فقال: عمدتم إلى رجل من قوم رسول الله تؤذونه وتهجونه بالشر وتشتمونه، فغضب لما قيل له، ثم اسرتموه أقبح الأسر ورسول الله (ص) بين أظهركم. قالوا: فإن رسول الله أمرنا بحبسه وقال: إن مات صاحبكم فاقتلوه. قال سعد: والله ان أحب الأمرين إلى رسول الله (ص) العفو، ولكن رسول الله (ص) ليحب ان يترك صفوان، والله لا أبرح حتى يطلق. فقال حسان: ماكان لي من حق فهو لك وأبى قومه فغضب قيس بن سعد بن عبادة، وقال: عجبا لكم ما رأيت كاليوم أن حسان قد ترك حقه وتأبون أنتم ؟ ما ظننت أحدا من الخزرج يرد أبا ثابت في أمر يهواه ! فاستحيا القوم واطلقوا صفوان من الوثاق فذهب به سعد إلى بيته فكساه حلة، ثم خرج به إلى المسجد ليصلي فيه، فرآه رسول الله (ص)، فقال: صفوان ؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كساه ؟ قالوا: سعد بن عبادة، قال: كساه الله من ثياب الجنة ثم كلم بعد حسان حتى أقبل في قومه إلى رسول الله (ص) وقال: يا رسول الله، كل حق لي قبل صفوان بن معطل فهو لك، قال: قد أحسنت وقبلت ذلك وأعطى حسان أرضا براحا (١) وهي يرحا وما حوله وسيرين أخت مارية وأعطاه سعد بن عبادة حائطا كان يجد ما لا كثيرا (٢) عوضا بما عفا عن حقه، ويروى أن حسان - لما حبس صفوان - أرسل إليه رسول الله (ص) فقال: يا حسان أحسن فيما أصابك

---

(١) البراح: الأرض الظاهرة الواسعة لانبات بها. (٢) جد من نخلة كذا وكذا وسقا أي أخذ من ثمرنها واقتطع وأخرجت له ذلك على أن سيرين لم تكن عند ذاك بالمدينة فانها جاءت مع ماريه.

[١٣٨]

فقال: هو لك يا رسول الله فأعطاه بيرحا وسيرين عوضا (١). * * * كانت تلكم روايات المسابقة والتيمم والافك وظروفها في مصادر الدراسات الاسلامية وفي ما يأتي نستعين الله عز اسمه ونقوم بدراستها باذنه تعالى بدءا بدراسة تراجم المذكورين في الاخبار وأسنادها:

---

(١) ان سيرين قد أهداها الرسول (ص) إلى حسان بعد هذه الواقعة بأربع سنوات أو أكثر وبعد وصولها المدينة في السنة الثامنة من الهجرة وأخطا الرواة في ذكر إهدائها هنا.

---

[١٣٩]

تراجم المذكورين في الاخبار السابقة أ - أبو مويهبة ويقال: أبو موهبة وأبو موهوبة: مولى رسول الله (ص) كان من مولدي مزينة اشتراه رسول الله (ص) فاعتقه، يقال انه شهد المريسيع ولا يوقف له على اسم (١). ب - أسامة بن زيد اسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وأمه أم أيمن حاضنة النبي (ص)، وكان يسمى حب رسول الله استعمله رسول الله (ص) في مرض وفاته في السنة الثانية عشرة من الهجرة على جيش وأمره ان يسير إلى الشام وأوعب فيه المهاجرين الأولين ولعن المتخلف عن جيشه وكان عمره يومئذ ثماني عشرة سنة، فلما اشتد برسول الله (ص) المرض لم يسيروا. فرض له عمر خمسة آلاف، يبايع عليا ولا شهد معه شيئا من حروبه. وقال له: لو أدخلت يدك في فم تنين لأدخلت يدي معها ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله (ص) حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد أن لا إله إلا الله. توفي بالجرف وحمل إلى المدينة سنة ثمان أو تسع وخمسين في أيام

---

(١) أسد الغابة ج ٥ / ٣١٠ وألكنى من الاستيعاب ص ٤ / ١٨٧ والاصابة ج ٤ / ١٨٨ الترجمة المرقمة / ١١٠٥.

---

[١٤٠]

معاوية (١). ج - اسيد بن حضير الانصاري اسيد بن حضير الانصاري الأوسي كان فارس الأوس في حروبهم مع الخزرج - شهد العقبة الثانية ومشاهد رسول الله (ص) كلها وثبت في أحد وله في بيعة أبي بكر بالسقيفة أثر عظيم وكان أبو بكر لا يقدم أحدا من الأنصار عليه - توفي سنة ٢٠ وأوصى إلى عمر فحمل عمر نعشه بنفسه (٢). د - أم رومان: أم رومان بنت عامر كانت تحت عبد الله بن الحارث الأزدي حليف أبي بكر ولدت له الطفيل وتوفي عنها، فخلف عليها أبو بكر فولدت له أم المؤمنين عائشة وعبد الرحمن. اختلفوا في سنة وفاتها في سنة أربع أو خمس أو ست من الهجرة. قال ابن الأثير في ترجمتها بأسد الغابة: (قلت: من زعم أنها توفيت

في سنة أربع أو خمس فقد وهم فانه قد صح أنها كانت في الافك حية حينئذ وكان الافك في سنة ست في شعبان والله اعلم) (٣).

(١) ترجمته بأسد الغابة وطبقات ابن سعد وتاريخ اليعقوبي ج ٢ / ١١٣ ط. بيروت. وتاريخ ابن الاثير ذكر سرية اسامة. وعبد الله بن سبأ (ج ١) ذكر بعث اسامة هذا الغلام على المهاجرين الاولين. (٢) الاستيعاب ج ١ / ٣١ - ٣٣ وأسد الغابة ج ١ / ٩١ - ٩٢ والاصابة ١ / ٦٤. (٣) اسد الغابة ج ٥ / ٥٨٣.

[١٤١]

هـ - بريدة: بريدة بن الحصيب الاسلمي أسلم حين مر به النبي (ص) مهاجرا إلى المدينة، قدم المدينة وشهد أحدا فما بعدها وتحول منها بعد رسول الله إلى البصرة ثم خرج غازيا إلى خراسان وتوفي بمرو. و - بريرة: بريرة مولاة أم المؤمنين عائشة كانت مولاة اناس قبلها فكاتبوها ثم باعوها من عائشة فاعتقتها، وكان اسم زوجها مغيثا وكان عبدا، فخيرها رسول الله (ص) فاختارت فراقه. وفي ترجمة مغيث من أسد الغابة عن ابن عباس أنه قال: إن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي (ص): الا تعجبون من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا ؟ فقال النبي (ص): لو راجعتيه ! قالت: يا رسول الله: تأمرني ؟ قال: انما اشفع، قالت: لا حاجة لي فيه (١). ز - جعبل بن سراقة الضمري: وقيل الغفاري أخو عوف وقيل جعال وهو من أهل الصفة من فقراء المسلمين، أسلم قديما وشهد أحدا أصيبت عينه يوم قريظة. وفي رواية أن النبي (ص) استخلفه على المدينة في شعبان سنه ست عندما غزابني

(١) ترجمة بريرة من أسد الغابة ج ٥ / ٤٠٩ ومغيث من أسد الغابة ج ٤ / ٤٠٥.

[١٤٢]

المصطلق (١). ح - جهجاه بن مسعود الغفاري: كان أجيرا لعمر - مات بعد عثمان بقليل (٢). ط - حسان بن ثابت الخزرجي: وأمه الفريعة بنت خالد الخزرجي يكنى أبا الوليد وأبا عبد الرحمن وأبا الحسام لمناضلته عن رسول الله (ص) ولتقطيعه اعراض المشركين (٣). في صحيح مسلم عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله (ص) يقول لحسان بن ثابت: اهجهم أو هاجهم وجبريل معك (٤). وقد كان رسول الله (ص) ينصب له منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله (ص) ورسول الله (ص) يقول: إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله (ص). وروي ان الذين كانوا يهجون رسول الله (ص) من مشركي قريش: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبعرى وعمرو بن العاص وضرار بن الخطاب. وقال قائل لعلي بن أبي طالب: اهج القوم الذين يهجوننا، فقال: إن اذن رسول الله (ص) فعلت، فقال رسول الله (ص): إن عليا ليس عنده

(١) الاستيعاب ص ٣٢٤ اسد الغابة ج ١ / ٢٩٠ و ٢٨٤. (٢) الاستيعاب ص ٣٥٧ اسد الغابة ج ١ / ٣٠٩. (٣) بترجمة حسان من اسد الغابة. (٤) صحيح مسلم ص ١٩٣٣، باب مناقب حسان بن ثابت.

[١٤٣]

ما يراد من ذلك، ثم قال: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله (ص) بأسيافهم ان ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان: انا لها وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء، قال رسول الله (ص): كيف تهجوهم وانا منهم ؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي ؟ فقال: يا رسول الله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين (١). فقال له الرسول (ص): أنت له، اذهب إلى أبي بكر يخبرك بمثالب القوم ثم اهجهم وجبريل معك فقال يرد على أبي سفيان: ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء أتهجوه ولست له بند فشر كما لخير كما الفداء فن يهجو رسول الله منكم ويطريه ويمدحه سواء لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء لساني صارم لا عيب فيه وبحري لاتكدره الدلاء فإن ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء (٢) وفي الاغاني: جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبي (ص) فقال: معي من يدعو إلى دينك وأنا له جار، فأرسل معه رجلا من الأنصار، فغدر بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاري، فقدم الحارث على رسول الله (ص) وكان عليه الصلاة

والسلام لا يؤنب أحدا في وجهه، فقال: " ادعوا لي حسان، فدعي له، فلما رأى الحارث أنشده:

(١) ترجمة حسان من اسد الغابة. (٢) العقد الفريد ج ٥ / ٢٩٤ - ٢٩٥ وفي الاستيعاب بترجمة حسان اكثر تفصيلا وأوفى.

[١٤٤]

يا حار من يغدر بذمة جاره منكم فإن محمدا لم يغدر إن تغدروا فالغدر منكم شيمة والغدر ينبت في أصول السخبر فقال الحارث: اكففه عني يا محمد، وأؤدي إليك دية الخفارة، فأدى إلى النبي (ص) سبعين عشراء وكذلك دية الخفارة، وقال: يا محمد، أنا عائذ بك من شره، فلو مزج البحر بشعره مزجه (١). وفي ترجمة مسافع بن عياض القريشي التيمي ابن خال أبي بكر: كان مسافع بن عياض شاعرا فتعرض لهجاء حسان بن ثابت ففيه يقول حسان: يا آل تيم الا تنهون جاهلكم قبل القذاف بصم كالجلاميد منهنهوه فاني غير تاركم ان عاد ما اهتز ماء في ثرى عود لو كنت من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أو اصحاب اللوا الصيد أو من بني نوفل أو ولد مطلب لله درك لم تهجم بتهديد أو من بني زهرة الأبطال قد عرفوا أو من بني جمع الحفر الجلاعيد أو في الذؤابة من تيم إذا انتسبوا أو من بني الحارث البيض الاماجيد لولا الرسول واني لست عاصيه حتى يغيبني في الرمس ملحودي وصاحب النار إني سوف احفظه وطلحة بن عبيد الله ذو الجود (٢) وفي ترجمة حسان بن ثابت من أسد الغابة: وانتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار حسان وكعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة فكان حسان وكعب

(١) الاغاني ج ٤ / ١١ ط. ساسي وترجمة الحارث في اسد الغابة ج ١ / ٣٤٢ - ٣٤٣. (٢) الاستيعاب ص ١٢٥٧ والاصابة رقم الترجمة ٧٩٢٧ أسد الغابة ج ٤ / ٢٥٢ - ٢٥٣، وترجمة طلحة من تهذيب ابن عساكر ج ٧ / ٨٣ والكامل للمبرد ج ١ / ١٦٩ - ١٧٠.

[١٤٥]

يعارضانهم مثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر ويذكرون مثالبهم، وكان عبد الله ابن رواحة يعيرهم بالكفر وبعبادة ما لا يسمع ولا ينفع فكان قوله أهون القول عليهم، وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم، فلما أسلموا وفقهوا كان قول عبد الله اشد القول عليهم. ونهى عمر بن الخطاب في انشاد شئ من مناقصة الأنصار ومشركي قريش وقال: في ذلك شتم الحي والميت وتجديد الضغائن وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الاسلام (١). وروي أنهم قالوا: فضل حسان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي (ص) في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الاسلام (٢). وقال أيضا: كان حسان من فحول الشعراء في الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره. وقيل لحسان: لان شعرك وهرم يا ابا الحسام، فقال للسائل: يابن أخي إن الاسلام يحجز عنا الكذب، يعني ان الاجادة في الشعر هو الافراط في الذي يقوله وهو كذب يمنع الاسلام منه فلا يجئ الشعر جيدا (٣). وقال أيضا: عن هشام، عن أبيه أن رسول الله (ص) جلد الذين قالوا لعائشة ما قالوا ثمانين ثمانين حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش، وكان حسان ممن خاض في الافك فجلد فيه في قول بعضهم وأنكر قوم ذلك. وقال أيضا: وقالوا: إن عائشة كانت في الطواف ومعها ام حكيم بن خالد ابن العاص وأم حكيم بنت عبد الله بن أبي ربيعة فذكرتا حسان بن ثابت وسبتاه فقالت عائشة: اني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه عن النبي (ص) بلسانه، أليس

(١) اسد الغابة ترجمة حسان بن ثابت. (٢) أسد الغابة ج ٢ / ٥. (٣) أسد الغابة ج ٢ / ٥ - ٦.

[١٤٦]

هو القائل: فإن ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء ؟ وبرأته من ان يكون افترى عليها، فقالتا: ألم يقل فيك ؟ فقالت: لم يقل شيئا ولكنه الذي يقول: حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل فإن كان ما قد قيل عني قلته فلا رفعت سوطي إلي أناملي وكان حسان من أجبن الناس حتى أن النبي (ص) جعله مع النساء في الاطام يوم الخندق. إذ كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان حيث خندق النبي (ص) قالت صفية: فمر

بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن قالت له صفية: إن هذا اليهودي يطيف بالحصن كما ترى ولا آمنه ان يدل على عورتنا من ورائنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله (ص) وأصحابه فأنزل إليه فاقتله قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت صفية: فلما قال ذلك أخذت عمودا ونزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ثم رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان أنزل فاسلبه فقال: مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب. ولم يشهد مع النبي (ص) شيئا من مشاهده لجبنه، ووهب له النبي (ص) جاريته سيرين أخت مارية فأولدها عبد الرحمن بن حسان فهو وإبراهيم بن رسول الله (ص) ابنا خالة (١).

---

(١) أسد الغابة ج ٢ / ٦.

---

[١٤٧]

ي - حمنة بنت جحش: أم حبيبة حمنة بنت جحش بن رياب الأسدية أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي (ص) وأخت أم المؤمنين زينب بنت جحش، قتل زوجها مصعب بن عمير في غزوة أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله، فولدت له محمدا وعمران ابني طلحة، وقال بعضهم: انها جلدت مع من جلد فيه - في قصة الافك - وقيل لم يجلد أحد (١). ك - ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي: وكان ثابت خطيب الأنصار وخطيب النبي (ص) كما كان حسان شاعره، وقد شهد أحدا وما بعدها وقتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر (٢). ل - زيد بن أرقم بن زيد الانصاري الخزرجي: كان يتيما في حجر عبد الله بن رواحه أول مشاهده غزوة المريسيع. نزل الكوفة وابتنى دارا في كندة وتوفي سنة ثمان وستين (٣). م - سعد بن عبادة بن دليم: كان رئيس الخزرج أراد الأنصار أن يبايعوه في سقيفة بني ساعدة يوم وفاة رسول الله (ص) فغلبهم المهاجرون وبايعوا أبا بكر، فبقي في المدينة إلى عصر عمر

---

(١) ترجمتها في اسد الغابة ج ٥ / ٤٢٨ وج ٢ / ٥١. (٢) الاستيعاب ص ٢٥١ أسد الغابة ج ١ / ٢٢٩. (٣) الاستيعاب ص ٨١٦ اسد الغابة ج ٢ / ٢١٩.

---

[١٤٨]

فأشار عليه بالخروج من المدينة فذهب إلى حوارين بالشام، فأرسل إليه خالد ابن الوليد فطلب منه أن يبايع فابى فرماه بسهم فقتله، ثم انشدوا على لسان الجن انهم انشدوا: وقتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم تخط فؤاده (١) ن - سعد بن معاذ بن النعمان الخزرجي الانصاري: من بني عبد الأشهل يكنى أبا عمر، رمي يوم الخندق بسهم فعاش شهرا حتى نزلت بنو قريظة على حكمه فحكم بقتل الرجال وسبي النساء والذرية، ثم انتفض جرحه بعد ذلك فمات في سنة خمس من الهجرة (٢). س - سنان بن تيم الجهني: ويقال سنان بن وبره الجهني حليف لبني عوف بن الخزرج (٣). ع - سيرين أخت مارية القبطية: أهداهما المقوقس صاحب الاسكندرية ومعهما مابور فبلغوا المدينة في السنة الثامنة هجرية فأهدى الرسول (ص) سيرين إلى حسان بن ثابت فولدت له ابنه عبد الرحمن (٤).

---

(١) راجع: عبد الله بن سبأ ج ٥١ بحث موقف سعد بن عبادة بعد البيعة. (٢) الاستيعاب ص ٢٣٣٣. (٣) الاستيعاب ص ٢٤٤٤، اسد الغابة ج ٣ / ٣٥٢ و ٣٥٩. (٤) راجع تراجمهم في اسد الغابة.

---

[١٤٩]

ف - صفوان بن المعطل بن ربيعة السلمي ثم الذكواني: يكنى أبا عمر أسلم قبل غزوة المريسيع وشهد المريسيع وما بعدها، واختلفوا في مقتله ومدفنه (١). في جمهرة أنساب العرب: صفوان بن المعطل بن رخصة بن المؤمل من بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان العدناني. وفي نهاية الأدب (٢): بنو ذكوان بطن من سليم من العدنانية. وفي سنن أبي داود ومسند أحمد وطبقات ابن سعد وتاريخ خليفة بن خياط واللفظ للأول بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة صفوان بن المعطل إلى النبي (ص) ونحن عنده فقالت: يا رسول الله إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ويفطرني إذا صمت ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، قال: وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت، فقال: يا رسول الله أما قولها يضربني إذا صامت فإنها تقرأ بسورتين فقد نهيتها،

قال: فقال: " لو كانت سورة واحدة لكفت الناس " وأما قولها يفطرني فإنها تصوم، وانا رجل شاب فلا أصبر، قال: فقال رسول الله (ص): يومئذ " لا تصومن امرأة إلا بإذن زوجها "، قال: وأما قولها: إني لا أصلي حتى تطلع الشمس فانا أهل بيت قد عرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: " فإذا استيقظت فصل " ورجاله ثقات (٣)، وبترجمته في الاصابة: (وإسناده

---

(١) ترجمته في الاستيعاب ص ٣١٨ الرقم ١٣٨٣، وأسد الغابة ج ٣ / ٢٦، والاصابة ٤٠٨٩، والمستدرك ج ٣ / ٥١٨. (٢) نهاية الادب ص ٢٣٩. (٣) سنن أبي داود، باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها ص ٣٣٠٨، وطبقات ابن سعد =

---

[١٥٠]

صحيح). ص - عباد بن بشر بن وقش الانصاري الأشهلي: أسلم بالمدينة قبل هجرة النبي (ص) إليها على يد مصعب بن عمير، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله وكان عباد ممن قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يؤذي النبي (ص). قالت عائشة: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن بعد النبي (ص) من المسلمين أحد أفضل منهم: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر قتل يوم اليمامة وهو ابن خمس وأربعين سنة (١). ق - عبادة بن الصامت: عبادة بن الصامت الخزرجي عقبي بدري جمع القرآن على عهد النبي (ص) وكان يعلم أهل الصفة القرآن، أرسله عمر ليعلم الناس القرآن بالشام ويفقههم في الدين فأقام بحمص وأنكر على معاوية أشياء، ورحل إلى المدينة واعاده عمر وتولى قضاء فلسطين، توفي سنة أربع وثلاثين بالرملة (٢). =

ج ٤ / ٢٤٩، وتاريخ خليفة ص ٧٩، والتاريخ الكبير ج ٣ / ٢٥٤، والجرح والتعديل ج ٣ / ٤٣٩، والطبراني الكبير ج ٤ / ٢٦٥، وتاريخ ابن عساكر ج ٦ / ٢٤، وتهذيب الكمال ص ٣٩٦، وتاريخ الاسلام ج ٢ / ٢٢٢، وتهذيب التهذيب ج ٢ / ٢٠٦ - ٢٠٧، وخلاصة تذهيب الكمال ص ١١٢، وتهذيب ابن عساكر ج ٦ / ٤٤١، ومسند احمد ج ٣ / ٨٠. (١) اسد الغابة ج ٣ / ١٠٠ الاستيعاب ص ١٨٢٧. (٢) ترجمته في اسد الغابة.

---

[١٥١]

ر - عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصاري الخزرجي: وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو وكان نقيب بني الحارث، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص) واستشهد في ليلة العقبة في غزوة مؤتة، فقد أمر رسول الله (ص) يومذاك على جيشه زيد بن حارثة فان اصيب فجعفر بن أبي طالب فان أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة فاستشهدوا جميعا، وكان ذلك في جمادى سنة ثمان من الهجرة. وكان من الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله (ص). روى ابن حجر قال: دخل النبي (ص) مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه وهو يقول: خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله فقال عمر: يابن رواحة أفي حرم الله وبين يدي رسول الله (ص) تقول هذا الشعر ؟ فقال (ص): " خل عنه يا عمر فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل ". روى ابن عبد البر أنه مشى ليلة إلى أمة له فقال لها، وفطنت له امرأته فلامته فجحدها وكانت قد رأت جماعة لها فقالت: إن كنت صادقا فاقرأ القرآن فالجنب لا يقرأ القرآن فقال: شهدت بأن وعد الله حق وان النار مثوى الكافرينا وان العرش فوق الماء حق وفوق العرش رب العالمينا وتحمله ملائكة غلاظ ملائكة الاله المؤمنينا

---

[١٥٢]

فقالت امرأته: صدق الله وكذبت عيني وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه. ش - عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري: من بني عوف بن الخزرج، وسلول امرأة من خزاعة ويكنى أبا الحباب بابنه الحباب وكان رأس المنافقين ومن أشراف الخزرج، وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يتوجوه ويسندوا إليه أمرهم قبل مبعث النبي (ص) فلما جاء الله بالاسلام نفس على رسول الله (ص) النبوة وأخذته العزة. مات بعد غزوة المريسيع ودفن بالمدينة (١). * * * لقد فصلنا القول في بعض التراجم الآنفة لحاجتنا إليها لدراسة أخبار الافك في ما يأتي:

---

(١) الاستيعاب بترجمة ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي ١ / ٣٦٦.

---

[١٥٣]
دراسة روايات المسابقة والتيمم والافك جاء في ما روي عن أم المؤمنين عائشة (رض) في مسند أحمد: أقبلنا مع رسول الله (ص) في بعض أسفاره حتى إذا كنا بتربان بلد بينه وبين المدينة بريد وأميال وهو بلد لا ماء فيه... الحديث. ما جاء في هذه الرواية عن مكان تربان يناقض ما ذكره الحموي عن تربان في معجم البلدان حيث قال: " تربان واد بين ذات الجيش وملل والشيانة على المحجة نفسها فيه مياه كثيرة مرتبة نزلها رسول الله (ص) في غزوة بدر ". لست أدري كيف لم ينتبه رواة أحاديث المسابقة والتيمم والافك والمحدثون الذين أخرجو تلك الروايات في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها إلى تناقض ما فعله الرسول (ص) في عودته من غزوة المريسيع مع ما رووه ؟ فان رسول الله عند ما بلغه خبر مقالة ابن ابي على ماء المريسيع رحل في ساعة لم يكن ير تحل فيها، ولم يشعر أهل العسكر إلا برسول الله (ص) طلع على راحلته يسوقها وكانوا في حر شديد، وكان قبل ذلك لا يروح حتى يبرد وانه سار قبل الزوال إلى آخر الليل وحتى انتصف النهار لليوم الثاني، وكان يسوق راحلته بالسوط حتى سقط على الارض فاخذ يغمز ظهره غليم اسود ولم يكن يفعل ذلك قبل هذه الغزوة ولم يفعلها بعده وانما اسرع رسول الله (ص) بالناس ليدعوا حديث ابن أبي، فلما نزلوا ووجدوا مس الارض وقعوا نياما، ثم سار رسول الله (ص) في برد المساء كذلك حتى بلغوا مضيقا قريبا من المدينة وكان قد تقدم عبد الله بن عبد الله

---

[١٥٤]
ابن ابي ووقف حتى بلغ المكان والده عبد الله ابن ابي فأناخ براحلته وقال: لن تدخلها... الحديث. لست أدري مع كيفية سير رسول الله (ص) في رجوعه من ماء المريسيع في أي منزل منها قال لجيشه: تقدموا فتقدموا، فقال لام المؤمنين عائشة: تعالي حتى اسابقك... الحديث ؟ وفي أي منزل منها لاماء فيه وليسوا على ماء انقطع عقد أم المؤمنين فأقام جيشه هناك في سبيل التماس عقدها حتى أصبحوا فجاء أبو بكر يخسها ولا تستطيع حراكا لأن رأس رسول الله (ص) كان على فخذها فأنزل الله آية التيمم ؟ وفي أي منزل منها ذهبت لقضاء حاجتها فإذا عقد لها من جزع ظفار قد انقطع فالتمسته وأقبل الرهط الذين يرحلون بعيرها واحتملوا هودجها ولم يشعروا بخفة الهودج ورحلوه على بعيرها ؟ * * * في ضوء الروايات السابقة نرى أن هناك أربع قصص ينبغي دراسة كل منها على حدة وهي: أ - المسابقة. ب - المنافرة بين المهاجرين والانصار حتى ضرب جهجاه حسان بن ثابت. ج - شأن نزول آية التيمم. د - شأن نزول آيات الافك. ونستعين الله ونقول:

---

[١٥٥]
أولا - المسابقة: جاء في رواية هشام بن عروة عن أم المؤمنين في مسند أحمد أنها قالت: خرجت مع النبي (ص) في بعض اسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا فتقدموا ثم قال: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض اسفاره، فقال للناس: تقدموا، ثم قال: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقني فجعل يضحك ويقول هذه بتلك. وجاء في روايتها لعباد بن عبد الله بن الزبير في مغازي الواقدي أنه قال: قلت لعائشة: حدثينا يا أمه حديثك في غزوة المريسيع، قالت: يابن أختي ان رسول الله (ص) كان إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها، وكان يحب ألا أفارقه في سفر ولا حضر فلما أراد غزوة مريسيع أقرع بيننا فخرج سهمي وسهم أم سلمة، فخرجنا معه فغنمه الله أموالهم وأنفسهم، ثم انصرفنا راجعين فنزل رسول الله منزلا ليس معه ماء ولم ينزل على ماء، وقد سقط عقد لي من عنقي فأخبرت رسول الله (ص) فأقام بالناس حتى اصبحوا... فجاء أبو بكر فعاتبني عتابا شديدا وجعل يطعن بيده على خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله (ص) رأسه على فخذي وهو نائم.... ثم سرنا مع العسكر حتى إذا نزلنا دمثا طيبا ذا أراك قال: يا عائشة هل لك في السباق ؟ قلت: نعم فتحزمت بثيابي وفعل ذلك رسول الله (ص) ثم استبقنا فسبقني فقال: هذه بتلك السبقة التي كنت سبقتيني، وكان جاء إلى منزل أبي ومعي شئ فقال: هلميه ! فأبيت فسعيت وسعى على أثري فسبقته. وكانت هذه الغزوة بعد أن ضرب الحجاب.

---

[١٥٦]

قالت: وكان النساء إذ ذاك إلى الخفة هن إنما يأكلن العلق من الطعام لم يهيجن باللحم فيثقلن، وكان اللذان يرجلان بعيري رجلين... إلى آخر حديث الافك. والسؤال هنا أن المسابقة الأولى هل كانت في بعض أسفاره كما جاء في رواية هشام بن عروة عنها أم في بيت أبيها كما جاء في رواية عباد بن عبد الله بن الزبير ! ؟ وإذا كانت في بيت أبيها وكان بيدها شئ اراده النبي (ص) كيف سبقت النبي (ص) ولم يستطع النبي (ص) تناول الشئ من يدها ؟ وهل كان بيت أبيها فلاة لتسبق النبي (ص) ولا يستطيع النبي (ص) إدراكها ؟ أم كان البيت محدودا يصل إليها النبي (ص) إلى أي جهة منه اتجهت ؟ وإذا كانت الاولى والثانية في فلاة وكانا يسيران ضمن جيش كيف يصح أن يقال: ان الرسول (ص) أمر جيشه بأن يتقدموه ليسابق زوجته ؟ لست أدري أي قائد جيش سليم العقل يقوم بما نسبوه إلى رسول الله بأن يأمر جيشه ان يتقدموا ليسابق زوجته ؟ ثم كم ينبغي ان يتقدم الجيش ويبتعد عنهم الرسول (ص) وزوجته كي لا يروا مسابقته مع زوجته ؟ وهل يتيسر ذلك ؟ اضف إليه حال الرسول (ص) وجيشه في رجوعهم من ماء المريسيع، وهل يصدق ذو مسكة، وقوع المسابقة مع تلك الحالة ! ؟ وهل كانت أم سلمة معهما كما جاء في رواية عباد عنها ؟ أم لم تكن معهما كما جاء في رواية هشام بن عروة وغيره عنها ؟ وإذا كانت معهما أين كانت في زمن المسابقة، بين الجيش أم معهما ! ؟ وهل كانت في المسابقة الثانية في غزوة بني المصطلق كما جاء في رواية عباد وكان النساء إذ ذاك إلى الخفة إنما يأكلن العلق من الطعام لم يهيجن باللحم فيثقلن ؟

---

[١٥٧]

أم كانت كما جاء في رواية هشام " حملت اللحم وبدنت " ؟ ثانيا - المنافرة بين المهاجرين والانصار حتى ضرب جهجاه حسان بن ثابت: ان حقيقة الخبر أن ابن ابي لما قال مقالته تبعه حسان بانشاد شعره في الهجاء فارتحل الرسول (ص) واسرع السير ونزلت سورة " المنافقون "، وذل ابن ابي وضعف موقف حسان وتشجع جهجاه فضربه بالسيف في المدينة فمنحه الرسول وسعد بن عبادة وأرضوه. ويدل على ذلك قول حسان في هجاء فقراء المهاجرين: " ان الجلابيب قد عزوا وقد كثروا... " واستنهاض صفوان لجميل، وقوله لحسان: " فانني غلام إذا ما هو جيت... " ولم يقل إذا ما قذفت، وقوله للرسول: " انه قد هجاني " مضافا إلى انه لم يرد في كل هذه المحاورات الطويلة بين صفوان وجميل والنبي، وسعد بن عبادة، وابنه قيس، وغيرهم من قصة الافك قليل ولا كثير فكأن الافك لم يكن ابدا وكأن احدا لم يسمع به يومذاك، غير ان ابن هشام لم يوردها في محلها بعد ذكره الخصام على ماء المريسيع وما بدر من ابن ابي، وانما أخر ذكرها حتى إذا انتهى من سرد قصة الافك اقحمها بعدها فأوهم انها كانت من اثر الافك، وقد اقتدى به في ذلك كل من الطبري وابن الاثير وابن كثير في تواريخهم، وقد التبس الامر على من جاء بعد ابن اسحاق كابن عبد البر في الاستيعاب حيث قال: اعترض صفوان بن المعطل حسان بن ثابت بالسيف لما قد قذفه بالافك...، ذكره ابن اسحاق في ذلك وذكر الخبر في ذلك. ومن الغريب انا نجد ابن اسحاق عندما يذكر قصة ضرب صفوان لحسان يروي انه قال: تلق ذباب السيف مني فانني غلام إذا هو جيت لست بشاعر

---

[١٥٨]

ولم يرو بعده بيتا آخر، وكذلك كل من روى عنه ابن اسحاق، كابن هشام، وابن جرير، وابن الأثير، وابن كثير. كل هؤلاء يرووا بعد هذا البيت بيتا آخر، على ان ابن اسحاق مغرم بايراد الاشعار في ذكره أخبار الحوادث حتى إذا كان القرن الخامس نجد الحاكم في المستدرك وابن الاثير في اسد الغابة يضيفان إلى هذا البيت ما يلي: ولكنني أحمي حماي وأشتفي من الباهت الرامي البراء الطواهر ولست أدري من اين جاء بهذا البيت الذي لم يعثر عليه كل من ابن اسحاق في القرن الثاني ورواته ابن هشام وابن جرير في القرن الثالث والرابع. ثالثا - التيمم: ١ - في القرآن الكريم: قال الله سبحانه: أ - في سورة المائدة: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه...) [الآية: ٦]. ب - في سورة النساء: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا

[١٥٩]
فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا) [الاية: ٤٣]. ٢ - في الحديث: جاء في تفسير الآيتين من صحيحي البخاري ومسلم: أ - عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة انها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فبعث رسول الله (ص) رجلا فوجدها فادركتهم الصلاة وليس معه ماء فصلوا. فشكوا ذلك إلى رسول الله (ص) فانزل الله آية التيمم فقال: اسيد بن حضير لعائشة: جزاك الله خيرا فو الله ما نزل بك امر تكرهينه إلا جعل الله ذلك لك وللمسلمين فيه خيرا (١). ولفظ الحديث في سنن النسائي: بعث رسول الله (ص) أسيد بن حضير وناسا يطلبون قلادة كانت لعائشة نسيتها في منزل نزلته فحضرت الصلاة وليسوا على وضوء ولم مجدوا ماء فصلوا بغير وضوء فذكروا ذلك لرسول الله (ص) فانزل الله عزوجل آية التيمم... الحديث (٢). ب - في صحيحي البخاري ومسلم ومسند أحمد واللفظ للاول بسنده عن عمران بن حصين: ان رسول الله (ص) رأى رجلا معتزلا لم يصل في القوم فقال: يا فلان ما

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماء ولا ترابا، ١ / ٨٦، وصحيح مسلم، الحديث ١٠٩، ج ١ / ٢٧٩، وسنن ابن ماجة، ابواب التيمم، باب ما جاء في سنن التيمم، الحديث ٥٦٨، ص ١٨٨، وفى لفظهما فارسل ناسا، ومسند احمد ٦ / ٥٧ رجالا، وسنن الدارمي، باب التيمم، ج ١ / ١٩٠. (٢) سنن النسائي ١ / ٦١، و ١٧٢ باب من لم يجد الماء والصعيد.

---

[١٦٠]
منعك أن تصلي في القوم ؟ فقال: يا رسول الله أصابتني جنابة ولاماء قال: عليك بالصعيد فانه يكفيك (١). ج - في طبقات ابن سعد والاستيعاب، واسد الغابة، والاصابة، والدر المنثور للسيوطي، وكنز العمال واللفظ للاول: عن الربيع بن بدر قال: حدثني أبي عن جدي ان رجلا منهم يقال له الاسلع قال: كنت أخدم النبي (ص) وأرحل له. قال: فقال لي (ص) ذات ليلة: يا اسلع قم فارحل لي. فقلت: يا نبي الله اصابتني جنابة فسكت ساعة واتاه جبريل عليه السلام بآية الصعيد. قال فدعاني النبي (ص) فأراني كيف أمسح فمسحت ورحلت له وصليت، فلما انتهى إلى الماء قال لي: قم يا اسلع فاغتسل. وأخرجه الخطيب في تاريخه قريبا من هذا وليس فيه ذكر نزول آية التيمم بسببه (٢). د - في تفسير الآية بتفسير الطبري بسنده في قوله تعالى: (ولا جنبا

---

(١) صحيح البخاري ج ١ / ٧٣ كتاب التيمم، وصحيح مسلم ج ١ / ٤٧٥، ومسند احمد ج ٤ / ٤٣٤، وسنن النسائي ج ١ / ١٧١ باب التيمم بالصعيد. (٢) طبقات ابن سعد ٧ / ٦٥، وفي الاستيعاب ١ / ٥٤، واسد الغابة ١ / ٩١، والاصابة ١ / ٥٢، بترجمة الاسلع، والفاظ الحديث تختلف في بعضها عما ذكرنا عن الطبقات، ورواه المتقي في الكنز، الحديث ٢٩٦١، ج ٥ / ١٤٥ عن ابن سعد وعتبة بن حميد، وابن جرير والقاضي اسماعيل في الاحكام، والطحاوي في مشكل الاثار، والدار قطني في سننه، والطبراني في سننه الكبير، وأبو نعيم في المعرفة، والبيهقي في السنن، وابن مردويه في سننه، والضياء المقدسي في المختارة، والطبري في تفسير آية التيمم من سورة النساء ٥ / ٦٨، والسيوطي في تفسير آية التيمم ٢ / ١٦٥.

---

[١٦١]
إلا عابري سبيل) قال: ان رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فكانت تصيبهم جنابة ولاماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرا في المسجد فأنزل الله هذه الآية (١). هـ - أيضا في تفسير الآية بتفسير السيوطي بسنده قال: أصاب أصحاب رسول الله (ص) جراحة ففشت فيهم ثم ابتلوا بالجنابة فشكوا ذلك إلى النبي (ص) فنزلت (وإن كنتم مرضى...) الاية كلها (٢). و - في تفسير الآية بتفسير السيوطي بسنده عن مجاهد في قوله: (وان كنتم مرضى) قال: نزلت في رجل من الانصار كان مريضا فلم يستطع ان يقوم فيتوضأ ولم يكن له خادم فيناوله، فاتى رسول الله (ص) فذكر ذلك له فأنزل الله هذه الآية (٣). ز - بتفسير آية التيمم من سورة المائدة من تفسير السيوطي بسنده عن عطاء قال: احتلم رجل على عهد رسول الله (ص) وهو مجذوم فغسلوه فات فقال رسول الله (ص): قتلوه قتلهم الله ضيعوه ضيعهم الله. في صحيحي البخاري ومسلم وسنن ابي داود والنسائي ومسند الطيالسي واحمد وابي عوانة واللفظ للطيالسي: بسنده عن عبد الرحمن بن أبزى عن ابيه قال: أتى رجل عمر فذكر انه كان

---

(١) تفسير الطبري ٥ / ٦٤، والسيوطي في الدر المنثور ٢ / ١٦٦. (٢) الدر المنثور للسيوطي ٢ / ١٦٦ بتفسير الاية. (٣) تفسير السيوطي ٢ / ١٦٦.

---

[١٦٢]

في سفر فأجنب ولم يجد الماء، فقال: لا تصل. فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ كنت أنا وأنت في سرية فاجنبنا فلم نجد الماء فاما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت، فلما قدمنا على رسول الله (ص) ذكرنا ذلك له فقال لك: اما انت فلم يكن ينبغي لك ان تدع الصلاة، واما انت يا عمار فلم يكن ينبغي لك ان تمعك كما تمعك الدابة انما كان يجزئك - وضرب رسول الله (ص) بيده الارض إلى التراب - فقال: هكذا فنفخ فيها ومسح وجهه ويديه إلى المفصل وليس فيه إلى الذراعين. الحديث (١). * * * كان ذلكم ما جاء في الذكر الحكيم والاحاديث المروية عن رسول الله (ص) في أمر التيمم وينبغي أن ندرسها في ما يأتي بإذنه تعالى. دراسة أخبار التيمم: ينبغي أن ندرس في هذا المقام أربعة أمور: أ - زمان نزول، حكم التيمم. ب - روايات التيمم عدا روايات أم المؤمنين عائشة. ج - زمان نزول آيتي التيمم.

---

(١) اخرج الحديث: الطيالسي في مسنده، الحديث ٦٣٨، واحمد في مسنده ٤ / ٢٦٥ و ٣١٩، ومسلم في صحيحه، باب التيمم ج ١ / ٢٨٠، والنسائي في ج ١ / ١٦٥ - ١٦٦ باب التيمم في الحضر، وأبو داود السجستاني في ج ١ / ٤٤ من سننه، وأبو عوانة في ج ١ / ٣٠٦ من مسنده، وفي الكنز ج ٥ / ١٤٢، الحديث ٢٩٢٦ قريبا منه، ورواه البخاري في ج ١ / ٨٧ في باب التيمم مع اختلاف في اللفظ. وتمعكت الدابة: تمرغت وتقلبت في التراب.

---

[١٦٣]

د - روايات أم المؤمنين عائشة الأخيرة في شأن نزول آيتي التيمم. ونستعين الله ونقول: أ - زمان نزول حكم التيمم: نزل حكم الصلاة على رسول الله (ص) بعد ما بعث، وعلمه جبرئيل الوضوء والصلاة بعد ذلك. وكان (ص) يؤديها مع علي وخديجة ومن آمن من بعدهما من المسلمين، ومع ذلك لم نجد ذكر الوضوء في القرآن الكريم في غير سورتي المائدة والنساء المدنيتين. ونحن نرى ان حكم الغسل من الجنابة وحكم التيمم بدلا عن الوضوء والغسل عند عدم تيسر هما - أيضا - كان قد نزل في مكة، فإن قلة وجود الماء في أراضي الحجاز يومذاك كانت تقتضي نزول حكم التيمم بدلا عن الوضوء والغسل بعد نزول حكم الوضوء للصلاة. ب - روايات التيمم عدا روايات أم المؤمنين عائشة: اختلفت روايات التيمم في تعيين الأمر الذي بسببه نزلت آيتا التيمم، ففي رواية: ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم... فأنزل الله هذه الاية. وفي ثانية: انها نزلت في مجروحين ابتلوا بالجنابة. وفي ثالثة: انها نزلت في رجل من الانصار أجنب ولم يستطع أن يتوضأ.

---

[١٦٤]

ج - زمان نزول آيتي التيمم: ان شأن آيتي التيمم شأن آيات اخرى نزلت تخبر عن نزول حكم بوحي غير قرآني مثل قوله تعالى في سورة الاحزاب: (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه). وكان الذي أخفاه الرسول (ص) في نفسه ما اوحى الله إليه قبل ذلك بوحي غير قرآني واخبر عنه هنا بوحي قرآني حيث قال تعالى: (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج...) الآية. وكذلك الشأن في زمان نزول آيتي التيمم فقد كان حكم التيمم قد نزل بوحي غير قرآني ثم نزل القرآن يخبر عن حكم الله في بدلية التيمم عن الوضوء والغسل. نستنتج مما سبق ان حكم التيمم كان قد نزل في أوائل بعثة الرسول (ص) وعمل به في مكة ثم نزلت الآيتان في المدينة تخبران عن ذلك الحكم، وبعد نزول الآيتين كان الرسول (ص) يتلو احداهما بالمناسبة كلما اقتضى المقام ذلك. وبما ان الخلفاء كانوا قد نهوا عن كتابة سنة الرسول (ص) إلى عصر عمر بن عبد العزيز وقع هذا الالتباس في الروايات وأدى ذلك إلى هذا الاختلاف في شأن نزول الآيتين.

---

[١٦٥]

د - روايات أم المؤمنين عائشة الاخيرة في شأن نزول آيتي التيمم: اننا نرى ان لفظ النسائي قد يكون هو الصحيح حيث يقول: ان رسول الله (ص) بعث في طلب قلادة لأم المؤمنين عائشة (نسيتها في منزل نزلته). وان المبعوث كان رجلا واحدا كما يفهم ذلك من حديث جاء في البخاري، فان طلب القلادة لا يحتاج إلى ناس يذهبون له ونرى ان ذلك الرجل كان اسيد ابن حضير، ولم يتيسر له الماء للطهور واخبر الرسول بذلك بعد رجوعه فتلا عليه الآية كما تلاها على غيره. * * * كان ذلكم نتيجة دراساتنا في شأن نزول آيتي التيمم والروايات التي تخبر عنهما. وفي ما يأتي ندرس باذنه تعالى قصة الأفك والايات النازلة في أمر الافك. رابعا - الافك: أ - في القرآن الكريم: قال الله تعالى: (إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم * لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين * لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك

---

[١٦٦]

عند الله هم الكاذبون * ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم * يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم * ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم * إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) [النور: ١١ - ٢٤]. دراسة الآيات الكريمة: في هذه الآيات الكريمة: (الذين جاءوا بالافك عصبة) والعصبة: جماعة متعصبة متعاضدة (١) ويقابلها تجمع اللفيف، واللفيف: ما اجتمع من الناس من قبائل شتى فيهم الشريف والدني (٢). بناء على ذلك اننا نرى ان الافك لابد وانه كان قد وقع في حدود ضيقة من

---

(١) مادة عصب من مفردات القرآن للراغب. (٢) مادة لف من المعجم الوسيط.

---

[١٦٧]

بيت النبي (ص) ولم يطلع عليه إلا خاصته ممن لم يشيعوا ذكره تأدبا بقوله تعالى: (والذين يحبون ان تشيع الفاحشة). ثم ان رميهم من قذفوا بالفاحشة لم يتعد حدود الارجاف ولم يبلغ منهم إلى درجة الشهادة ليوجب عليهم حد القذف، فلم يكن اي واحد منهم جادا في ذلك البتة، لعدم وجود الموجب له. ونرى ان المرأة والرجل اللذين رميا بالافك لابد وانهما لم يكونا من البيوتات العربية لتثأر لهما العشيرة والاهل، وإنما كانا من المغمورين المنقطعين عن الرهط ولم يكن لهم ناصر إلا الله ورسوله (ص)، واما القاذفون فلا بد وانهم كانوا عصبة قوية يومذاك. ولما نزلت آيات الافك خمدت انفاس العصبية وسكتت على مضض وسكت الرسول عنهم وسكت المتصلون بالرسول، ولا بد ان هذه العصبة بقيت قوية بعد الرسول وصعدت قمة المجتمع الاسلامي واصبحت مهابة ملحوظة الجانب، فاجتهد المحدثون والمؤرخون في اخفاء معالم الواقعة مهما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. وقد انتهى الينا من زوايا كتب الحديث والسير ما ينير لنا الطريق بعض الشئ، وذلك ما سندرسه ان شاء الله تعالى بعد دراسة أخبار الافك في ما يأتي: ب - في الحديث ما روي عن أم المؤمنين عائشة في قصة الافك ودراستها: جاء في ما روي عنها في صحاح الحديث أن رسول الله استشار أسامة بن زيد وكان اسامة يومذاك في السنة الخامسة أو السادسة من الهجرة غلاما لم يبلغ الحلم لانه كان في مرض وفاة الرسول حين ولاه على الجيش في السنة الثانية عشرة من الهجرة عمره ثماني عشرة سنة، واستنكروا تعيينه وهو غلام على جيش

---

[١٦٨]

اوعب فيه المهاجرين الاولين كيف يصح أن يستشير الرسول في امر هام مثل قصة الافك غلاما في اوائل العقد الثاني من عمره ولم يستشر والده زيد وكان يومذاك على قيد الحياة ؟ فانه استشهد في غزوة مؤتة وفي السنة الثامنة. وجاء في الحديث الذي اوردناه في أول البحث ان رسول الله (ص) قال عن صفوان: (وذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي) في حين أن صفوان كان قد اسلم قبل تلك الغزوة، فكيف كان يدخل مع رسول الله على أهله ؟ وجاء في الحديث التالي انها قالت عن صفوان: وبلغ الأمر ذلك الرجل فقال: (سبحان الله والله ما كشفت كنف انثى قط). وفي رواية ابن هشام: (وكانت عائشة تقول: لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلا حصورا ما يأتي النساء) (١). وقد مر بنا في الحديث الصحيح أن زوجة صفوان اشتكت إلى رسول الله (ص) إن صفوان يضربها إذا صلت ويفطرها إذا صامت وانه لا يصلي صلاة الصبح... الحديث، وبناء على ذلك فان صفوان لا يقول: سبحان الله والله ما كشفت كنف انثى قط ! ؟ وانتبه إلى هذا التناقض الحافظ ابن حجر فقد قال في ترجمته في الاصابة: ومما انتبه العلماء إلى ما في تلكم الأحاديث من تناقض مع الواقع التاريخي ما جاء فيها: ان الرسول سأل من الجارية بريرة عنها، في حين أن بريرة كانت يومذاك جارية لبعض بني هلال، وانما اشترتها أم المؤمنين بعد ذاك بسنتين أو أكثر يوم كان العباس عم النبي في المدينة، وأن له كلاما في العباس وقصة شراء بريرة كما

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ / ٣٥٢ - ٣٥٣، والطبري ج ٣ / ٧١، وابن كثير ج ٤ / ١٦٣، والاغاني ج ٤ / ١٤.

[١٦٩]

جاء في ترجمتهما في الاصابة. وجاء في ترجمة مغيث عن ابن عباس انه رآى مغيثا بعد عتقها يمشي خلفها ويبكي، وانما هاجر العباس قبيل فتح مكة التي كانت في السنة الثامنة من الهجرة (١) وبناء على ذلك كان شراء عائشة لبريرة وعتقها في السنة الثامنة من الهجرة، وما كانت في السنة الخامسة أو السادسة للهجرة التي رويت فيها روايات الافك في واقعة غزوة بني المصطلق. حيرة العلماء في رفع تناقض روايات الصحاح والمسانيد في قصة الافك: أ - قال الحافظ ابن حجر في ترجمة صفوان من الاصابة: أورد على هذا أن صفوان كيف كان حصورا وقد روي عن أبي داود عن أبي سعيد أنه قال: جاءت امرأة صفوان إلى النبي (ص) فقالت: يا رسول الله إن زوجي صفوان يضربني. ثم قال ابن حجر: وإسناده صحيح ولكن يشكل عليه أن عائشة قالت في حديث الافك: ان صفوان قال: والله ما كشفت عن كنف انثى قط... ثم ذكر ان البخاري قد انتبه إلى هذا التنافي ولذلك ضعف حديث أبي داود ليسلم حديث الافك.

ب - اخرج البخاري والطيالسي وعبد الله بن احمد في مسند (٢) أبيه جميعا

(١) راجع ترجمة العباس من الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة. (٢) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ / ٢٨ باب في حديث الافك: والطيالسي في ص ٢٣١ - ٢٣٢، ومسند أحمد ج ٦ / ٣٦٧ وهذا سياقه واللفظ للبخاري بسنده إلى أبي وائل قال: " حدثني مسروق بن الأجدع قال: حدثتني أم رومان وهي أم عائشة قالت:... " الحديث، وأخرجه البخاري في ج ٣ / ١١٢ باب قوله: (ولو لا فضل الله عليكم) مختصرا وهذا سياقه: ثنا محمد بن كثير، انا سليمان، عن حصين، عن ابي وائل، =

[١٧٠]

عن مسروق (١) عن أم رومان: إن مسروقا لم يدرك أم رومان فان أم رومان كانت قد توفيت في السنة الرابعة أو الخامسة أو السادسة من الهجرة في المدينة ومسروق ولد في السنة الأولى من الهجرة في اليمن وقدم من اليمن بعد وفاة رسول الله (ص). قال الشيباني في الجمع بين رجال الصحيحين (٢): (وأنكر على البخاري اخراج حديثه عن أم رومان، إذ كانت بلا خلاف قد توفيت في عهد النبي ولم يكن مسروق حينئذ وهو حديث واحد). وقال ابن عبد البر (٣): (رواية مسروق عن أم رومان مرسلة ولعله سمع ذلك من عائشة). وقال الزركشي (٤): " رون البخاري لأم رومان حديثا واحدا من حديث الافك من رواية مسروق عنها ولم يلقها وقيل: (عن مسروق حدثتني أم رومان) وهو وهم... ذكر ابن سعد وغيره ان أم رومان ماتت في حياة رسول الله (ص) في سنة ست من الهجرة ونزل رسول الله (ص) في قبرها، وهذا يقوي الاشكال في إخراج البخاري رواية مسروق عنها، لكن أنكر قوم موتها

في حياة =

عن مسروق، عن أم رومان أم عائشة أنها قالت: لما رميت عائشة خرت مغشيا عليها. (١) مسروق بن الاجدع من بني همدان الذين سكنوا الكوفة، ولما وفد مسروق أو أبوه على الخليفة عمر غير اسم أبيه - الأجدع - وسماه عبد الرحمن (١ - ٦١ أو ٦٣ ه) ترجمته في الطبقات ج ٦ / ٧٦ - ٨٤، والتهذيب ج ١٠ / ١٠٩ - ١١١، والخلاصة ص ٣١٩، وراجع: ترجمة ام رومان من الاصابة. (٢) الجمع بين رجال الصحيحين لمحمد بن طاهر المقدسي ج ٢ / ٥١٦ - ٥١٧. (٣) بترجمة أم رومان من الاستيعاب وقد أجابوا عن هذا الايراد الذي أورد على البخاري في صحيحه بأجوبة فيها تمحلات كثيرة. (٤) الاجابة ص ٣٨ - ٣٩.

---

[١٧١]

رسول الله (ص) منهم أبو نعيم الاصفهاني، ولاعمدة لمن أنكره إلا رواية مسروق. وقال الخطيب: لم يسمع مسروق من أم رومان شيئا والعجب كيف خفي ذلك على البخاري وقد فطن مسلم ؟ ". وانما قال: فطن مسلم لانه لم يخرج حديث مسروق في الافك عن أم رومان. ج - روى الحافظ ابن حجر في ترجمة صفوان من الاصابة عن أبي داود عن أبي سعيد أنه قال: جاءت امرأة صفوان إلى النبي (ص) فقالت: يا رسول الله (ص) ان زوجي صفوان يضربني. ثم قال ابن حجر: وإسناده صحيح، ولكن يشكل عليه أن عائشة قالت في حديث الافك أن صفوان قال: والله ما كشفت عن كنف انثى قط.... ثم ذكر أن البخاري قد انتبه إلى هذا التنافي، ولذلك ضعف حديث أبي داود ليسلم حديث الافك. د - أشكل على حديث الافك في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث أن ما جاء نجبه من محاورة سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يتنافى ووفاة سعد بن معاذ قبل ذاك بعام أو أكثر فانه كان قد توفي بعد غزوة بني قريظة، وقد أجاب بعضهم عن هذا الايراد بان المحاورة في سيرة ابن هشام ومن تبعه من المؤرخين قد وقعت بين اسيد بن حضير وسعد بن عبادة وان ما في رواية ابن هشام أسيد بن حضير بدل سعد بن معاذ هو الصحيح وما في صحيح البخاري ومسلم خطأ في الاسم ووهم. أقول: وهذا الجواب غير واف فان اسم أسيد قد جاء في رواية الصحيحين بعد اسم سعد بن معاذ ونسب إلى كل منهما دور خاص في ذلك الموقف وهذا لفظ

---

[١٧٢]

الصحيحين (١): فقام سعد أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرك فان كان من الأوس ضربنا عنقه وان كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك... فقام سعد بن عبادة... فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله.... فقام أسيد ابن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين... الحديث. ففي رواية الصحيحين نسب إلى سعد بن معاذ الاقتراح بقتل القاذفين وإلى ابن عمه أسيد بن حضير مهاجمة سعد بن عبادة دفاعا عن سعد بن معاذ مع التصريح باسمه أسيد ونسبته من سعد. ويؤيد ما نرى من أن رواة الصحاح لم يوهموا ولم يخطئوا في ذكر الاسم، وأنهم كانوا قد لحظوا التنافي بين موت سعد بن معاذ قبل غزوة بني المصطلق وحضوره في ذلك الموقف، انهم لم يصرحوا باسم الغزوة في صدر هذا الحديث الذي ذكر فيه اسم سعد بن معاذ وانما قالوا في غزوة غزاها بينما في سيرة ابن هشام لما لم يرد اسم سعد بن معاذ في روايتهم صرح باسم الغزوة وقالوا: (فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه...) الحديث. ولعل الزهري قبل كل هؤلاء قد لا حظ بعض التباين والتنافي في أحاديث الافك المروية عن أم المؤمنين حين لم يأت بها على وجهها، بل أدمج بعضها في بعض ثم قال (٢): إن بعض القوم كان أدعى لحديثها من بعض. وفي هذا القول اشارة واضحة باختلاف الأحاديث التي أدمج بعضها ببعض، ولو لا هذا التصرف منه لاستطعنا اليوم مقارنة تلك الأحاديث وتفهم الواقع التاريخي أكثر من هذا.

---

(١) اللفظ للبخاري في ج ٣ / ٢٧. (٢) هذا القول موجود في سند الصحيحين إلى الزهري في قصة الافك وكذلك في سند ابن هشام ومن تبعه من المؤرخين، راجع قبله حديث الافك.

---

[١٧٣]

هـ - خبر حد القذف: جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أيضا في ذيول هذه القصة انها قالت: " لما نزل عذري قام النبي

(ص) على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم " (١). وفي رواية ابن هشام عنها: " ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم امر بمسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش - وكانوا ممن افصح بالفاحشة - فضربوا حدهم " (٢). هكذا جاء في ما روي عن ام المؤمنين غير انه لم يثبت إجراء حد القذف على واحد من هؤلاء، فقد مر بنا قول الواقدي: (قالت - أي أم المؤمنين عائشة: فضربهم رسول الله (ص) الحد... ويقال: ان رسول ألله (ص) لم يضربهم وهو أثبت عندنا). وفي تراجم: أ - حسان بن ثابت: في اسد الغابة: عن هشام، عن ابيه - عروة بن الزبير - ان رسول الله جلد

---

(١) أخرجه أبو داود السجستاني في باب حد القذف من سننه ج ٢ / ٢٣٧ وابن ماجة في باب حد القذف من كتاب الحدود ص ٨٥٧ الحديث ٢٥٦٧ وفي مسند أحمد ج ٦ / ٣٥ والترمذي ج ٢ / ٣٨٩ في تفسير سورة النور " عن عمرة عن عائشة قالت ": واللفظ للأول. (٢) سيرة ابن هشام ج ٣ / ٣٤٢ وأخرجه الطبري في ج ٣ / ٧٠ وابن كثير ج ٣ / ١٦٢ وابن الأثير ج ٢ / ٧٥ وإلى هذا الحديث يستند من يروي جلد حسان ومسطح وحمنة كالبخاري في ج ٤ / ١٨١.

[١٧٤]

الذين قالوا لعائشة ما قالوا ثمانين، حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش، وكان حسان ممن خاض في الافك فجلد فيه في قول بعضهم وأنكر قوم ذلك. ب - حمنة بنت جحش: في ترجمتها في أسد الغابة: وقال بعضهم انها جلدت مع من جلد فيه - في الافك - وقيل لم يجلد أحد. وانما قال العلماء لم يضربهم الحد وأنكروا ذلك مع التصريح بذلك في ما رووا عن أم المؤمنين عائشة في الصحاح والسن والمسانيد، لان حد القذف انما يثبت عندما يشهد الشهود امام الحاكم وفي وجه من يرمونه بالفاحشة، كما وقع ذلك لأبي بكرة ونافع ابني الحارث بن كلدة الثقفي وشبل ابن معبد البجلي أمام الخليفة عمر بأن المغيرة زنى بأم جميل بنت الافقم وفي وجه المغيرة ونكل زياد بن أبيه عن الشهادة فأمر الخليفة بضربهم ثمانين جلدة، وعلى اثر ذلك سقطت شهادتهم عن الأعتبار حتى اعلن نافع وشبل توبتهما فقبلت بعد ذلك شهادتهما، ولم يتب أبو بكرة فكان لا يستطيع ان يدلي الشهادة في أمر إلى آخر عمره (١). وما جاء في الروايات المروية عن أم المؤمنين عائشة في قصة الافك ان كلا من عبد الله بن أبي ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ارجفوا بخبر الافك، ولم يأت في تلكم الروايات أكثر من ذلك. وبناء على ذلك لا يثبت عليهم حد القذف ليجريه عليهم رسول الله (ص). هذا ما وجدناه عند العلماء من مناقشات حول ما روي عن أم المؤمنين في

---

(١) راجع: (قصة المغيز بن شعبة) من المجلد الاول من عبد الله بن سبأ.

[١٧٥]

خبر الافك ونضيف إلى ذلك ما يأتي بيانه بإذنه تعالى.. عود على بدء في خبر المسابقة والتيمم والافك: جاء في روايات الصحاح والسنن والمسانيد في خبر نزول آية التيمم عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: إن الرسول (ص) أنزل جيشه في عراء لا ماء فيه وليس معهم ماء في اتماس عقد لأم المؤمنين عائشة كانت فقدته، حتى إذا اصبح الجيش على تلك الحالة جاء أبوها أبو بكر يعنفها ويضرب في خاصرتها ويقول لها في كل سفر للمسلمين منك بلاء وعناء، ورسول الله واضع رأسه على فخذ أم المؤمنين عائشة مستسلم للنوم ولم تستطع حراكا لمكان رسول الله منها. بينا جاء في روايات الافك عنها أنها بقيت منفردة في منزلها ليس معها الرسول ولا أحد من جواريها أو من ذوي قرباها، يرحل لها الاغراب وتركب وحدها. بينا القصتان في غزوة واحدة، ولأجل ضياع عقد واحد من الجزع. ثم يأخذنا العجب في هذا الحديث من حركة الجيش السريعة، فكم من الوقت كان يستغرق ذهاب أم المؤمنين في طلب العقد كي يتحرك الجيش برمته ولا يبقى منهم هناك داع أو مجيب ؟ في حين ان الجيش لا بد له من مقدمة وساقة، ولم يكن مكان ظعينة الرسول في الساقة (١) ! ولو فرضنا ان الجيش هذا كان في عصرنا الحاضر يستقل اسرابا من الطائرات النفاثة لما صدق عليه هذا الوصف، فإنه لابد لتحليق الطائرات واحدة بعد أخرئ وسربا بعد آخر من وقت يستطيع الانسان معه أن يذهب لمبرزه

---

(١) مصادر البحث: ابن هشام ج ٣ / ٣٥١ - ٣٥٢ والطبري ج ٣ / ٧٠ وابن الاثير وابن كثير في ذيل غزوة المريسيع وامتاع الاسماع ص ٢١٠ والاغاني ج ٤ / ١٣.

---

[١٧٦]

ويعود ويدرك الطائرات الأخيرة، وكيف يكون الحال مع ركوب الجمال أو غيرها من الدواب ؟ ثم كم بعدت أم المؤمنين من الجيش للتبرز بحيث لم تسمع رغاء البعير ولا همهمة الرجال حين ظعنوا ؟ وشئ آخر في هذا الحديث لا أكاد أفهمه وهو ان الهودج كيف يحمله الحاملون ولا يشعرون خلوه من راكب مهما كان ذاك الراكب خفيفا ؟ ثم ما بال عقيلة تيم تركت عرضة لألسنة القاذفين أكثر من شهر ولا من رادع ؟ وأين كان عنها سيوف سروات تيم ؟ وما بال أبيها أبو بكر وأخويها عبد الله وعبد الرحمن وأبناء عمها طلحة الجود وأخيه عبد الرحمن وابن أخيه عبد الرحمن بن عثمان ؟ وكيف خبتوا لهذا الصغار ولم ينبسوا ببنت شفة طوال هذا الشهر (١) ؟ أكان هؤلاء أجبن من صفوان حين عمم حسان بالسيف لما استشعر انه كان ممن عناه في هجائه بقوله: (ان الجلابيب قد عزوا وقد كثروا...) ؟ وما بال سائر اباة قريش ترضى بهذا الذل ؟ فان قريشا وان كان قد أسلم من أسلم منها إلا أنها لم تنس خيلاءها وعصبيتها في يوم من الأيام. وقد روى أبو عمر (٢): أن ابا سفيان مر على سلمان وصهيب وبلال (٣) فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، فقال لهم أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش ؟ !.... الحديث. ما بال أبي بكر لا يسكت عن ذكر جمع من إخوانه المسلمين رئيس المشركين بسوء وهو لا تصدر منه كلمة في من ثلب شرف بيته ؟ ! ثم من القاذفون ؟ أحسان شاعر الرسول يقذف حرم ممدوحه الرسول

---

(١) تراجمهم في الاستيعاب والاصابة وأسد الغابة. (٢) أخرجه ابن عبد البر بترجمة صهيب ص ٣١٦ الرقم ١٣٧٨. (٣) ترجمته في الاستيعاب والاصابة وأسد الغابة.

---

[١٧٧]

بالافك ؟ أحسان الذي هجاه مسافع بن عياض (١) التيمي ؟ فقال فيه حسان: يا آل تيم ألا تنهون جاهلكم قبل القذاف بصم كالجلاميد إلى قوله: لولا الرسول واني لست عاصيه حتى يغيبني في الرمس ملحودي وصاحب الغار اني سوف أحفظه وطلعة بن عبيد الله ذي الجود أحسان هذا الذي يسكت عن هجاء رجل من تيم حفظا لكرامة أبي بكر يقذف أعظم امرأة في بيت أبي بكر ؟ ثم ما الذي كان يدعو حسان لهذا القذف ؟ وماذا كان يجني من ورائه ؟ وما بال حمنة تهلك فيمن هلك بقذف عائشة ؟ أعلى حساب أختها زينب التي قالت: " أحمي سمعي وبصري " ؟ إذن فا بال زينب هذه لم تردع أختها حمنة عن غيها ؟ وما بال زوج حمنة طلحة بن عبد الله ابن عم عائشة يسكت عن زوجه في قذفها ابنة عمه ؟ ومسطح بن اثاثة ربيب نعمة ابي بكر ماذا دهاه ليخوض مع الخائضين وعطاء أبي بكر كان يجري عليه غدقا ؟ ثم من هم القاذفون ؟ أابن ابي الذي نزل في ذمه وتقريعه " سورة المنافقون " في قصة التخاصم على ماء المريسيع فيوصم بوصمة " النفاق " الذي لا يرحضه ماء أبد الدهر ؟ ! أابن أبي هذا الذي بلغ من الذل في تلك الاونة أنه لما انتشر خبر قوله وارتحل رسول الله (ص) في غير ساعة رحيل، وفي حر شديد فجاء اسيد بن حضير وقال له: يا رسول الله (ص) قد رحلت في ساعة منكرة ما كنت ترحل فيها، قال: أو لم يبلغكم ما قال صاحبكم ؟ لئن رجعنا إلى المدينة

---

(١) على ما ذكرته أم المؤمنين في ذيل الرواية.

---

[١٧٨]

ليخرجن الأعز منها الاذل ؟ فقال: انت يا رسول الله تخرجه إن شئت فهو الأذل وأنت الأعز، والعزة لله ولك وللمؤمنين. ولما نزلت (سورة المنافقون) على رسول الله (ص) عشية راح النبي (ص) من المريسيع مر عليه عبادة بن الصامت فلم يسلم عليه، ثم مر عليه اوس بن خولى فلم يسلم عليه، فقال ابن أبي: ان هذا الأمر تمالأتما عليه فرجعا إليه فأنباه وبكّاه. ابن أبي الذي يقولون لرسول الله (ص) مر محمد بن مسلمة يأتيك برأسه فجاء ابنه عبد الله إلى النبي (ص) فقال: ان كنت تريد ان تقتل أبي فمرني فوالله لأحملن إليك

رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا، فاني لأخشى يا رسول الله ان تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فادخل النار. ابن ابي الذي بلغه في تلك الآونة خبر موت خليله زيد بن رفاعة بن التابوت المنافق فقال: يا ويلاه كان والله وكان، واسقط في يديه وسار كئيبا حزينا. ابن أبي الذي بلغ من الذل ان يتقدم الناس ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي ويقف له على الطريق عند مضيق المدينة فينيخ راحلته ويقول له: لا أفارقك حتى تزعم انك الذليل ومحمد (ص) العزيز، فوالله لن تدخلها حتى يأذن رسول الله (ص) في ذلك. اذن مع من اجتمع ابن أبي هذا وقذف زوج الرسول (ص) بالافك. ثم ما الرابط بين حمنة وحسان وابن أبي ومسطح ؟ وما الذي كان يجمع بين هؤلاء الثلاثة ؟ أكانوا جميعا من قريش ؟ أم كانوا جميعا من الأنصار ؟ أم كانوا جميعا من المنافقين ؟ وفي أي ناد كانوا يجتمعون ؟ ومن أية عصابة كانوا ؟ ليصدق عليهم قوله تعالى: (ان الذين جاءوا بالافك عصبة). ثم أين أجري الحد عليهم ؟ ومن أجراه ؟ وكيف جلدوا (١) ؟ وكيف خفي كل

(١) يراجع في الجلد تفسير سورة النور لأبي الأعلى المودودي.

[١٧٩]

ذلك على كل الصحابة ولم يتكلم أحد منهم عن ذلك ؟ ثم ما بال سعد بن عبادة يدافع عن رئيس المنافقين وصاحبه بالافك حسان أمام النبي (ص) الذي قد قذفا زوجه ؟ أليس ابن عبادة هو الذي لم يرض باعتقال صفوان في ضرب حسان الذي كان أوشك أن يموت من جرحه بل أطلقه وخلع عليه لأنه من فقراء المهاجرين الذين ينتمون إلى الرسول (ص) ؟ ثم ما بال هذه القصص الطويلة في قذف أم المؤمنين بالافك وشجار الأوس والخزرج في ذلك، واستشارة النبي (ص) اسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب في الأمر واستفساره من جاريتها بريرة، وبقاء الناس أكثر من شهر يفيضون في هذا الحديث، ثم نزول آيات الافك في شأنها وتنفيذ حد القذف على قاذفيها (١) ؟ كل هذه القصص الطويلة كيف اقتصرت روايتها على أم المؤمنين عائشة ؟ أكان الله قد ختم أفواه آلاف الصحابة فلم يستطع أحد غيرها أن يحدثنا بشئ منها ؟ ! ! ونختم هذا البحث بما قاله المقريزي في امتاع الاسماع حيث قال: تنبيه: قد اختلف في غزوة المريسيع فذهب الواقدي - كما تقدم - إلى (٢) أنها كانت في شعبان سنة خمس، وقال ابن إسحاق في شعبان من السنة السادسة وصححه جماعة. وفيه إشكال، فإنه وقع في الصحيحين وغيرهما أن المقاول لسعد ابن عبادة سعد بن معاذ، كما تقدم عند خطبة رسول الله (ص) بسبب أهل الافك. ولا يختلف أحد في أن سعد بن معاذ مات إثر قريظة، وقد كانت عقب الخندق، وهي في سنة خمس على الصحيح. ثم حديث الافك لا يشك أحد من علماء الاثار

(١) كل ما ذكرنا هنا قد ورد في الحديث المروي عن أم المؤمنين في كتب الصحاح والسير والمسانيد، راجع أحاديث الافك قبله.

(٢) في الأصل: " إلا ".

[١٨٠]

أنه في غزوة بني المصطلق هذه، وهي غزوة المريسيع. وقد اختلف الناس في الجواب عن هذا، فقال موسى بن عقبة - فيما حكاه البخاري عنه -: إن غزوة المريسيع كانت في سنة أربع، وهذا خلاف الجمهور. ثم في الحديث ما ينفي ما قال لأنها قالت: " وذلك بعد ما نزل الحجاب "، ولا خلاف أن الحجاب نزل صبيحة دخول رسول الله (ص) بزينب بنت جحش، وقال: سأل (ص) زينب عن شأن عائشة في ذلك فقالت: " أحمي سمعي وبصري ". قالت عائشة: " وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي (ص) ". وقد ذكر علماء الأخبار أن تزويجه (ص) بزينب كان في ذي القعدة سنة خمس، فبطل ما قال موسى بن عقبة، ولم يخل الاشكال. وقال ابن إسحاق: إن المريسيع كانت في سنة ست، وذكر فيها حديث الافك، إلا أنه قال: عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، فذكر الحديث - قال: فقام أسيد بن الحضير فقال: " أنا أعذرك منه "، ولم يذكر سعد ابن معاذ. قال الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: وفي مرجع الناس من غزوة بني المصطلق قال أهل الافك ما قالوا، وأنزل الله تعالى في ذلك من براءة عائشة (رض) ما أنزل، وقد روينا من طرق صحاح أن سعد بن معاذ كانت له في شئ من ذلك مراجعة مع سعد بن عبادة. وهذا

عندنا وهم، لأن سعد ابن معاذ مات إثر فتح بني قريظة بلا شك، وفتح بني قريظة في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة - بعد سنة وثمانية أشهر من موته، وكانت المقاولة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة. وذكر ابن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، وغيره، أن المقاول لسعد بن عبادة إنما كان أسيد بن الحضير، وهذا هو الصحيح. والوهم لم

[١٨١]

يعر منه أحد من بني آدم. والله أعلم (١). * * * هذا ما وجدناه عند العلماء من مناقشات حول ما روي عن أم المؤمنين عائشة في خبر الافك. وبناء على ما تبين من نتيجة الدراسات المستفيظة الآنفة ان تلكم الروايات يناقض بعضها بعضا الاخر ويناقض الواقع التاريخي، فما هو الخبر الذي كان فيه شأن نزول آيات الافك ؟ ذلك ما يتضح لنا من الروايات الآتية: في تبرءة من نزلت آيات الافك فقد أخرج مسلم في صحيحه (٢) عن أنس: ان رجلا كان يتهم بأم ولد (٣) رسول الله (ص) فقال رسول الله لعلي: اذهب فاضرب عنقه، فاتاه علي فإذا هو في ركي (٤) يتبرد فيها، فقال علي: اخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر، فكف علي عنه ثم اتى النبي فقال: يا رسول الله انه لمجبوب ماله ذكر. وأخرج ابن سعد في طبقاته عن الزهري، عن أنس بن مالك قال: كانت أم ابراهيم سرية للنبي (ص) في مشربتها وكان قبطي يأوي إليها ويأتيها بالماء

(١) امتاع الاسماع ص ١٠٦ - ١٠٧. هذا ما وجدناه عند العلماء من مناقشات حول ما روي عن ام المؤمنين عائشة في خبر الافك.
(٢) صحيح مسلم ج ٤ / ٢١٣٩ باب براءة حرم النبي (ص) من الريبة كتاب التوبة، وهذا سنده: ثني زهير ابن حرب، * ثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، اخبرنا ثابت عن انس... الحديث. والمستدرك ج ٤ / ٣٩ وقال: وهذا حديث صحيح على شرط مسلم وفي تلخيصه، وراجع: ترجمة مابور في الامابة وغيره. (٣) وفي المستدرك بام ابراهيم ولد رسول الله (ص). (٤) الركية: البئر ذات الماء.

[١٨٢]

والحطب فقال الناس في ذلك: علج يدخل على علجة، فبلغ ذلك رسول الله فأرسل علي بن أبي طالب فوجده علي على نخلة فلما رأى السيف وقع في نفسه فألقي الكساء الذي كان عليه وتكشف فإذا هو مجبوب، فرجع علي إلى النبي فأخبره فقال: يا رسول الله أرأيت إذ أمرت احدنا بالأمر ثم رأى غير ذلك أيراجعك ؟ قال: نعم، فأخبره بما رأى من القبطي، قال: وولدت مارية ابرايم فجا، جبرائيل عليه السلام إلى النبي (ص) فقال: السلام عليك يا ابا ابراهيم، فأطمأن رسول الله (ص) إلى ذلك (١). وأخرج أيضا عن محمد بن عمر: حدثني عبد الله بن محمد بن عمر، عن ابيه، عن علي مثل ذلك غير انه قال: خرج علي فلقيه وعلى رأسه قدرة مستعذبا لها من الماء، فلما رآه علي شهر السيف وعمد له فلما رآه القبطي طرح القربة ورقى في نخلة وتعرى فإذا هو مجبوب، فأغمد علي سيفه، ثم رجع إلى النبي (ص) فأخبره الخبر فقال رسول الله (ص): أصبت ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب (٢) فمن هي مارية التي مر علينا قصتها مع أم المؤمنين في حديث التحريم ؟ ومن القبطي الذي كان يأوي إليها ؟ عن عائشة قالت: اهديت مارية إلى رسول الله (ص) ومعها ابن عم لها، قالت: فوقع عليها وقعة فاستمرت حاملا، قالت: فعزلها عند ابن عمها، قالت: فقال أهل الافك (٣) والزور من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره وكانت امة قليلة اللبن فابتاعت له ضائنة لبون فكان يغذى بلبنها

(١) طبقات ابن سعد بترجمة مارية ج ٨ / ٢١٤ وهذا سنده: أخبرنا محمد بن عمر، ثنا محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن انس بن مالك... الحديث. (٢) طبقات ابن سعد ج ٨ / ٢١٤ وهذا سنده: انا محمد بن عمر، ثني عبد الله بن محمد بن عمر، عن ابيه، عن علي... الحديث. (٣) نجد هنا ذكر الافك في حديث ام المؤمنين عن مارية.

[١٨٣]

فحسن عليه لحمه، قالت عائشة: فدخل به على النبي (ص) ذات يوم فقال: كيف ترين ؟ فقلت: من غذي لبن الضأن يحسن لحمه. قال: ولا اشبه. قالت: فحملني ما يحمل النساء من الغيرة ان قلت: ما أرى شبها. قالت: وبلغ رسول الله (ص) ما يقول الناس فقال

لعلي: خذ هذا السيف فانطلق فاضرب عنق ابن عم مارية حيث وجدته. قالت: فانطلق فإذا هو في حائط على نخلة يخترف (١) رطبا، قالت: فلما نظر إلى علي ومعه السيف استقبلته رعدة، قالت: فسقطت الخرقة فإذا هو لم يخلق الله عزوجل له ما للرجل شئ ممسوح (٢). تزوج رسول الله (ص) مارية بنت سمعون وهي التي اهداها إلى رسول الله (ص) المقوقس صاحب الاسكندرية واهدى معها اختها سيرين وخصبا يقال له مابور، فوهب رسول الله (ص) سيرين لسان بن ثابت - والمقوقس من القبط وهم نصارى - وولدت مارية لرسول الله (ص) ابراهيم في ذي الحجة سنه ثمان من الهجرة ومات ابراهيم بالمدينة وهو ابن ثمانية عشر شهرا (٣). * * * كانت تلكم أخبار مارية وما رميت به من افك في ولدها من رسول الله (ص) ابراهيم في كتب الحديث والسيرة بمدرسة الخلفاء ولست أدري ألم

---

(١) يخترف الثمر: مجنيه. (٢) المستدرك ج ٤ / ٣٩ وفي تلخيصه مختصرا بترجمة مارية. (٣) المستدرك ج ٤ / ٣٨، اعطاء مارية يقتضي ان تكون قصة المهاجاة بين حسان وجهجاه بعد وصول مارية إلى النبي (ص).

---

[١٨٤]

يكن ينبغي في هذه القصة أن ينزل الله فيها آيات يبرئ فيها مارية ويصحح نسب ابراهيم من النبي (ص) فانه كان أهم للنبي (ص) الذي كان ينحصر ولده يومذاك بابراهيم ؟ إلا فيما إذا قلنا ان المقذوفين كانا علجا وعلجة ولا يهم امرهما وامر ابن علجة بقدر ما يهم الامر لو كانوا من أرومة سادة قريش وبيت الخلافة. وإذا رجعنا إلى كتب الحديث والتفسير بمدرسة أهل البيت وجدنا في روايات متعددة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والائمة من ولده الامام الباقر والامام الصادق والامام الرضا عليهم السلام ما موجزه: ان ملك القبط أهدى إلى الرسول (ص) غلاما يدعى جريج وجارية تدعى مارية القبطية، فأسلما وحسن اسلامهما. فضم الرسول (ص) الجارية إليه فولدت له ابراهيم فكان بحبهما حبا شديدا وأصبح سببا لحسد أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة حتى قالتا مع أبويهما للرسول (ص): ان ابراهيم ليس بابنك ؟ ! بل هو ولد الغلام جريج ونحن نشهد على ذلك. وعلى الرغم من علم الرسول (ص) بكذب الشهادة والتهمة لما كان يلهمه من أثر في النفوس أراد أن يظهر الامر ويبين الحقيقة لاصحابه فأمر عليا - وهو غاضب - أن يذهب ويقتل الغلام جريجا، وقال له: إذا بان لك أن الامر على غير ما قيل فلا تتعرض له بسوء. فذهب الامام علي (ع) إلى جريج شاهرا سيفه، ففر جريج من خوفه وتسلق شجرة فتبعه الامام علي فأهوى جريج بنفسه على الارض فانحسر ثوبه عن رجليه فبان لعلي أنه ممسوح، فاتى به الرسول (ص) وعرضه عليه ما رأى منه. فأحضر الرسول (ص) أصحابه فشاهدوا الغلام وانكشف أمرهم وبطلت تهمتهم. فجاءوا إلى الرسول (ص) يطلبون المغفرة... الحديث فنزلت الايات بتبرءة الجارية مارية وجريج عن التهمة التي اتهما بها (١)

---

(١) راجع تفسير الايات بتفسير آية الافك في سورة النور من تفسير البرهان ط. قم =

---

[١٨٥]

نتيجة بحوث التيمم والمسابقة والافك أولا - قصة المسابقة: أ - ان ما روي عن مسابقة الرسول (ص) مع ام المؤمنين عائشة لا يفعله أي قائد جيش مع جيشه، فكيف يفعله الرسول الحكيم (ص) ؟ ب - لا يتيسر تقدم الجيش بحيث لا يرون المسابقة بحال من الاحوال. ج - كيف تروي المسابقة في حال سير الرسول (ص) وجيشه ليلا ونهارا بعد الشجار على ماء المريسيع كما مر بنا. ثانيا - قصة نزول آية التيمم: رويت في سبب نزول حكم التيمم في الذكر الحكيم روايات متعددة كل واحدة تخبر عن نزول آية التيمم في واقعة خاصة، احداها رواية أم المؤمنين عائشة انها قالت: بعث رسول الله (ص) اسيد بن حضير في طلب قلادة لام المؤمنين كانت قد نسيتها في منزل نزلته، فحضرت الصلاة ولم يكن هناك ماء للوضوء فصلى بغير وضوء، فذكر ذلك لرسول الله (ص) فنزلت آية التيمم. =

سنة ١٤١٧ ه وأطيب البيان والدرر والغرر للشريف المرتضى.

---

[١٨٦]

ويمكن الجمع بين هذه الاحاديث بأن الرسول (ص) كان يقرأ آية التيمم على كل واحد يخبره بخبره ووقع الخطأ في النقل لان كتابة

الحديث كانت ممنوعة إلى سنة ١٤٣ ه حين أمر أبو جعفر المنصور بكتابة الحديث (١) عدا سنتين مدة خلافة عمر بن عبد العزيز. وأما ما روي عن أم المؤمنين عائشة بان الرسول (ص) في رجوعه من غزوة بني المصطلق أنزل جيشه ليلا - في صحراء لاماء فيها وليس معهم ماء - في التماس عقدها، ولما اصبحوا كذلك ورسول الله واضع رأسه على فخذها مستسلما للنوم، ولما استيقض انزل الله عليه آية التيمم فهي تناقض الواقع التاريخي كما ذكرناه، وتناقض روايتها في الصحاح من انها كانت قد نسيت قلادتها في منزل وأرسل الرسول (ص) اسيد بن حضير في طلبها. ثالثا - شأن نزول آيات الافك: لقد ذكرنا جملة من التناقضات في ما روي عن أم المؤمنين عائشة في شأن نزول آيات الافك ومخالفتها مع الواقع التاريخي وتناقض بعضها مع بعض، ونحن نرى كما ذكرنا انه لما وقع الشجار على ماء المريسيع وقال ابن ابي ما قال: وقال حسان: (ان الجلابيب قد عزوا وقد كثروا) الابيات، بادر الرسول (ص) بالرحيل واخمد بذلك النائرة. وفي سيره إلى المدينة نزلت سورة " المنافقون " فتقوى بذلك جهجاه وعندما رجعوا إلى المدينة ضرب جهجاه حسان بن ثابت، وارضاه الرسول (ص) وسعد بن عبادة بما اعطياه وعفا عن جهجاه.

---

(١) راجع: تاريخ الاسلام للذهبي ج ٦ / ٥ - ٦ في ذكره حوادث سنة ١٤٣ ه وترجمة المنصور في تاريخ الخلفاء للسيوطي.

---

[١٨٧]

وفي السنة السابعة من الهجرة ارسل المقوقس صاحب الاسكندرية مارية واختها سيرين ومعهما مابور شيخ كبير هدية، واتخذ مارية لنفسه يطأها بملك اليمين فولدت له ابراهيم في السنة الثامنة من الهجرة، ووهب سيرين لحسان فولدت له عبد الرحمن بن حسان. وكان رسول الله (ص) معجبا بام ابراهيم فثقلت على نساء النبي (ص) وغرن عليها ولا مثل ام المؤمنين عائشة، فقال أهل الافك: من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره (١). و - أيضا - نرى ان آيات الافك نزلت بمناسبة ما قاله أهل الافك في شأن مارية وابن الرسول (ص) ابراهيم منها كما اوضحناه سابقا وبعد السنة الثامنة. وبناء على ما ذكرنا فان اهداء الرسول (ص) سيرين إلى حسان - أيضا - كان في السنة الثامنة، وليس كما جاء في ما روي عن أم المؤمنين عائشة، وان تناقضات تلكم الروايات لا تنحصر بما ذكرناه وبحاجة إلى بحث مستفيض (٢). وفي ما ذكرنا كفاية لمعرفة غاية الدعاية في اثبات حب النبي (ص) لام المؤمنين عائشة وان كان في ذلك حط لكرامة النبي العظيم، ويا ليت تلكم الروايات لم ترو عن أم المؤمنين عائشة، وانا لله وانا إليه راجعون ! ! !

---

(١) راجع: قصة مارية في المجلد الأول من هذا الكتاب وما نقلناه هنا قبل نتيجة بحوث التيمم والمسابقة والافك. (٢) مدر بحث مستفيض في تلكم الاحاديث بقلم البحاثة السيد جعفر مرتضى العاملي بعنوان (حديث الافك) جدير بأهل العلم قراءته ويا ليته كبح جماح قلمه في مواطن كان الا لم يعصر فيها قلبه.

---

[١٨٨]

د - ما روي عن أم المؤمنين عائشة في خبر وفاة الرسول (ص) روايات أخبار ما كان قبل وفاة الرسول (ص) أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة ان رسول الله (ص) كان يسأل في مرضه الذي مات فيه: " أين أنا غدا ؟ أين أنا غدا ؟ " حرصا على بيت عائشة (١). وفي صحيح مسلم عن عائشة: كان رسول الله ليتفقد يقول: " أين أنا اليوم ؟ أين أنا غدا ؟ " استبطاء ليوم عائشة (٢). وفي حديث آخر قالت: أول ما اشتكى رسول الله (ص) في بيت ميمونة

---

(١) صحيح - البخاري، كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي (ص)، ١ / ١٦٨، وكتاب النكاح، باب إذا استأذن الرجل نساءه في ان يمرض في بيت بعضهن ٣ / ١٧٥، وكتاب الفضائل، باب فضل عائشة ٢ / ٢٠٥، وكتاب المغازي، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٣ - ٦٤، وكتاب الخمس، باب ما جاء في بيوت ازواج النبي (ص) ٢ / ١٢٦ (٢) صحيح مسلم، باب فضائل عائشة، الحديث ٨٤، ص ١٨٩٣، وكتاب الصلاة، باب استخلاف الامام ١ / ٣١٢، ومسند احمد ٦ / ٢٢٨ - ٢٢٩ و ١١٧، ومسند أبو عوانة ٢ / ١١٤ - ١١٥.

---

[١٨٩]

فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها فاذن له. وفي صحيح البخاري عنها قالت: لما ثقل رسول الله (ص) واشتد به وجعه استأذن

ازواجه فاذن له، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الارض عباس ابن عبد المطلب وبين رجل آخر. وفي حديث آخر: وهو يخط رجليه في الارض، قال عبيد الله - وهو الراوي -: فحدثت به ابن عباس فقال: أتدرون من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة ؟ هو علي ولكن عائشة لاتطيب له نفسا (١). وفي مسند أحمد (٢) قالت: اشتكى فجعل ينفث فجعلنا نشبه نفثه نفث آكل الزبيب " وكان يدور على نسائه، فلما اشتكى شكواه استأذنهن ان يكون في بيت عائشة ويدرن عليه، فاذن له فدخل رسول الله بين رجلين... الحديث. وفي صحيح البخاري (٣) ان عائشة كانت تقول: من نعم الله علي ان رسول الله (ص) توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري (٤) وأن الله جمع بين ريقي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ٢٢ (لم يسم الباب)، ٤ / ٩، ومسند احمد ٦ / ٢٢٨. (٢) مسند احمد ٦ / ٣٨ و ٤٨ و ١٢١ و ٢٠٠ و ٢٧٤ روايات بين سحري ونحري، ومسند أبي عوانة ٢ / ١١٣. (٣) صحيح البخاري لاكتاب المغازى، باب مرض النبي ٣ / ٦٤، وقريب منه في كتاب الخمس، باب ما جاء في بيوت ازواج النبي ٢ / ١٢٦، وصحيح مسلم، باب فضائل عائشة ٤ / ١٨٩٣، والمستدرك ٤ / ٧، ومنتخبه ٥ / ١١٩، ومسند احمد ٦ / ٤٨ و ٢٠٠، وطبقات ابن سعد ٢ / ٢٦٢. (٤) سحري وسحري وسحري: رئتي والنحر: اعلى الكدر أو موضع القلادة.

---

[١٩٠]

وريقه عند موته، دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله (ص) إلى صدري فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه: أن نعم، فتناولته فاشتد عليه وقلت: ألينه لك فأشار برأسه: أن نعم، فلينته.... الحديث. وفي حديث اخر (١) قالت: فاستن به استنانا فما رأيت رسول الله (ص) استن استنانا قط احسن فما عدا أن فرغ رسول الله (ص) رفع يده واصبعه ثم قال: الرفيق الاعلى ثلاثا، ثم قضى، وكانت تقول: مات ورأسه بين حاقنتي وذاقنتي (٢) وفي حديث آخر (٣) قالت: مات رسول الله (ص) بين سحري ونحري، وفي دولتي لم اظلم فيه أحدا، فمن سفهي وحداثة سني ان رسول الله (ص) قبض وهو في حجري ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت التدم (٤) مع النساء واضرب وجهي. وقالت في حديث آخر (٥): مات رسول الله (ص) وانه لبين حاقنتي وذاقنتي، فلا اكره شدة الموت لأحد ابدا بعد ما رأيت من رسول الله (ص). وقالت (٦): بينا رسول الله (ص) ذات يوم على صدري وقد وضع رأسه على عاتقي إذ مال رأسه فظننت أنه يريد شيئا من رأسي، وخرجت من فيه نطفة باردة فوقعت على ثغرة نحري فاقشعر لها جلدي، فظننت أنه قد غشي عليه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٣. (٢) الحاقنة: المعدة وما بين الترقوتين. الذاقنة: طرف الحلقوم الناتئ. (٣) مسند احمد ج ٦ / ٢٧٤ وطبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٢ و ٢٦١ قريبا منه. (٤) التدمت المرأة: ضربت صدرها أو وجهها في النياحة. (٥) صحيح البخاري، كتاب المغازى، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٣. (٦) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٠. (*)

---

[١٩١]

فسجيته بثوب (١). وقالت (٢): سمعت رسول الله (ص) قبل أن يتوفى وأنا مسندته إلى صدري... الحديث. وقالت (٣): قبض رسول الله (ص) ورأسه بين سحري ونحري، فلما خرجت نفسه لم أجد ريحا قط أطيب منه. وفي حديث آخر (٤) قالت: حضره القبض ورأسه على فخذ عائشة. وأخرج البخاري ومسلم وابن سعد والنسائي واحمد عن الاسود قال: ذكر عند عائشة ان النبي (ص) أوصى إلى علي فقالت: من قاله ؟ وفي رواية: متى أوصى إليه ؟ لقد رأيت النبي (ص) وأنا مسندته إلى صدري، أو قالت: حجري " فدعا بالطسمت ليبول فيها فانخنث فات فما شعرت به، فكيف أوصى إلى علي ؟ أو فمتى أوصى إلى علي ؟ وما مات إلا بين سحري ونحري (٥) توفي وليس أحد عنده غيري (٦).

---

(١) الثغرة: نقرة النحر (بين الترقوتين) والترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. والنطفة: الماء الصافي. (٢) صحيح مسلم ج ٤

/ ١٨٩٣ بسنده عن أبي اسامة وعروة. (٣) مسند أحمد ج ٦ / ١٢٠ - ١٢٢. (٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٣، وباب آخر ما تلكلم به النبي (ص)، وكتاب الدعوات، باب دعاء النبي (ص) اللهم الرفيق الأعلى ٤ / ٧١، وباب من أحب لقاء الله من كتاب الرقاق ٤ / ٨٧، ومسند أحمد ٦ / ٨٩. (٥) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول النبي (ص) وصية الرجل مكتوبة عنده ٢ / ٨٤، وكتاب المغازي، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٥، وصحيح مسلم، باب ترك الوصية لمن ليس له شئ، ٣ / ١٢٥٧، وطبقات ابن سعد ٢ / ٦١ و ٦٢، ومسند احمد ٦ / ٣٢. (٦) سنن ائنسائي ج ٦ / ٢٤١.

[١٩٢]

وعنها قالت: لما قبض رسول الله (ص) اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله (ص) شيئا ما نسيته قال: ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه ادفنوه في موضع فراشه (١). دراسة الروايات: تناقض الروايات الآنفة رواية عباد عن أم المؤمنين عائشة انها قالت: " إن من نعمة الله علي أن نبي الله مات بين سحري ونحري، وفي بيتي وفي دولتي لم اظلم فيه احدا " يدل على ان وفاة الرسول كانت قد صادفت يوم عائشة وعندما كان النبي (ص) في بيتها ونوبتها (٢). وكذلك ما روى عروة عنها انها قالت: " توفي رسول الله بين سحري ونحري وفي دولتي لم أظلم فيه أحدا " (٣) بان مغزى قولها في الحديثين: " لم أظلم فيه احدا " ان ذلك لم يكن في يوم غيرها من امهات المؤمنين لتكون أم المؤمنين عائشة قد ظلمت صاحبة اليوم بأخذ نصيبها من رسول الله (ص)، ويؤكد ذلك رواية أبي مليكة عنها انها قالت: " توفي النبي (ص) في بيتي وفي ليلتي " (٤).

(١) كنز العمال ج ٧ / ١٦٣ - ١٦٤. مرآة الجنان لليافعي ج ١ / ٥٨ ط. بيروت الثانية. (٢) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٢. (٣) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٢. (٤) مسند احمد ج ٦ / ١٦٠ وقريب منه في المستدرك ج ٤ / ٦ و ٧. (*)

[١٩٣]

روايات صلاة أبي بكر في مرض النبي (ص) في صحيح مسلم (١) قالت: لما دخل رسول الله (ص) بيتي قال: " مروا أبا بكر فليصل بالناس " قالت: فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر... فراجعته مرتين أو ثلاثا فقال: " ليصل بالناس أبو بكر فانكن صواحب يوسف ". وفي حديث آخر (٢) قالت: وأنه إن قام في مصلاك بكى فمر عمر بن الخطاب فليصل للناس... الحديث. وفي حديث آخر (٣) قالت: قال النبي (ص) في مرضه الذي مات: " مروا أبا بكر يصلي بالناس " قلت: ان ابا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، قال: " مروا ابا بكر يصلي بالناس " فقلت لحفصة: قولي ان أبا بكر لا يسمع

(١) صحيح مسلم ج ١ / ٣١٣، كتاب الصلاة باب استخلاف الامام لعذر. وصحيح البخاري ج ١ / ٨٧ كتاب الاذان ج ١ / ٨٧، ومسند أحمد ج ٦ / ٢٢٩ ومسند أبي عوانة ج ٢ / ١١٤. (٢) صحيح البخاري ج ١ / ٨٧ وج ٢ / ١٦١ باب أهل العلم والفضل احق بالامامة من كتاب الصلاة باب لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين بتغيير يسير في الفاظه ومسند احمد ج ٦ / ٢٧٠. (٣) صحيح البخاري ج ١ / ٨٧ وباب إذا بكى الامام ص ٩٣ منه وباب ما يكره من التعمق والتنازع من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ج ٤ / ١٧٣، وصحيح الترمذي في مناقب أبي بكر ج ٢ / ٤٥٥ ومسند احمد ج ٦ / ٢٠٢ ومسند أبي عوانة ج ٢ / ١١٧ وقريبا منه في ص ١١٥، وطبقات ابن سعد ج ٢ / ق ١ / ١٢٧ ط اوربا باب ذكر الصلاة.

[١٩٤]

الناس من البكاء فلو أمرت عمر، فقال: " صواحب يوسف مروا أبا بكر يصلي بالناس " فالتفتت الي حفصة، فقالت: لم أكن لاصيب منك خيرا. وقالت: لقد راجعت رسول الله (ص) في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا، وكنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله عن ابي بكر (١). وفي مسند أحمد: فقال النبي (ص) - وهو في بيت ميمونة - لعبد الله: بن زمعة " مر الناس فليصلوا " فلقي عمر بن الخطاب، فقال: يا عمر صل بالناس، فصلى بهم فسمع رسول الله (ص) صوته فعرفه وكان جهير الصوت، فقال رسول الله (ص): " أليس هذا صوت

عمر "، قالوا: بلى، قال: " يأبي الله عزوجل ذلك والمؤمنون، مروا أبا بكر فليصل " إلى قولها: انه رجل رقيق، وقول الرسول (ص): " انكن صواحب يوسف " (٢). وفي حديث آخر عن عائشة قالت: لما مرض رسول الله (ص) مرضه الذي مات فيه جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، إلى قوله: فانكن صواحب يوسف، فارسلنا إلى أبي بكر فصلى بالناس فوجد النبي (ص) من نفسه خفة فخرج يهادي بين رجلين... فلما أحس به أبو بكر ذهب يتأخر فأومأ إليه النبي (ص) أن مكانك، فجاء النبي حتى جلس إلى جنب أبي بكر

---

(١) البخاري ٥ كتاب المغازي، باب مرض النبي (ص) ٣ / ٦٣، وقريب منه في حديثها بصحيح مسلم ١ / ٣١٣، ومسند احمد ٦ / ٣٤ و ٢٢٩، ومسند ابي عوانة ١ / ١١٤، وطبقات ابن سعد ج ٢ / ٢١٧. (٢) مسند احمد ج ٦ / ٣٤.

---

[١٩٥]

وكان ابو بكر يأتم بالنبي (ص) والناس يأتمون بأبي بكر (١). وفي حديث آخر قالت: ان رسول الله (ص) لما ثقل فقال: " أصلى الناس ؟ " فقلنا: لا، هم ينتظرونك.... فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم افاق فقال:، (أصلى الناس ؟ " فقلنا: لا وهم ينتظرونك يا رسول الله، قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله (ص) إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، وكان أبو بكر رجلا رقيقا، فقال: يا عمر صل بالناس، فقال عمر: أنت أحق بذلك، فصلى بهم أبو بكر تلك الايام، ثم ان رسول الله وجد خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه ان لا تتأخر وأمرهما فأجلساه إلى جنبه، فقال ابن عباس: سمت لك الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت: لا، قال: هو علي (٢). وفي حديث آخر قالت: فلما دخل المسجد سمع ابو بكر حسه فذهب ليتأخر فأومأ إليه رسول الله (ص): ان قم كما انت، فجاء رسول الله (ص) حتى قام عن يسار ابي بكر جالسا، فكان رسول الله (ص) يصلي بالناس جالسا وأبو بكر قائما يقتدي ابو بكر برسول الله (ص) والناس يقتدون بصلاة ابي بكر (٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب حد المريض ان يشهد الجماعة ١ / ٨٥ و ٩٢، وصحيح مسلم، باب استخلاف الامام ١ / ٩٢ و ٨٥، ومند احمد ج ٦ / ٢١٠ وقريب منه ما في ص ٢٢٤ منه، وسنن النسائي. باب الامامة باب الامام يصلي قاعدا ٣ / ٩٩ - ١٠٠. (٢) صحيح البخاري ج ١ / ٨٨ باب إنما جعل الامام ليؤتم به، وصحيح مسلم ج ٢ / ٢٠ باب استخلاف الامام، وسنن النساني ج ١ / ١٣٤ باب الائتمام بالامام يصلي قاعدا، ومسند أحمد ج ٦ / ٢٥١، والكنز ج ٤ / ٥٩، وطبقات ابن سعد ج ٢ / ٢١٨. (٣) سنن النساني ج ٢ / ١٠٠ كتاب الامامة، باب الامام يصلي قاعدا، وقريب منه في مسند أبي عوانة ج ٢ / ١١٥.

---

[١٩٦]

وفي حديث آخر قالت: فكان رسول الله (ص) بين يدي أبي بكر يصلي بالناس قاعدا وابو بكر يصلي خلفه (١). وفي حديث آخر قالت: فصلى أبو بكر وصلي النبي (ص) خلفه قاعدا (٢). وفي آخر قالت: صلى رسول الله (ص) خلف أبي بكر قاعدا في مرضه الذي مات فيه (٣). وفي حديث آخر قالت: ان ابا بكر صلى بالناس ورسول الله (ص) في الصف خلفه (٤). دراسة الروايات: نجد في أحاديث أم المؤمنين هذه بشأن صلاة أبي بكر اختلافا شديدا في من كان الواسطة في أمر الصلاة، هل هي ام المؤمنين عائشة أو حفصة أو عبد الله بن زمعة أو بلال ؟ ومن راجعت الرسول في عدم تعيين ابي بكر، ام المؤمنين عائشة أو حفصة ؟ ومن المخاطب منهما بقوله: " انكن صويحبات يوسف " ؟ وانه هل ندب عبد الله بن زمعة عمر بن الخطاب للصلاة فقال النبي (ص): " يأبى الله ذلك والمؤمنون " كما عرف صوته ؟ أو ندبه أبو بكر فلم يقبل عمر أن يتقدم على أبي بكر ؟ أو انه لم يندبه أحد للصلاة ابدا ؟ وان النبي (ص) لما وجد خفة وذهب للصلاة، هل جلس إلى جنب ابي بكر قاعدا واقتدى به ابو بكر قائما وان الناس

---

(١) مسند أحمد ج ٦ / ٢٤٩ ومسند أبي عوانة ج ٢ / ١١٢ - ١١٣. (٢ و ٣ و ٤) مسند احمد ٦ / ١٥٩ وسنن النسائي ج ٢ / ٧٩ كتاب الامامة باب ملاة الامام خلف رجل من رعيته.

---

[١٩٧]
اقتدوا بأبي بكر وأن النبي (ص) جلس خلف أبي بكر أو جلس في الصف وائتم بأبي بكر ؟ ! كل هذا الاختلاف في أحاديث أم المؤمنين، أما غير أم المؤمنين فقد ذكر ابن ابي الحديد عن شيخه ان عليا كان يتهم أم المؤمنين عائشة انها هي التي أمرت بلالا مولى أبيها أن يأمر أبا بكر بالصلاة، وان الرسول (ص) لم يعين أحدا للصلاة وان تلك الصلاة كانت صلاة الصبح، ولما أفاق الرسول (ص) وانتبه إلى ذلك خرج في آخر رمق يتهادى بين علي والفضل بن العباس حتى قام في المحراب وصلى ثم رجع إلى بيته ومات في ارتفاع الضحى. وان عليا كان يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيرا ويقول: ان النبي (ص) لم يقل: " انكن صويحبات يوسف " إلا انكارا لهذه الحال وغضبا منها، لأنها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، واستدركه النبي (ص) بخروجه وصرف أبي بكر عن المحراب.

---

[١٩٨]
روايات أراد النبي (ص) أن يكتب لأبي بكر في صحيح مسلم عن عائشة قالت: قال لي رسول الله (ص) في مرضه: " ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتابا، فإني أخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل: انا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر " (١). وفي مسند أحمد عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله (ص) قال لعبد الرحمن ابن ابي بكر: ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر لا يختلف عليه، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال: " أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك أبا بكر " (٢). دراسة الروايات: أرى غاية الدعاية في هذا الحديث انما هي معالجة حديث القرطاس الذي رواه عمر بن الخطاب (٣) حيث قال: كنا عند النبي (ص) وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله (ص): اغسلوني بسبع قرب وائتوني بصحيفة ودواة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا. فقالت النسوة (٤): ائتوا رسول الله (ص)

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ / ١٨٥٧ باب فضائل ابي بكر، ومسند احمد ج ٦ / ١٤٤ و ٤٧ و ١٠٦، وطبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٢٥ - ٢٢٦ و ٣١٧ الحديث ٥٢٨٣ واللفظ لمسلم. (٢) مسند أحمد ج ٦ / ٤٧. قريب منه في صحيح البخاري. (٣) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٤٣ - ٢٤٤، ونهاية الارب للنويري ج ١٨ / ٣٧٤ - ٣٧٥ ط. القاهرة ١٣٧٤ هـ. (٤) في امتاع الاسماع ص ٥٤٦ بدل فقالت النسوة، وقالت زينب بنت جحش وصواحبها.

---

[١٩٩]
بحاجته، قال عمر: فقلت: اسكتن فانكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح أخذتن بعنقه، فقال رسول الله (ص): هن خير منكم ! وحديث ابن عباس (١) الذي قال: لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب، قال النبي (ص): هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، فقال عمر: ان رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا منهم من يقول: قدموا يكتب لكم رسول الله كتابا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قاله عمر، فكثر اللغو والاختلاف. فقال رسول الله: قوموا عني، فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. فأرادت الدعاية أن تعين بحديث أم المؤمنين عائشة حديث القرطاس ومنعهم من كتابة حديث الرسول (ص). في مسند أحمد بسنده عن أم المؤمنين عائشة زوج النبي (ص) قالت: لما أرادوا غسل رسول الله (ص) اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما نرى كيف نصنع، أنجرد رسول الله (ص) كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت: فلما اختلفوا أرسل الله عليهم السنة حتى والله ما من القوم من رجل إلا ذقنه في صدره نائما، قالت: ثم كلمهم من ناحية البيت لا يدرون من هو فقال: اغسلوا النبي (ص) وعليه ثيابه، قالت: فثاروا إليه فغسلوا رسول الله (ص) وهو في قميصه يفاض

---

(١) راجع: أسناد الحديثين في عبد الله بن سبأ ج ١ / ٩٧ - ٩٩. ونستدرك عليه ما يأتي: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم ج ١ / ٢٢ - ٢٣، وكتاب الجهاد، باب يستشفع أهل الذمة ج ٢ / ١٢٠، وكتاب الخمس، باب اخراج اليهود من جزيرة العرب ج ٢ / ١٣٦، وباب مرض النبي من كتاب المغازي ج ٣ / ٦٢، ونهاية الارب ج ١٨ / ٣٧٣، ومسند أحمد ج ١ / ٢٢٢ و ٣٢٤

- ٣٢٥ و ٣٣٦.

---

[٢٠٠]

عليه الماء والسدر ويدلكه الرجال بالقميص. وكانت تقول: لو استقبلت من الأمر ما استدبرت ما غسل رسول الله (ص) إلا نساؤه (١). وفي كنز العمال بسنده عن أم المؤمنين عائشة قالت: لما توفي رسول الله (ص) اشرأب النفاق وارتدت العرب وانحازت الانصار، فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها فما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بفنائها وفصلها قالوا: أين يدفن رسول الله (ص) ؟ فا وجدنا عند أحد علما، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله (ص) يقول: ما من نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه. قالت: واختلفوا في ميراثه فما وجدوا عند احد من ذلك علما، فقال ابو بكر: سمعت رسول الله يقول: إنا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة (٢). * * * كان ذلكم ما روي عن أم المؤمنين عائشة في خبر وفاة الرسول (ص) وما يتبعه، وانكارها وصية الرسول (ص) للامام علي. وفي ما يأتي ننقل باذنه تعالى روايات غيرها في تلكم الاخبار للمقارنة بين رواياتها وروايات غيرها. مقارنة ما روي عن أم المؤمنين عائشة بروايات غيرها أولا - إخبار الرسول (ص) كيف يغسلونه ويدفنونه: في طبقات ابن سعد بسنده عن ابن مسعود أنه قال: نعى لنا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبي هو وأمي ونفسي له الفداء، فلما دنا الفراق جمعنا في

---

(١) مسند احمد ج ٦ / ٢٦٧ وطبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٧٦. (٢) كنز العمال ج ١٤ / ١٣٠ ط ٢ بحيدرآباد.

---

[٢٠١]

بيت أمنا عائشة وتشدد لنا فقال: مرحبا بكم حياكم الله بالسلام رحمكم الله حفظكم الله جبركم الله رزقكم الله رفعكم الله نفعكم الله أداكم الله وقاكم الله ! أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم أستخلفه عليكم وأحذركم الله، إني لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده فإنه قال لي ولكم: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين). وقال: (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) قلنا: يا رسول الله متى اجلك ؟ قال: دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى وإلى سدرة المنتهى وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والعيش المهنى، قلنا: يا رسول الله من يغسلك ؟ فقال: رجال من أهلي الأدنى فالأدنى. قلنا: يا رسول الله ففيم نكفنك ؟ فقال: في ثيابي هذه إن شئتم أو ثياب مصر أو في حلة يمانية. قال: قلنا: يا رسول الله من يصلي عليك ؟ وبكينا وبكى فقال: مهلا رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيرا، إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفة قبري في بيتي هذا، ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي علي حبيبي وخليلي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعهم، ثم ادخلوا فوجا فوجا فصلوا علي وسلموا تسليما، ولا تؤذوني بتزكية ولا برنة، وليبتدئ بالصلاة علي رجال أهلي ثم نساؤهم ثم أنتم بعد، واقرأوا السلام على من غاب من أصحابي واقرأوا السلام على من تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة ! قلنا: يا رسول الله فن يدخلك قبرك ؟ قال: أهلي مع ملائكة كثيرين يرونكم من حيث لا ترونهم (١).

---

(١) طبقات ابن سعد ط. بيروت ج ٢ / ٢٥٦ - ٢٥٧ باب ذكر ما اوصى به الرسول (ص) عند مرضه الذي مات فيه.

---

[٢٠٢]

ثانيا - روايات وفاة الرسول (ص) في حجر الامام علي ووصيته اياه: أ - في تاريخ ابن كثير بسنده عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله قال في مرضه: " ادعوا لي أخي " فدعوا له أبا بكر فأعرض، عنه ثم قال: " ادعوا لي أخي " فدعوا له عمر فأعرض عنه، ثم قال: " ادعوا لي أخي " فدعوا له عثمان فأعرض عنه، ثم قال: " ادعو لي أخي " فدعي له علي بن أبي طالب فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له: ما قال ؟ قال: علمني ألف باب يفتح كل باب إلى ألف باب (١). وفي رواية قال رسول الله (ص) لما حضرته الوفاة: " ادعوا لي حبيبي " فدعوا له أبا بكر فنظر إليه ثم وضع رأسه فقال: " ادعوا لي حبيبي " فدعوا له عمر فلما نظر إليه وضع رأسه ثم قال: " ادعوا لي حبيبي " فدعوا له عليا، فلما رآه أدخله معه في الثوب الذي كان عليه فلم يزل يختضنه حتى قبض (ص) (٢). ب - في مسند احمد والمستدرك عن أم سلمة قالت: والذي أحلف به، ان كان علي بن أبي طالب لأقرب الناس عهدا برسول

الله (ص) عدنا رسول الله (ص) غداة وهو يقول: (جاء علي، جاء علي " مرارا فقالت فاطمة: كأنك بعثته في حاجة قالت: فجاء بعد، قالت أم سلمة: فظننت ان له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكب عليه رسول الله (ص) وجعل يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله (ص) من يومه ذلك فكان علي أقرب الناس عهدا (٣).

---

(١) تاريخ ابن كثير ج ٧ / ٣٥٩. (٢) ذخائر العقبى ص ٧٢، وكفاية الطالب للكنجي ص ١٣٣ ومسند احمد ج ٦ / ٣٠. (٣) مسند أحمد ج ٦ / ٣٠٠ أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ / ١٣٨ - ١٣٩ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، واعترف بصحته الذهبي في تلخيص المستدرك، =

---

[٢٠٣]

ج - في طبقات ابن سعد في " ذكر من قال توفي رسول الله (ص) في حجر علي بن ابي طالب " بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري ان كعب الاحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله (صى) ؟ فقال عمر: سل عليا، قال: أين هو ؟ قال: هو هنا، فسأله فقال علي: اسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة ! فقال كعب: كذلك آخر عهد الانبياء وبه امروا وعليه يبعثون، قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين ؟ قال: سل عليا، قال: فسأله فقال: كنت أنا أغسله وكان عباس جالسا، وكان اسامة وشقران يختلفان إلي بالماء (١). د - وبسنده عن الامام علي قال: قال رسول الله (ص) في مرضه: " ادعوا لي أخي "، قال: فدعي له علي فقال: ادن مني، فدنوت منه فاستند الي، فلم يزل مستندا إلي وانه ليكلمني حتى إن بعض ريق النبي (ص) ليصيبني ثم نزل برسول الله (ص) وثقل في حجري، فصحت: يا عباس أدركني فإني هالك ! فجاء العباس فكان جهد هما جميعا ان أضجعاه (٢). ٥ - وفي كنز العمال عن علي قال: دخلت على نبي الله (ص) وهو مريض فإذا رأسه في حجر رجل أحسن ما رأيت من الخلق والنبي (ص) نائم، فلما دخلت عليه قلت: أدنو ؟ فقال الرجل: ادن إلى ابن عمك فأنت أحق مني، =

وأخرجه ابن عساكر في بابه أنه كان أقرب الناس عهدا برسول الله (ص) من ترجمة الامام علي ج ٣ / ١٦ - ١٧ بطرق متعددة، ومجمع الزوائد لابي بكر الهيثمي ٩ / ١١٢ ط. دار الكتاب بيروت، وكنز العمال ج ١٥ / ١٢٨ ط. الثانية بحيدرآباد، كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب، وتذكرة خواص الأمة لابن الجوزي باب حديث النجوى، والوصية عن كتاب الفضائل لاحمد بن حنبل وخصائص النسائي. (١) طبقات ابن سعد وكنز العمال ج ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣. (٢) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٣ وكنز العمال ج ٧ / ١٧٨ - ١٧٩.

---

[٢٠٤]

فدنوت منهما، فقام الرجل وجلست مكانه ووضعت رأس النبي (ص) في حجري كما كان في حجر الرجل، فمكثت ساعة ثم ان النبي (ص) استيقظ فقال: أين الرجل الذي كان رأسي في حجره ؟ فقلت: لما دخلت عليك دعاني ثم قال: ادن إلى ابن عمك فأنت أحق به مني ثم قام فجلست مكانه، قال: فهل تدري من الرجل ؟ قلت: لا بأبي وأمي قال: ذاك جبريل كان يحدثني حتى خف عني وجعي ونمت ورأسي في حجره (١). و - وفي طبقات ابن سعد بسنده عن ابي غطفان قال: سألت ابن عباس: أرأيت رسول الله (ص) توفي ورأسه في حجر أحد ؟ قال: توفي وهو مستند إلى صدر علي، قلت: فان عروة حدثني عن عائشة انها قالت: توفي رسول الله (ص) بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: اتعقل ؟ والله لتوفي رسول الله (ص) وانه لمستند إلى صدر علي، وهو الذي غسله وأخي الفضل ابن عباس وأبى أبي ان يحضر وقال: ان رسول الله (ص) كان يأمرنا ان نستتر فكان عند الستر (٢). ز - في خطبة لعلي: وقد علمتم أني لم اخالف رسول الله (ص) ولم أعصه في أمر قط، أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال وترعد فيها الفرائص، نجدة أكرمني الله بها فله الحمد. ولقد قبض رسول الله (ص) وإن رأسه لفي حجري، ولقد وليت غسله بيدي وحدي تقلبه الملائكة المقربون معي، وأيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على حقها إلا ما شاء الله (٣).

---

(١) كنز العمال ج ٧ / ١٧٧ - ١٧٨. (٢) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢٦٣ في ذكر من قال توفي رسول الله (ص) ورأسه في حجر

علي والكنز ج ٧ / ١٧٩. (٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ط. الثانية، المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة.

[٢٠٥]

وفي خطبة اخرى للامام: ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد (ص) أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها. ولقد قبض رسول الله (ص) وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي، ولقد وليت غسله (ص) والملائكة أعواني فضجت الدار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حيا وميتا ؟ فانفذوا على بصائركم ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم فوالذي لا إله إلا هو إني لعلى جادة الحق، وانهم لعلى مزلة الباطل، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم (١). * * * بعد أن قارنا بين ما روي عن أم المؤمنين عائشة وما روي عن غيرها في مرض الرسول (ص) ووفاته، ندرس في ما يأتي باذنه تعالى ما روي عنها في انكارها تعيين الرسول (ص) عليا وصيا من بعده: دراسة ما روي عن أم المؤمنين عائشة حول تعيين الرسول (ص) عليا وصيا من بعده اتفقت مضامين روايات غير أم المؤمنين عائشة ان الرسول (ص) قبض ورأسه في حجر ابن عمه علي، أما ما روي عنها من انها أنكرت وصية الرسول (ص) لابن عمه فانه على فرض صحه وفاة الرسول (ص) بين حاقنة أم المؤمنين وذاقنتها أو سحرها ونحرها أو صدرها أو نخذها فان ذلك لا يلزم عدم

(١) نهج البلاغة ص ٢٢٤ الخطبة رقم ١٩٧ في طبعة صبحي الصالح.

[٢٠٦]

وصيته إلى علي، بعد أن ورد باثباتها نصوص متعددة عنه، منها قول النبي (ص) في حديثه يوم الانذار، قال النبي (ص) لعلي: " هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.... " الحديث (١). ومنها ما رواه سلمان قال: قلت: يا رسول الله إن لكل نبي وصيا فمن وصيك ؟ فسكت عني، فلما كان بعد رآني فقال: يا سلمان، فأسرعت إليه قلت: لبيك، قال: تعلم من وصي موسى ؟ قلت: نعم يوشع بن نون، قال: لم ؟ قلت: لانه كان أعلمهم يومئذ، قال: فان وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب (٢). * * *

(١) راجع: كنز العمال ج ١٢ / ٢٠٩ ومنتخبه ج ٥ / ٣٢ بمسند أحمد عن الطبراني. (٢) مجمع الزوائد ج ٩ / ١١٣ والطبراني في المعجم الكبير ج ٦ / ٢٢١.

[٢٠٧]

الباب الثالث ما روي من الحديث عن أم المؤمنين عائشة وغيرها من الصحابة في سيرة الرسول (ص) أ - روايات استماع النبي (ص) للغناء و... ! ب - روايات الناس اعلم بامور، دنياهم و... ! ج - روايات نسيان النبي (ص) آي من القرآن الكريم ! د - روايات من لعنه النبي (ص) وسبه !

[٢٠٩]

اولا - روايات استماع النبي (ص) للغناء " معاذ الله " أ - في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة: أن أبا بكر دخل عليها والنبي عندها يوم فطر أو أضحى، وعندها قينتان تغنيان بما تقاذفت الأنصار يوم بعاث، فقال أبو بكر: مزمار الشيطان، مرتين. فقال النبي (ص) دعهما يا أبا بكر. إن لكل قوم عيدا وإن عيدنا هذا اليوم (١). ب - في صحيحي البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة: أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان والنبي متغش بثوبه فانتهرها أبو بكر، فكشف النبي عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد وتلك الآيام أيام منى (٢). ج - في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة قالت: دخل علي رسول الله (ص) وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال ؟ مزمارة الشيطان عند النبي (ص)، فأقبل

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (ص)، باب مقدم النبي واصحابه المدينة ٢ / ٢٢٥، وفي لفظ آخر في مسند أحمد ج ٦ / ٩٩٠. (٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة الحبش وقول النبي (ص): يا بني ارفدة ٢ / ١٧٩، وكتاب العيدين، باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين ١ / ١٢٣، وصحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب ٢ / ٦٠٨، ومسند احمد ٦ / ٨٤٠

---

[٢١٠]

عليه رسول الله (ص) فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا (١). وفي مسند أحمد عن عائشة قالت: دخل علينا أبو بكر في يوم عيد وعندنا جاريتان تذكران يوم بعاث يوم قتل فيه صناديد الاوس والخزرج، فقال أبو بكر: عباد الله أمزمور الشيطان ؟ عباد الله أمزمور الشيطان ؟ عباد الله أمزمور الشيطان ؟ قاهلا ثلاثا فقال رسول الله (ص): يا أبا بكر ان لا كل قوم عيدا وان اليوم عيدنا (٢). المفردات: تقاذفت الانصار: تشاتموا به. قينتان: القينة: غالبا تستعمل في المغنية، وفي لفظ بعض الروايات جاريتان. تدففان: تضربان، أي تضربان بالدف، والدف آلة طرب ينقر عليها. المزمار والمزمور: آلة من خشب أو معدن تنتهي قصبتها ببوق صغير. وغمزتهما: غمزه بالعين أو الجفن أو الحاجب: اشار إليه بما يريد. بعاث: اسم حصن للاوس، ويوم بعاث يوم جرت فيه معركة بين الاوس والخزرج في الجاهلية انتصر فيه الاوس على الخزرج. د - في صحيحي البخاري ومسلم إن عائشة قالت: والله ! لقد رأيت رسول

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد ج ١ / ١١٨ - ١١٩، وصحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب ج ٢ / ٦٠٩، والسيرة الحلبية ج ١ / ٦٢ - ٦٢، وهامش ارشاد الساري ج ٤ / ١٩٥ - ١٩٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ / ٢٢٤. (٢) مسند احمد ج ٦ / ١٣٤ وصحيح مسلم ج ٢ / ٦٠٩ كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب، وسنن ابن ماجة ج ١ / ٦١٢ كتاب النكاح باب الغناء والدف.

---

[٢١١]

الله (ص) يقوم على باب حجرتي والحبشمة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله (ص)، ورسول الله (ص) يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي انصرف. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو (١). هـ - في صحيحي البخاري ومسلم: " ورأيت النبي (ص) يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر فقال النبي: دعهم ! أمنا بني ارفدة - يعني من الأمن - فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو (٢). و - في صحيحي البخاري ومسلم، وفي رواية اخرى: فإما سألت النبي (ص) وإما قال: أتشتهين تنظرين ؟ قلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة، حتى إذا مللت قال: حسبك ؟ قلت: نعم، قال: فاذبي. وفي رواية ثانية قالت: جاء حبش يزفنون (٣). وفي رواية للعابين أود أني

---

(١) صحيح مسلم ج ٢ / ٦٠٩ كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب، وهامش إرشاد الساري ج ٩ / ١٩٤، وصحيح البخاري ج ١ / ٦٣ كتاب الصلاة باب أصحاب الحراب في المسجد، ومسند أحمد ج ٦ / ٢٧٠ و ٢٤٧ و ١٦٦٠ و (فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن): قال النووي: معناه أنها تحب اللهو والتفرج والنظر إلى اللعب حبا بليغا. (٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة الحبش وقول النبي (ص): يا بني أرفدة ج ٢ / ١٧٩، وكتاب العيدين، باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين ج ١ / ١٢٣، وصحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب ج ٢ / ٦٠٨، حيث قال في نهاية الحديث: "... فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن " والعربة معناها المشتهية اللعب المحبة له. (٣) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد ج ١ / ١١٨، =

---

[٢١٢]

اراهم... ز - وفي رواية ثالثة أنها قالت: (مر رسول الله (ص) بالذين يدوكون بالمدينة فقام عليهم وكنت انظر فيما بين اذنيه وهو يقول: خذوا يا بني أرفدة ! حتى تعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة، فجعلوا يقولون: ابو القاسم الطيب، فجاء عمر فارتدعوا (١).

ح - في رواية رابعة: فقال: يا عائشة تعالي فانظري، فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله (ص) فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه فقال لي: أما شبعت ؟ أما شبعت ؟ قالت: فجعلت أقول لا لأنظر منزلتي عنده، إذ طلع عمر قال: فارفض الناس عنها، قالت: فقال رسول الله: إني لأنظر إلى شياطين الانس والجن قد فروا من عمر (٢). ط - جاء عن أم المؤمنين عائشة في ذلك روايات اخرى غير ما ذكرناه. ي - في صحيح البخاري عن أبي هريرة: إذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال رسول الله (ص): دعهم يا عمر (٣). ك - في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما عن ام المؤمنين عائشة قالت: كنت العب بالبنات في عهد النبي (ص) وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان =

وبني أرفدة لقب للحبشة. ودونكم من ألفاظ الاغراء ومعناه: عليكم بهذا اللعب الذي أنتم فيه. ويزفنون: أي يرقصون. (١) مسند احمد ج ٦ / ١١٦ و ٢٣٣ وكنز العمال ج ١٩ / ١٦٢ - ١٦٣ و ١٥٣ الكتاب الثالث من حرف اللام ومنتخب الكنز بهامش مسند احمد ج ٦ / ١٧٣ ويدوكون: داك القوم ونحوهم ماجوا راختلطوا. (٢) صحيح الترمذي ج ١٣ / ١٤٨ كتاب المناقب باب مناقب عمر. (٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اللهو بالحراب ج ٢ / ١٠٣، وصحيح مسلم ج ٦١٠ / ٢.

---

[٢١٣]

رسول الله (ص) إذا دخل يتقمعن فيسربهن (١) الي فيلعبن معي (٢). وفي طبقات ابن سعد عن عائشة انه كن لها بنات تعني اللعب... الحديث. وفي رواية (٣) سأل منها الرسول: " ما هذا ؟ " فقالت: خيل سليمان، فضحك. وفي سنن الترمذي بسنده عن بريدة انه قال: خرج رسول الله (ص) في بعض مغازيه، فلهم انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله صالحا أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال لها (ص): إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا، فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليه، فقال رسول الله (ص): إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالسا وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف (٤). وفي مسند احمد بسنده عن أم المؤمنين عائشة (٥) قالت: لعبت الحبشة عند النبي (ص) في المسجد فجئت انظر فجعل يطأطئ لي منكبيه لأنظر إليهم. وفي رواية اخرى انها قالت (٦): ان الحبشة كانوا يلعبون عند رسول (ص)

---

(١) يتقمعن: يتفيين في البيت، يسر بهن: يردهن في مجراهن. (٢) صحيح البخاري، كتاب الادب، باب الانبساط ج ٤ / ٤٧، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة ج ٤ / ٩١. (٣) طبقات ابن سعد ج ٨ / ٤٢ و ٤٤ ط. اوربا، ومسند احمد ج ٦ / ١٦٦ و ٢٣٣ - ٢٣٤ وسن ابي دارد ج ٤ / ٢٨٣ - ٢٨٤ كتاب الادب. (٤) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمر ١٣ / ١٤٧. (٥) مسند احمد ج ٦ / ٨٣. (٦) مسند احمد ج ٦ / ٥٦ - ٥٧.

---

[٢١٤]

في يوم عيد، قالت: فاطلعت من فوق عاتقه فطأطأ لي رسول (ص) منكبيه فجعلت أنظر إليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت. وفي ثالثة انها قالت: ان الحبشة لعبوا لرسول (ص) فدعاني فنظرت من فوق منكبيه حتى شبعت (١). وفي رابعة انها قالت: كان رسول الله (ص) في حجرتي يسترني بردائه وأنا انظر إلى الحبشة كيف يلعبون حتى أكون أنا اسأم واقدرت والجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو (٢). * * *

---

(١) مسند احمد ج ٦ / ٢٣٣. (٢) مسند احمد ج ٦ / ٨٥.

---

[٢١٥]

روايات اشتراك الرسول (ص) في حفلة عرس تسقي العروس فيها الرجال والنساء ١ - في صحيح البخاري، قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء: جاء النبي (ص) فدخل حين بنى علي فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت احداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال (ص): دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين (١). ٢ -

في صحيح البخاري بسنده قال: دعا أبو أسيد الساعدي رسول الله (ص) في عرسه، وكانت امرأته يومئذ خادمهم وهي العروس، قال سهل: تدرون ما سقت رسول الله (ص) ؟ أنقعت له تمرات من الليل فلما أكل سقته

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ضرب الدف ج ٣ / ١٦٧، وكتاب المغازي ج ٣ / ٨، وفي ترجمة الربيع بنت عفراء من طبقات ابن سعد ج ٨ / ٣٢٨ ط. اوربا، والاصابة ج ٤ / ٢٩٣، وسنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب الغناء والدف قريب منه ج ١ / ٦١١، وسنن ابي داود ج ٤ / ٢٨١ كتاب الأدب. قال ابن حجر: ثبت جواز خلوة رسول الله (ص) بالا جنبية والنظر إليها فتح الباري ج ١١ / ١٠٨.

---

[٢١٦]

اياه (١). ٣ - في صحيح البخاري بسنده عن سهل قال: لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي (ص) وأصحابه، فما صنع لها طعاما ولاقربه إليهم إلا امرأته أم أسيد، بلت تمرات في تور من حجارة من الليل فلما فرغ النبي (ص) من الطعام اماثته له فسقته، تتحفه بذلك (٢). ٤ - في صحيح البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة انها زفت امرأة إلى رجل من الانصار فقال نبي الله: يا عائشة ما كان معكم من لهو ؟ فان الانصار يعجبهم اللهو (٣). وفي رواية بسنن ابن ماجة بسنده عن ابن عباس قال: انكحت عائشة ذات قرابة لها من الانصار فجاء رسول الله (ص) فقال: أهديتم الفتاة ؟ قالوا: نعم، قال: أرسلتم معها من يغني ؟ قالت: لا. فقال رسول الله (ص): إن الانصار قوم فيهم غزل. فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم (٤). ٥ - في سنن ابن ماجة بسنده عن انس بن مالك: ان النبي (ص) مر ببعض

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب حق اجابة الوليمة ج ٣ / ١٧٠، وباب النقيع والشراب الذي لا يسكر ٣ / ١٧١، وكتاب الاشربة، باب الانتباذ في الاوعية والتور ج ٣ / ٢١٥، وباب نقيع التمر ما لم يسكر ج ٣ / ٢١٥، وصحيح مسلم، كتاب الاشربة، باب اباحة النبيذ الذي لم يشتد ج ٣ / ١٥٩٠. والتور: اناء يشرب فيه. (٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس ج ٣ / ١٧١، وسنن ابن ماجة، باب الوليمة، ج ١ / ٦١٦ قريب منه. واماثته، ماث الشئ: مرسه بيده حتى انحلت اجزاؤه. (٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها ٣ / ١٦٩. (٤) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب الغناء والدف ج ١ / ٦١٢. وغزل بالمرأة غزلا: حادثها وتودد إليها فهو غزل.

---

[٢١٧]

المدينة فإذا هو بجوار يضربن بدفهن يتغنين ويقلن: نحن جوارمن بني النجار ياحبذا محمد من جار فقال النبي (ص): الله يعلم إني لأحبكن (١). خلاصة الروايات أ - موجز الروايات: ان رسول الله (ص) كان في يوم عيد اضحى في بيت ام المؤمنين عائشة وبمحضره تغني جاريتان بما تقاولت الاوس والخزرج من اشعار في حرب بعاث، فدخل الصحابي ابو بكر وتأثم من انتشار صوت الغناء وزجر الجاريتين فغمزتهما ام المؤمنين عائشة فخرجتا. ب - موجز روايات الرقص: تعددت تعابير روايات اشتراك النبي (ص) وعائشة في مشاهدة رقص الحبشة في مسجد الرسول (ص). منها ما فيها ان الرسول (ص) كان يسترها بردائه كي تنظر إلى لعب الحبشة، وان عمر تحرج من عملهم وزجرهم، ولكن الرسول (ص) لا يتأثم وقال لهم: دونكم بني ارفدة حتى تعلم اليهود والنصارى ان في ديننا فسحة. وفي رواية: فجاء عمر فارتدعوا، وفي اخرى فطلع فتفرق الناس والصبيان فقال رسول الله: رأيت شياطين الانس والجن فروا من عمر. وفي رواية ان الرسول (ص) كان يسترها بردائه، وفي اخرى فقام عليهم وكنت انظر فيما بين اذنيه، وفي ثالثة كنت انظر بين اذنيه، وفي رابعة: فاقامني وراءه

---

(١) سنن ابن ماجة ج ١ / ٦١٢ كتاب النكاح باب الغناء والدف. وقريب منه في صحيح البخاري ج ٣ / ١٧١ كتاب النكاح باب (٧٦) ذهاب النساء والصبيان إلى العرس.

---

[٢١٨]

خدي على خده، وفي خامسة: انظر ما بين المنكبين إلى رأسه فجعل يقول: يا عائشة ما شبعت ؟ فأقول: لا ! لأنظر منزلتي عنده فلقد

رأيته يراوح بين قدميه. ج - موجز روايات اشتراك النبي في حفلة عرس تسقي العروس فيها الرجال والنساء. في رواية ان الرسول جلس على فراش العروس وكانت جويريات لهم يضربن بالدف ويندبن قتلى بدر، وفي ثانية ان العروس كانت تخدمهم وسقت رسول الله مع من سقت ماء التمر. وان النبي (ص) قال لعائشة في زفة عرس للأنصار: ما كان معكم من لهو فان الانصار يعجبهم اللهو. وفي اخرى قال لها: ارسلتم معها - العروس - من يغني ؟ فان الانصار قوم فيهم غزل. وفي رواية: ان النبي مر بجوار من الانصار يضربن بدفهن يتغنين، فقال النبي (ص): الله يعلم اني لأحبكن. دراسة روايات اشتراك النبي (ص) في اللهو: لست أدري هل أسس الرسول (ص) مسجده لاقامة الصلاة واقراء القرآن ونشر تعاليم الاسلام وادارة شؤون المسلمين أم أسسه ملهى للرقص واللهو ! ؟ ولست أدري هل كانت أم المؤمنين عائشة أطول قامة من الرسول (ص) ليتيسر لها أن تضع خدها على خده أم ان الرسول (ص) طأطأ هلا من قامته كل تلكم المدة وهو يراوح بين قدميه ! ؟ وكيف قالت: انها كانت جارية حديثة السن ؟ وفي ارشاد الساري (٨ / ١١٨): (ان ذلك كان بعد قدوم وفد الحبشة وان قدومهم كان سنة سبع ولعائشة يومئذ ست عشرة سنة فكانت بالغة). وكيف يضع الرسول (ص) خده تحت خد عائشة بمرأى من المشاهدين

[٢١٩]

وهو يسترها بردائه ؟ وكيف تفر شياطين الانس والجن من عمر ولا تفر من رسول الله (ص) ؟. وكيف خفيت كل هذه المتناقضات على أصحاب الصحاح ودونوها في كتب الصحاح والسنن ! ؟ وكيف خفي عليهم انها تناقض قوله تعالى: أ - في سورة لقمان: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل به عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) ؟ [الآية: ٦]. وقد سئل ابن مسعود عن قوله: (لهو الحديث)، فحلف بالله الذي لا إله إلا هو أنه الغناء، ثلاث مرات. وبهذا فسر الآية ابن عباس وعبد الله بن عمر وغيرهم من كبار المفسرين القدماء (١). ب - في سورة الاسراء في خطاب الله جل جلاله لابليس: (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) [الآية: ١٦٤]. عن ابن عباس وغيره: الغناء والمزامير (٢). وايضا تناقض ما روي: أ - عن عائشة: عن رسول الله (ص) قال: ان الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها. ب - ما روي عن مجاهد قال: كنت مع ابن عمر، فسمع صوت طبل فأدخل إصبعيه في اذنيه، ثم تنحى، حتى فعل ذلك ثلاث مرات. ثم قال: هكذا

(١) راجع: تفسير الطبري ج ٢١ / ٣٩ - ٤٠، وتفسير القرطبي ج ١٤ / ٥١ و ٥٢ و ٥٣، وتفسير ابن كثير ج ٣ / ٤٤١ - ٤٤٢، وتفسير الدر المنثور ج ٥ / ١٥٩ - ١٦٠. (٢) تفسير الطبري ج ١٥ / ٨١، وتفسير القرطبي ج ١٠ / ٢٨٨، وتفسير ابن كثير ج ٣ / ٤٩، وتفسير الألوسي ج ١٥ / ١١١.

[٢٢٠]

فعل رسول الله (ص) (١). ج - عن أبي موسى الاشعري مرفوعا: من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع الروحانيين، فقيل: ومن الروحانيون يا رسول الله ؟ قال: قراء أهل الجنة (٢). د - عن علي مرفوعا: تمسخ طائفة من أمتي قردة، وطائفة خنازير، ويخسف بطائفة، ويرسل على طائفة الريح العقيم بأنهم شربوا الخمر ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، وضربوا الدفوف (٣). ٥ - عن أنس مرفوعا: بعثني الله رحمة وهدى للعالمين، وبعثني بمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية (٤). * * *

(١) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب الغناء والدف، ح ١٩٠١، ج ١ / ٦١٣، وسنن أبي داود، كتاب الادب، باب كراهية الغناء والزمر ج ٤ / ٢٨١ - ٢٨٢. (٢) تفسير القرطبي ج ١٤ / ٥٤. (٣) الدر المنثور ج ٢ / ٣٢٤. (٤) ن. م، ثم ٢ / ٣٢٣.

[٢٢١]

ثانيا - روايات الناس اعلم بامور دنياهم من النبي (ص) في صحيح مسلم وسنن ابن ماجة ومسند أحمد واللفظ للاول بسندهم عن أنس بن مالك وأم المؤمنين عائشة: ان النبي (ص) مر بقوم يلقحون فقال: لو لم تفعلوا لصلح، قال: فخرج شيصا، فمر بهم فقال: ما لنخلكم ؟ قالوا: كذا وكذا، قال: انتم اعلم بأمر دنياكم (١). وفي صحيح مسلم ومسند أحمد وسنن ابن ماجة واللفظ للاول بسنده عن طلحة

عن أبيه قال: مررت مع رسول الله (ص) بقوم على رؤوس النخل. فقال: ما يصنع هؤلاء ؟ فقالوا: يلقحونه. يجعلون الذكر في الانثى فيتلقح. فقال رسول الله (ص): ما أظن يغني ذلك شيئا. قال فاخبروا بذلك فتركوه. فاخبر رسول الله (ص) بذلك فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فاني إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به. فإني لن أكذب على

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، ح ١٣٩ - ١٤١، ج ٤ / ١٨٣٦، دون ما ذكره (ص) من معايش الدنيا على سبيل الرأي ومسند أحمد ج ١ / ١٦٢ وسنن ابن ماجة ج ٢ / ٨٢٥ ح ٢٤٧٠ - ٢٤٧١، كتاب الرهون، باب تلقيح النخل. ولقح: ادخل من طلع ذكر النخل في طلع الانثى منه فتعلق والشيص: البسر الردئ الذي إذا يبس صار حشفا.

[٢٢٢]

الله عزوجل (١) دراسة الرواية: كل من يسكن بلادا يزرع فيها النخل يعلم ان للنخل ذكرا وانثى ويلقح طلع نخل الانثى بطلع النخل الذكر لتثمر، والا يصبح تمره شيصا لا يشتد نواه، وإذا جف تمره اصبح حشفا لا يصلح للطعام، فكيف خفي هذا الأمر على رسول الله (ص) وهو من سكان الجزيرة العربية، واشهر اشجارها النخيل ؟ وإذا كان الرسول (ص) لم يعلم ذلك كيف لم يخبره الانصار في المدينة بذلك ؟ والصحيح في الأمر ان إلغاية من اسناد هذا اشبر إلى الرسول (ص) ليسند إليه انه قال: (انتم اعلم بأمر دنياكم) ويروى عنه ان غيره من البشر اعلم بأمور الدنيا من رسول الله (ص). ومغزى هذه الرواية والروايات الاخرى معها فصل أمور الدنيا عن أمور الدين، وفقا للمقولة المشهورة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله). وان يبطل جميع سنة الرسول (ص) في ما عدا العبادات ! !

(١) صحيح مسلم ٤ / ١٨٣٥، ومسند احمد ١ / ١٦٢، وسنن ابن ماجة ٢ / ٨٢٥.

[٢٢٣]

ثالثا - روايات نسيان النبي (ص) آي من القرآن الكريم في صحيحي البخاري ومسلم بسند ما عن أم المؤمنين عائشة قالت: كان النبي (ص) يستمع قراءة رجل في المسجد فقال: رحمه الله لقد أذكرني آية كنت نسيتها. وفي لفظ آخر: يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد اسقطتها من سورة كذ وكذا. وفي لفظ البخاري: انسيتها من سورة كذا وكذا (١). دراسة الرواية: لست أدري كيف يقول الرسول (ص) ذلك ؟ وقد جاء في صحيحي البخاري ومسلم بسندهما عن ابن مسعود انه قال: بئسما لأحدهم يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل هو نسي، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها (٢).

(١) صحيح البخاري ج ٣ / ١٥٥ باب نسيان القرآن من كتاب فضائل القرآن وصحيح مسلم ج ١ / ٥٤٣ من باب فضائل القرآن من كتاب صلاة المسافرين وقصرها ومسند أحمد ج ٦ / ١٢. (٢) صحيح البخاري، كتاب فضئل القرآن، باب استذكار القرآن ج ٣ / ١٥٥، وقريب منه لفظ أبي موسى الاشعري وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضائل القرآن ج ١ / ٥٤٤ واللفظ له =

[٢٢٤]

وكيف نسي الرسول (ص) آيات من القرآن ؟ وقد قال سبحانه: أ - في سورة الاعلى: (سنقرئك فلا تنسى) [الآية: ٧]. ب - في سورة القيامة: (لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه) [الآيات: ١٦ - ١٩]. ج - في سورة طه: (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) [الآية: ١١٤]. وجاء في تفسير الآيات: كان النبي (ص) إذا نزل عليه جبرائيل عليه السلام بالوحي يقرأه مخافة ان ينساه، فكان لا يفرغ جبرائيل عليه السلام من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله، فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئا (١). وكيف ينسى الرسول (ص) آيات من القرآن الكريم ؟ وقد جاء في صحيح البخاري وسنن ابن ماجة ومسند ابن حنبل عن فاطمة عليه السلام انها قالت: اسر إلي النبي (ص) ان جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة وانه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضور اجلي (٢). كيف ينسى الرسول (ص) آيات من القرآن الكريم وجبرائيل يعارضه القرآن في كل سنة مرة ! ؟ وكيف ينسى الرسول (ص) آيات القرآن الكريم وكان إذا نزل عليه شئ =

وأشد تفصيا: أشد انفصالا وأشد تفلتا، والنعم: الابل والبقر والغنم، والمراد هنا الابل خاصة لانها التي تعقل. (١) مجمع البيان ج ١٠ / ٤٧٥ والكشاف ج ٤ / ٢٤٣ وتفسير الميزان ج ٢٠ / ٣٩٠ وراجع: تفسير السيوطي ج ٤ / ٣٣٩. (٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن. باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي (ص) ج ٣ / ١٥١ - ١٥٢، وسنن ابن ماجة، كتاب الصيام، باب ما جاء في الاعتكاف ج ١ / ٥٦٢، ومسند احمد ج ٦ / ٢٨٢ وج ١ / ٤٠٥.

---

[٢٢٥]

من القرآن يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذه الاية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ؟ وكان ذلك القرآن في بيته وأوصى ابن عمه عليا ان يجمعه بعد وفاته ففعل. وكيف يسقط الرسول (ص) آيات من القرآن وكان كل صحابي يمارس الكتابة يكتب ما نزل من القرآن ؟ فقد كان خباب بن الارت يقرئ بمكة اخت عمر بن الخطاب وختنه القرآن (١) وكان عند أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة وعبد الله بن مسعود وأبي وغيرهم مصاحف مكتوبة (٢).

---

(١) راجع: فصل من تاريخ القرآن في المجلد الأول من القرآن الكريم وروايات المدرستين. (٢) راجع: فصل اختلاف المصاحف من المجلد الثاني من القرآن الكريم وروايات المدرستين.

---

[٢٢٦]

رابعا - روايات من لعنه النبي (ص) وسبه كان له رحمة وطهورا نورد روايات هذا الباب حسب سياق مسلم في صحيحه (١) قال: باب من لعنه النبي (ص) أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرا ورحمة. وروى بسنده: ١ - عن عائشة قالت: دخل على رسول الله (ص) رجلان فكلماه بشئ لا أدري ما هو فأغضباه، فلعنهما وسبهما. فلما خرجا قلت: يا رسول الله ! من أصاب من الخير شيئا ما أصابه هذان. قال: وما ذاك ؟ قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما. قال: أو ما علمت ما شارطت عليه ربي ؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرا. وفي لفظ آخر: (نخلوا به، فسبهما ولعنهما وأخرجهما...) الحديث. ٢ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): اللهم إنما أنا بشر، فأيما

---

(١) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج ٤ / ٢٠٠٧ - ٢٠١٠ كتاب البر والصلة باب من لعنه النبي (ص) الحديث ٨٨ إلى ٩٧ من الباب. وفي مسند احمد ٦ / ٤٥ وكنز العمال ٢ / ١٢٣.

---

[٢٢٧]

رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة. ٣ - عن جابر، عن النبي (ص) مثله. إلا أن فيه: زكاة وأجرا. قال المؤلف: مثله. أي مثل حديث أبي هريرة السابق. ٤ - عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله (ص) يقول: اللهم فأيما عبد مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة. ٥ - عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: اللهم ! إني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه، فايما مؤمن سببته أو جلدته فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة. ٦ - عن جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: إنما أنا بشر وإني اشترطت على ربي عزوجل، أي عبد من المسلمين سببته أو شتمته، أن يكون ذلك له زكاة وأجرا. ٧ - عن أنس بن مالك قال: كانت عند أم سليم يتيمة وهي أم أنس (١). فرأى رسول الله (ص) اليتيمة. فقال: أنت هيه (٢) ؟ لقد كبرت لا كبر سنك، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لك يا بنية ؟ قالت الجارية: دعا علي نبي الله (ص) أن لا يكبر سني، فالان لا يكبر سني أبدا. أو قالت قرني (٣). فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها (٤) حتى لقيت رسول الله (ص)، فقال لها رسول الله (ص): ما لك يا أم سليم ؟ فقالت: يا نبي الله

---

(١) يعني أم سليم هي أم أنس. (٢) (هيه): بإسكان الهاء، وهي هاء السكت. (٣) (قرني) قال القاضي: السن والقرن واحد. يقال سنه وقرنه، مماثله في العمر. فكأنه قال لها: لا طال عمرك، لأنه إذا طال عمرها طال عمر أصل قرنها. (٤) (تلوث خمارها): أي تديره على رأسها.

---

[٢٢٨]
أدعوت على يتيمتي ؟ قال: وما ذاك يا أم سليم ؟ قالت: زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها. قال: فضحك رسول الله (ص) ثم قال: يا أم سليم ! أما تعلمين أن شرطي على ربي أني اشترطت على ربي فقلت: انما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فايما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن مجعلها له طهورا وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة. ٨ - عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله (ص) فتواريت خلف باب، قال: فجاء فحطأني حطأة (١) وقال: اذهب وادع لي معاوية قال: فجئت فقلت: هو يأكل. قال: ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية قال: فجئت فقلت: هو يأكل لا فقال: لا أشبع الله بطنه. وفي لفظ آخر: فجاء رسول الله (ص) فاختبأت منه. بالاضافة إلى ما رواه مسلم في هذا الباب في مسند أحمد. ٩ - عن عائشة قالت: ان امداد العرب كثروا على رسول الله (ص) حتى غموه، وقام إليه المهاجرون يفرجون عنه، حتى قام على عتبة عائشة فرهقوه، فأسلم رداءه في أيديهم ووثب على العتبة فدخل وقال: اللهم العنهم، فقالت عائشة: يا رسول الله هلك القوم ! فقال: كلا والله يا بنت أبي بكر، لقد اشترطت على ربي عزوجل شرطا لا خلف له، فقلت: انما انا بشر اضيق كما يضيق به البشر، فأي المؤمنين بدرت إليه مني بادرة فاجعلها له كفارة (٢). وفي لفظ آخر: لقد اشترطت على ربي شرطا لا خلف له، فقلت: اللهم انما انا بشر اغضب كما يغضبون، وأجد كما يجدون، فأي المسلمين ضربت أو سببت

---
(١) (فحطأني حطأة): فسر الراوي حطأني: أي قفدني، هو الضرب باليد مبسوطة، بين الكتفين. (٢) مسند احمد ج ٦ / ١٠٧ بسنده إلى عروة. وغمه: غطاه. احزنه.
---

[٢٢٩]
أو لعنت أو آذيت فاجعلها له مغفرة ورحمة وقربة تقربه بها يوم القيامة (١). وفي رواية اخرى: يا عائشة اما شعرت ما عاهدت عليه ربي فيما بيني وبينه ؟ قلت: يا رب اني بشر اغضب كما يغضب البشر، فأي المسلمين دعوت عليه فاجعله عليه صلاة (٢). وفي رواية أخرى: اما علمت يا عائشة اني قلت لربي فيما بيني وبينه انما انا بشر اغضب فأي دعوة دعوت بها على غضب على احد من امتي أو احد من أهل بيتي أو أحد من ازواجي فاجعلها له بركة ومغفرة ورحمة وطهورا (٣) ؟ ١٠ - عن عائشة قالت: كان رسول الله (ص) يرفع يديه يدعو حتى اسمع: اللهم انما انا بشر فلا تعاقبني بشتم رجل من المسلمين ان آذيته (٤). ١١ - عن عائشة (٥) قالت: دخل علي رسول الله (ص) في بيتي في أزار ورداء فاستقبل القبلة وبسط يديه وقال: اللهم انما انا بشر فأي عبد من عبادك ضربت أو آذيت فلا تعاقبني فيه. وفي رواية (٦) أيما رجل من المؤمنين آذيته وشتمته فلا تعاقبني فيه. وفي رواية يرفع يديه يدعو حتى لاسأم له مما يرفعهما يدعو: اللهم فانما أنا بشر فلا تعذبني بشتم رجل شتمته أو آذيته (٧). ١٢ - عن عائشة قالت: دخل علي النبي (ص) بأسير فلهوت عنه فذهب

---
(١) كنز العمال، الحديث ٣٠٣٩، ٣ / ٣٤٨ حم وابن عساكر عن عائشة. (٢) كنز العمالى، الباب الثاني في الأخلاق والأفعال المذمومة، ح ٣٠٤١، ٣ / ٣٤٩. (٣) كنز العمال، الباب الثاني في الأخلاق والأفعال المذمومة، ح ٣٠٢٧، ٣ / ٣٤٧. (٤) مسند أحمد ٦ / ١٦٠ عن عكرمة. (٥) مسند أحمد ج ٦ / ١٣٣ و ١٨٠. (٦) مسند أحمد ج ٦ / ٢٥٨ وراجع ٢٥١. (٧) مسند أحمد ج ٦ / ٢٢٥، عن عكرمة، عن عائشة.
---

[٢٣٠]
فجاء النبي (ص) فقال: ما فعل الاسير. قالت: لهوت عنه مع النسوة فخرج. فقال: ما لك قطع الله يدك أو يديك. فخرج فآذن به الناس فطلبوه فجاؤا به فدخل علي وأنا أقلب يدي فقال: ما لك أجننت ؟ قلت: دعوت علي فأنا أقلب يدي أنظر أيهما يقطعان فحمد الله وأثنى عليه ورفع يديه مدا وقال: اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه فاجعله له زكاة وطهور (١). دراسة الروايات: لست أدري كيف تصح هذه الروايات وقد قال الله سبحانه في نعت رسوله (ص): أ - في سورة القلم: (ن

؟ * والقلم وما يسطرون * ما انت بنعمة ربك بمجنون * وان لك لأجرا غير ممنون * وانك لعلى خلق عظيم) [الآية: ١ - ٤]. ب - في سورة آل عمران: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك... [الاية: ١٥٩]. ج - في سورة التوبة: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) [الاية: ١٢٨]. كيف تصح تلكم الروايات وقد قال رسول الله (ص): بعثت لاتمم حسن الاخلاق (٢). وقال أنس: كان النبي (ص) أحسن الناس خلقا (٣).

(ا) مسند أحمد ٦ / ٥٢. (٢) موطأ مالك، كتاب حسن الخلق ج ٢ / ٩٠٤، ومسند أحمد ج ٢ / ٣٨١، ومستدرك الحاكم ج ٢ / ٦١٣. (٣) صحيح البخاري، كتاب الادب، باب الكنية للصبي ٤ / ٥٥، وصحيح مسلم، كتاب =

---

[٢٣١]

وكيف تصح تلكم الروايات ؟ وجاء أن الصحابي عياض بن حماد سأل الرسول (ص) بعد أن أسلم فقال: يا نبي الله الرجل من قومي من أسفل مني يشتمني، أفأنتصر منه ؟ فقال (ص): المستبان شيطانان يتكاذبان (١). وعنه أيضا - ان رسول الله (ص) قال: إثم المستبين ما قالا على البادئ حتى يعتدي المظلوم (٢). وعن ثابت بن الضحاك - وكان من أصحاب الشجرة - ان رسول الله (ص) قال:... ومن لعن مؤمنا فهو كقتله ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله (٣). وفي حديث ابن عباس ان رجلا نازعته الريح رداءه فلعنها فقال النبي (ص): لا تلعنها... من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه (٤). وفي حديث ابن مسعود - وكان قد خرج من دار لعنوا جارية لهم تأخرت في حاجتهم - ان النبي (ص) قال: ان اللعنة إلى من وجهت إليه فان اصابت إليه =

المساجد، باب جواز النافلة في الجماعة الحديث ٢٦٧، ١ / ٤٥٧، وباب استحباب تحنيك المولود الحديث ٣٠، وسن ابي داود، كتاب الادب ٤ / ٢٤٦. (١) مسند أحمد ج ٤ / ١٦٢ وطبقات ابن سعد ج ٧ / ٣٦ ترجمة عياض بن معاد بن محمد بن سليمان، وكنز العمال ج ٣ / ٣٤١ ط. حيدر آباد الدكن. (٢) مسند أحمدج ٢ / ٢٣٥ و ٤٨٨ و ٥١٧ وج ٤ / ١٦٢ و ٢٦٦، وصحيح مسلم، كتاب البر، الحديث ٦٨، ج ٤ / ٢٠٠٠، وسنن ابن أبي داود ج ٤ / ٢٧٤ كتاب الادب باب ٤٦،، وصحيح الترمذي، كتاب البر باب ٥١، ج ٨ / ١٥١. (٣) صحيح البخاري، كتاب الادب، باب ما ينهى من السباب واللعن ٤ / ٣٩، ومسند ابي عوانة ج ١ / ٤٤ - ٤٥ واللفظ للبخاري. (٤) اخرجه ابو داود في سننه، كتاب الادب، باب في اللعن ج ٤ / ٢٧٨، وكنز العمال ٢ / ٣٤٣.

---

[٢٣٢]

سبيلا... وإلا... فيقال لها: ارجعي من حيث أتيت... الحديث (١). وعن ابن مسعود ايضا قال رسول الله (ص): ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش البذئ (٢). وعن ابي الدرداء، قال رسول الله (ص): لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء (٣). وقال: أنهاك ان تكون لعانا (٤). وقال: لعن المؤمن كقتله (٥). وقال: لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعانا (٦). وقال: لا يجتمع أن يكونوا لعانين صديقين (٧). وتال: يا أبا بكر لعانين وصديقين لا ورب الكعبة. وفي حديث أم المؤمنين عائشة أنها كانت مع النبي (ص) فلعنت بعيرا لها فأمر به النبي (ص) أن يرد وقال: لا يصحبني شئ ملعون (٨).

---

(١) اخرجه احمد في مسنده ج ١ / ٤٠٨ الحديث ٣٨٧٦ والكنز ج ٣ / ٣٥١ وفيه عن عبد الله وابي الدرداء مثله. (٢) اخرجه أحمد في مسنده ج ١ / ٤٠٥ الحديث ٣٨٣٩ وقريب منه ثلاث روايات في المستدرك ج ١ / ١٢ - ١٣. (٣) سنن ابي داود ج ٤ / ٢٧٨ كتاب الادب باب في اللعن والكنز ج ٣ / ٣٥٠ ط. حيدر آباد ١٣٧٠ ه عن مسند احمد ومسلم والمستدرك ج ١ / ٤٨. (٤) كنز العمال ج ٢ / ١٢٥ وج ٣ / ٣٥٠ ط. حيدر آباد ابن سعد عن جرموز الجهني عن عبد الله بن عامر وابن مسعود، وثابت بن الضحاك الانصاري. (٥) كنز العمال ج ٣ / ٣٥٠ الخرائطي في مبادئ الاخلاق. (٦) كنز العمال ج ٣ / ٣٥٠ عن مستدرك الحاكم عن ابن عمر. (٧) كنز العمال ج ٣ / ٣٥٠ عن مستدرك الحاكم عن ابي هريرة عن عائشة. (٨) مسند أحمد ج ٦ / ٧٢ و ٢٥٧ - ٢٥٨ والكنز ج ٣ / ٣٥١ عن ابي الجوزاء.

---

[٢٣٣]

وفي رواية انها ركبت جملا فلعنته، فقال لها: " لا تركبيه " (١). وفي صحيح مسلم ان امرأة من الانصار لعنت ناقتها، فقال رسول

الله (ص): خذوا ما عليها ودعوها فانها ملعونة (٢). كيف كان النبي (ص) يضيق صدره فيلعن المؤمنين ؟ وقد قال: سباب المسلم فسوق، وقال: من لعن مؤمنا فهو كقتله، وقال: من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة إليه. كيف كان النبي (ص) يضيق صدره فيلعن هذا وذاك ؟ وقد قالت عائشة: ما لعن رسول الله (ص) مسلما من لعنة تذكر، ولا انتقم لنفسه شيئا يؤتى إليه إلا ان تنتهك حرمات الله عزوجل، ولا ضرب بيده شيئا قط إلا ان يضرب بها في سبيل الله، وما سئل شيئا قط فمنعه إلا ان يسأل مأثما، فانه كان ابعد الناس منه، ولا خير بين أمرين قط إلا اختار أيسر هما (٣). وقالت: ما ضرب رسول الله (ص) خادما له قط ولا امرأة له قط، ولا ضرب بيده إلا ان يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شئ فانتقمه من صاحبه إلا ان تنتهك محارم الله عزوجل فينتقم لله عزوجل، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما، إلا ان يكون مأثما فان كان مأثما كان أبعد الناس منه (٤).

---

(١) مسند أحمد ج ٦ / ١٣٨ عن يحيى بن وثاب. (٢) صحيح مسلم ج ٤ / ٢٠٤ كتاب البر رالصلة والاداب باب النهي عن لعن الدواب والكنز ج ٣ / ٣٥١ وسن الدارمي ج ٢ / ٢٨٨. (٣) في مسند احمد ج ٦ / ١٣٠ وطبقات ابن سعد ج ١ / ٢ / ٩١ ط. اوربا، واللفظ لها. والمستدرك ج ٢ / ٦١٣ وصحيح البخاري ج ٢ / ١٨١ في باب صفة النبي من كتاب المناقب وج ٤ / ١١٥ باب اقامة الحدود وصحيح مسلم ج ٧ / ٨٠ باب مباعدته للآثام. (٤) مسند أحمد ج ٦ / ٣٢ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١٦٢ و ١٨٢ و ٢٠٦ و ٢٢٣ =

---

[٢٣٤]

وفي صحيح البخاري عن عائشة: ان يهودا أتوا النبي (ص) فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم. فقال النبي (ص): مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش... الحديث (١). ولا بد للنبي الذي يقول: بعثت لاتمم مكارم الاخلاق أن يكون لينا عف اللسان ولو كان فظا غليظ القلب لانفضوا من حوله. عجيب أمر هذه الاحاديث التي تحط من قدر النبي العظيم (ص) وتزيل كل ثقة به وبلعنه ودعائه وحديثه ! ويزود هذا العجب إذا ما راجعنا صحيح مسلم " باب من لعنه النبي أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة " فان مسلم قد فتح هذا الباب بحديث أم المؤمنين عائشة وقولها: دخل على رسول الله رجلان - إلى قولها -: إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة واجرا (٢). وختمه بحديث ابن عباس: ان الرسول أرسله إلى معاوية وقال له: اذهب فادع لي معاوية قال: فجئت فقلت: هو يأكل فقال: لا أشبع الله بطنه. اذن فهذا الدعاء من النبي على معاوية زكاة له واجر ورحمة وطهور لمعاوية ولأبيه أبي سفيان حينما قال رسول الله (ص) فيه وهو يقود أباه أبا سفيان: لعن الله القائد والمقود، ويل لامتي من معاوية ذي الاشباه (٣). =

و ٢٢٩ و ٢٣٢ و ٢٦٢ و ٢٨١ وقريبا من الروايات الثلاث في الترمذي ج ٢ / ٥٢٦. (١) صحيح البخاري ج ٤ / ٣٨ كتاب الادب باب لم يكن النبي (ص) فاحشا ولا متفحشا وراجع: ص ٣٩ منه باب ما ينهى من السباب واللعن وج ٤ / ٦١ و ٦٧ كتاب الاستئذان باب كيف يرد على أهل المذمة عن ابي مليكة وعروة عن عائشة. والسام: الموت. (٢) صحيح مسلم ج ٨ / ٢٤ - ٢٧ وتيسير الومول ج ٣ / ٢٩٢. (٣) اخرج ابن سعد في طبقاته بترجمة نصر بن عاصم الليثي عن ابيه قال دخلت مسجد رسول الله (ص) واصحاب النبي (ص) يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، قلت: =

---

[٢٣٥]

وما جاء من لعن النبي (ص) للحكم وما ولد، فيما اورده من حديث زكاة لهم وأجر ورحمة وطهور ! ! ومنها ما رواه عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا اتي به النبي (ص) فدعا له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون (١). وما رواه عمرو بن مرة الجهني قال: استأذن الحكم بن ابي العاص على النبي (ص) فعرف صوته فقال: ائذنوا له حية أو ولد حية عليه لعنة الله وعلى كل من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم، وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا ويوضعون في الآخرلة -، ذوو مكر وخديعة يعظمون في الدنيا وما لهم في الاخرة من خلاق (٢). وما جاء في حديث ابن عمر: بينما النبي (ص) يساره -

يعني يسار عليا - إذ رفع رأسه كالفزع قال: فدع بسيفه الباب فقال لعلي: اذهب فقده كما تقاد الشاة =

ما هذا ؟ قالوا: معاوية مر قبيل هذا اخذا بيد ابيه ورسول الله (ص) على المنبر فخرجا من المسجد فقال رسول الله (ص) فيهما قولا، ولم يصرح ابن سعد بقول رسول الله وانما صرح به ابن الاثير في اسد الغابة وابن حجر في الاصابة بترجمة عامم الليثي حيث قالا: روى عنه ابنه نصر أنه قال: دخلت مسجد النبي (ص) واصحاب رسول الله يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، قلت: مم ذاك ؟ قالوا: ان رسول الله كان يخطب آنفا فقام رجل فأخذ بيد ابنه ثم خرجا، فقال رسول الله (ص): لعن الله القائد والمقود، ويل لهذه الامة من فلان ذي الاشباه. ان ابن سعد ذكر إسم معاوية في الرواية ولم يذكر ما قاله الرسول صونا لكرامة معاوية وابي سفيان، وابن الاثير وابن حجر ذكرا قول الرسول (ص) ولم يذكرا اسم القائد والمقود. راجع: طبقات ابن سعد ج ٧ / ٧٨ واسد الغابة ج ٣ / ٧٦ والاصابة ج ٢ / ٢٣٧ - ٢٣٨ الترجمة ٤٣٥٥. (١) المستدرك ج ٤ / ٤٧٩ قال: وهذا حديث صحيح الاسناد. (٢) المستدرك ج ٤ / ٤٨١ وقال: وهذا حديث صحيح الاسناد، والكنز ج ١١ / ٣٤٩ كتاب الفتن الباب الرابع ط. الهند، ومنتخبه ج ٥ / ٤٥٣.

[٢٣٦]

إلى حالبها، فإذا علي يدخل الحكم بن ابي العاص آخذا باذنه ولها زمة حتى اوقفه بين يدي النبي (ص) فلعنه نبي الله (ص) ثلاثا... الحديث (١). وما روته عائشة قالت: كان النبي (ص) في حجرته فسمع حسا فاستنكره، فذهبوا فنظروا فإذا الحكم كان يطلع على النبي (ص) فلعنه النبي (ص) وما في صلبه ونفاه عاما (٢). وما رواه محمد بن كعب القرظي قال: أشهد لقد سمعت رسول الله (ص) يلعن الحكم وما ولد (٣). وما ورد عن عبد الله بن الزبير قال: أشهد لسمعت من رسول الله (ص) يلعن الحكم وما ولد (٤). وقال وهو يطوف بالكعبة: ورب هذه البنية للعن رسول الله (ص) الحكم وما ولد (٥). وقال وهو على المنبر: ورب هذا البيت الحرام والبلد الحرام ان الحكم بن أبي العاص وولده ملعونون على لسان محمد (ص) (٦). وما قاله الحسن لمروان حين قال مروان للحسن والحسين: أهل بيت ملعونون، فغضب الحسن وقال: أقلت أهل بيت ملعونون ؟ فوالله لقد لعنك الله على لسان نبيه (ص) وأنت في صلب أبيك (٧). قال ابن اسحاق: ولما فرغ رسول الله (ص) من رد سبايا حنين إلى أهلها (١) المستدرك ج ٤ / ٤٧٩ وقال: صحيح الاسناد، والكنز ج ١١ / ٣٥٢ ومنتخبه بهامش مسند احمد ج ٥ / ٤٥٣. والزمة: ما يقطع من اذن الشاة فيترك معلقا. (٢) كنز العمال، كتاب الفتن، الباب الرابع ج ١١ / ٣٥١. (٣) الكنز ج ١١ / ٣٥٤ ومنتخبه ج ٥ / ٤٥٤ بهامش مسند أحمد. (٤ و ٥ و ٦ و ٧) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ٤٥٣ وكنز العمال ج ١١ / ٣٤٩ - ٣٥١ كتاب الفتن الباب الرابع.

[٢٣٧]

ركب، واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله ! اقسم علينا فيأنا من الابل والغنم، حتى ألجوه إلى شجرة فاختطفت عنه رداءه، فقال: ردوا علي ردائي أيها الناس ! فوالله ان لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما لقيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا... الحديث (١). ولم نقل ما قلنا اعتباطا وانما عرفنا ذلك مما قاله الذهبي (ت ٧٤٨ ه) حيث قال: قلت: لعل هذه منقبة لمعاوية لقول النبي (ص): اللهم من لعنته أو شتمته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة (٢). وجاء بعده ابن كثير (ت ٧٧٤ ه) وقال دونه: انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه واخراه. وهذا لفظ أبن كثير: عن ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله (ص) قد جاء، فقلت: ما جاء إلا إلي، فاختبأت على باب فجاءني فحطاني خطاة أو خطاتين ثم قال: اذهب فادع لي معاوية - وكان يكتب الوحي - قال: فذهبت فدعوته له، فقيل: إنه يأكل. فأتيت رسول الله (ص) فقلت: إنه يأكل، فقال: اذهب فادعه، فأتيته الثانية فقيل: إنه يأكل، فأخبرته، فقال في الثالثة: لا أشبع الله بطنه. قال: فا شبع بعدها. وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه. أما في دنياه، فإنه لما صار إلى الشام أميرا كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا، ويقول: والله ما أشبع وإنما أعيا، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك. وأما في الاخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة، أن رسول الله (ص)

قال: اللهم إنما أنا بشر فايما عبد سببته أو جلدته أو

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ / ١٣٨ - ١٣٩. (٢) تذكرة الحفاظ ص ٦٩٨ - ٧٠١.

---

[٢٣٨]

دعوت عليه، وليس لذلك أهلا، فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة. فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك (١). انتهى كلام ابن كثير. وأراد بما قال: أن دعاء الرسول (ص) على معاوية دعاء له في الدنيا والاخرة، أما في الدنيا فبما ذكره من مزية كثرة الأكل للملوك، وأما في الآخرة فاعتمد الأحاديث التي نسبت إلى رسول الله (ص) أنه كان يلعن المؤمنين - معاذ الله - ودعا أن يكون لهم زكاة وطهورا، وأن مسلما حين أورد هذا الحديث في آخر هذا الباب أثبت لمعاوية رضوانا وتقربا إلى الله يوم القيامة. ومما قاله ابن حجر الهيتمي في كتابه الصواعق المحرقة: ولعنته (ص) للحكم وابنه لا تضرهما لأنه (ص) تدارك ذلك بقوله مما بينه في الحديث الآخر: انه بشر يغضب كما يغضب البشر، وانه سأل ربه ان من سبه ولعنه، أو دعا عليه ان يكون ذلك رحمة وزكاة وكفارة وطهارة (٢). * * * كان ذلكم ما جاء في روايات مصادر مدرسة الخفاء من صفات الرسول (ص) وسلوكه. وفي ما يأتي نذكر ما جاء في مصادر مدرسة أهل البيت عن أئمة أهل البيت في صفات النبي (ص)، وأهل البيت أدرى بما فيه:

---

(١) البداية والنهاية ج ٨ / ١١٩ - ١٢٠. (٢) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٧٩ ط. الاولى.

---

[٢٣٩]

صفات النبي (ص) في روايات أهل البيت: في معاني الأخبار للصدوق بسنده عن ابن أبي هالة التيمي، عن الحسن بن علي (ع) وبطريق آخر عن الرضا، عن آبائه، عن علي بن الحسين، عن الحسن بن علي (ع). وبطريق آخر عن رجل من ولد أبي هالة، عن أبيه، عن الحسن بن علي (ع). قال: سألت خالي " هند بن أبي هالة " وكان وصافا للنبي (ص)، وأنا أشتهي أن يصف لي منه شيئا لعلي أتعلق به. فقال: كان رسول الله (ص) فخما مفخما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، ان انفرقت عقيصته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم. كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادنا متماسكا، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، عريض الصدر، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك. أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين. سائل الأطراف، سبط القصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، يخطو تكفؤا، ويمشي هونا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط في صبب، وإذا التفت التفت جميعا. خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من

---

[٢٤٠]

نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يبدر من لقيه بالسلام. قال (ع): فقلت له: صف لي منطقه فقال: كان (ص) متواصل الأحزان دائم الفكر، له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، يتكلم بجوامع الكلام فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثا، ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئا، غير أنه كان لا يذم ذواقا ولا يمدحه. ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيئ حتى ينتصر له، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه. جل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام (١). قال الصدوق: إلى هنا رواية القاسم بن المنيع، عن إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد، والباقي رواية عبد الرحمن إلى آخره. قال الحسن (ع): وكتمتها الحسين (ع) زمانا ثم حدثته به فوجدته قد سبقني إليه، فسألته عنه فوجدته قد سأل أباه عن مدخل النبي (ص) ومخرجه، ومجلسه، وشكله، فلم يدع منه شيئا. قال الحسين (ع):

سألت أبي عن مدخل رسول الله (ص)، فقال: كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك، فإذا آوى إلى منزله جزء دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه. ثم جزء جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك بالخاصة على العامة ولا يدخر عنهم منه شيئا، وكان من سيرته في جزء الأمة ايثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم

---

(١) الغمام: السحاب، يقال: يفتر عن مثل حب الغمام: أي يكشف عن أسنان بيض كالبرد.

---

[٢٤١]

والأمة من مسألته عنهم وبإخبارهم بالذي ينبغي، ويقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته، فانه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يقدر على إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد عثرة، يدخلون روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة. قال: فسألته (ع)، عن مخرج رسول الله (ص) كيف كان يصنع فيه ؟ فقال (ص): كان رسول الله (ص) يخزن لسانه إلا عما كان يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهنه. معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا ويميلوا، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة وموازرة. قال: فسألته (ع) عن مجلسه، فقال: كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، لا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك. ويعطي كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب أحد من جلسائه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إلا بها أو ميسور من القول. قد وسع الناس منه خلقه وصار لهم أبا وصاروا عنده في الخلق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء، وصدق وأمانة. ولا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه المحرم. ولا تنثى فلتاته (١)، متعادلين

---

(١) نثى الخبر: حدث به وأشاعه. و " لا تنثى فلتاته ": أي لا يحدث بما وقع في مجلسه من الهفوات والزلات ولا تذاع بين الناس.

---

[٢٤٢]

متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون الكبير ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب. فقلت: كيف كان سيرته في جلسائه ؟ فقال (ع): كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاك ولا فحاش ولا عياب ولا مداح. يتغافل عما لا يشتهي فلا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه. قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والاكثار، وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يطلب عثراته ولا عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث. من تكلم أنصتوا له، حتى يفرغ. حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في مسألته ومنطقه، حتى ان كان أصحابه يستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه. ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام. قال: فسألته (ع) عن سكوت رسول الله (ص)، فقال (ع): كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير. فأما التقدير ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس. وأما تفكره ففيما يبقي ويفنى، وجمع له الحلم والصبر، فكان لا يغضبه شئ ولا يستفزه، وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالمحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده الرأي في صلاح أمته، والقيام فيما جمع له خير الدنيا والاخرة (١). * * *

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٦ / ١٤٨ - ١٥٣، ومعاني الأخبار ص ٧٩ - ٨٣ ط. ايران (وحيدي)، وعيون أخبار الرضا ج ١ / ٣١٦.

---

[٢٤٣]

كان ذلكم ما روي عن أئمة أهل البيت في سيرة الرسول (ص) وصفاته في مقابل ما روي عن ام المؤمنين عائشة فيهما. وفي ما يأتي ندرس ما روي في سيرة الرسول (ص) عن ام المؤمنين عائشة وغيرها من الصحابة، ونرى ان تلكم الروايات افتري عليهم روايتها.

---

[٢٤٥]

الباب الرابع ما افتري به على ام المؤمنين عائشة وغيرها من الصحابة أ - روايات بدء نزول الوحي ب - روايات بدء الدعوة ج - روايات اسطورة الغرانيق

---

[٢٤٧]

أولا - روايات بدء نزول الوحي أ - عن أم المؤمنين عائشة: في صحيحي البخاري ومسلم ومسند أحمد وتفاسير الطبري والقرطبي وابن كثير والسيوطي وسيرة ابن هشام وتاريخ الطبري واللفظ للأول بسنده عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله (ص) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد في الليالي ذوات العدد - قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم) فرجع بها رسول الله (ص) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب

---

[٢٤٨]

الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله (ص) خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ياليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله (ص): أو مخرجي هم ؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي (١). ب - عن ابن عباس: في طبقات ابن سعد بسنده عن ابن عباس أن النبي (ص) قال: يا خديجة إني أسمع صوتا وأرى ضوءا، وإني أخشى أن يكون في جنن، فقالت: لم يكن الله ليفعل بك ذلك يابن عبد الله، ثم أتت ورقة بن نوفل فذكرت له ذلك، فقال: إن يك صادقا فهذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن يبعث وأنا حي فسأعزره وأنصره

---

(١) صحيح البخاري ج ١ / ٣ وج ٣ / ١٤٥ باب بدء الوحي ط. مصر سنة ١٣٢٧. وصحيح مسلم ط. بيروت دار احياء التراث العربي، افسيت على الطبعة الاولى، سنة ١٣١٣ ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م. ومسند أحمد ج ٦ / ٢٢٣ و ٢٣٢ - ٢٣٣ ط. مصر، سنة ١٣١٣ وتفسير الطبري ج ٣٠ / ١٦١ ط. بولاق، سنة ١٣٩٢. وتاريخ الطبري ج ١ / ١٤٧ - ١٤٨ ط. اوربا وتفسير القرطبي ج ٢٠ / ١١٨ ط. مصر سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م وتفسير ابن كثير ج ٤ / ٥٢٧ ط. مصر وتفسير السيوطي ج ٦ / ٣٦٨ ط. مصر، سنة ١٣١٦ هـ

---

[٢٤٩]

وأومن به (١). وفي رواية ثانية بسنده عن عكرمة، عن ابن عباس قال: فبينا رسول الله (ص) على ذلك وهو بأجياد، إذ رأى ملكا واضعا إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح: يا محمد، أنا جبريل، يا محمد، أنا جبريل، فذعر رسول الله (ص) من ذلك، وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء، فرجع سريعا إلى خديجة فأخبرها خبره وقال: يا خديجة والله ما أبغضت بغض هذه الأصنام

شيئا قط ولا الكهان، وإني لأخشى أن أكون كاهنا، قالت: كلا يابن عم لا تقل ذلك، فإن الله لا يفعل ذلك بك أبدا، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وإن خلقك لكريم، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، وهي أول مرة أتته، فأخبرته ما أخبرها به رسول الله (ص) فقال ورقة: والله إن ابن عمك لصادق، وإن هذا لبدء نبوة، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر، فمريه أن لا يجعل في نفسه إلا خيرا (٢). ج - عن عروة بن الزبير: في طبقات ابن سعد بسنده عن عروة أن رسول الله (ص) قال: يا خديجة إني أرى ضوءا وأسمع صوتا، لقد خشيت أن أكون كاهنا، فقالت: إن الله لا يفعل بك ذلك يابن عبد الله، إنك تصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتصل الرحم (٣).

---

(١) طبقات ابن سعد ط. اوربا ج ١ / ١٢٩ - ١٣٠ وط. بيروت ١ / ١٩٤ - ١٩٥. (٢) طبقات ابن سعد ج ١ / ١٢٩ - ١٣٠ ط. اروبا. (٣) طبقات ابن سعد، ط. اروبا ١ / ١٢٩ - ١٣٠.

---

[٢٥٠]

د - عن عبد الله بن شداد: في تفسير الطبري وتاريخه: عن عبد الله بن شداد قال: اتى جبريل محمدا (ص) فقال: يا محمد اقرأ، فقال: ما أقرأ ؟ قال: فضمه، ثم قال: يا محمد، أقرأ، قال: ما أقرأ ؟ قال: فضمه، ثم قال: يا محمد، اقرأ، قال: وما أقرأ ؟ قال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق) حتى بلغ: (علم الانسان ما لم يعلم)، قال: فجاء إلى خديجة فقال: يا خديجة، ما أراني إلا قد عرض لي، قالت: كلا والله ما كان ربك يفعل ذلك بك، ما أتيت فاحشة قط، قال: فأتت خديجة ورقة بن نوفل فأخبرته الخبر، فقال: لئن كنت صادقة إن زوجك لنبي، وليلقين من أمته شدة، ولئن أدركته لأومنن به. قال: ثم أبطأ عليه جبريل، فقالت له خديجة: ما أرى ربك إلا قد قلاك، قال: فأنزل الله عزوجل: (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) (١). ٥ - عبيد بن عمير الليثي: نجد هذه الاخبار مجموعة في رواية قاص أهل مكة عبيد بن عمير الليثي كما رواه كل من ابن هشام والطبري بسند هما عن وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله (ص) من النبوة حين جاء

---

(١) تفسير الطبري، ط. بولاق ٣٠ / ١٦١ - ١٦٢: وتاريخ الطبري ط. مصر ٢ / ٣٠٠ وط. اروبا ؟ ١ / ١١٤٨ - ١١٤٩، وتفسير السيوطي ٦ / ٣٦٨ - ٣٦٩.

---

[٢٥١]

جبريل عليه السلام ؟ فقال عبيد - وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس -: كان رسول الله (ص) يجاور في حراء من كل سنة شهرا، وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية - والتحنث: التبرر - وقال أبو طالب: وراق ليرقى في حراء ونازل فكان رسول الله (ص) يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله (ص) جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعا، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله عزوجل فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها، وذلك في شهر رمضان، خرج رسول الله (ص) إلى حراء - كما كان يخرج لجواره - معه أهله ؟ حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله (ص): فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج، فيه كتاب، فقال: اقرأ، فقلت: ما أقرأ ؟ فغتني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ماذا أقرأ ؟ وما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود إلي بمثل ما صنع بي، قال: (اقرأ باسلم ربك الذي خلق) إلى قوله: (علم الانسان ما لم يعلم)، قال: فقرأته، قال: ثم انتهى، ثم انصرف عني وهببت من نومي، وكانما كتب في قلبي كتابا. قال: ولم يكن من خلق الله أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق أن أنظر إليهما، قال: قلت: إن الأبعد - يعني نفسه - لشاعر أو مجنون، لا تحدث بها عني قريش أبدا ! لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فلأستر يحن. قال: فخرجت أريد ذلك، حتى إذا كنت في وسط من الجبل، سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي إلى

[٢٥٢]
السماء ؟ فإذا جبرئيل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء، يقول: يا محمد، أنت رسول الله وانا جبرئيل. قال: فوقفت أنظر إليه، وشغلني ذلك عما أردت فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي ولا أرجع ورائي، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي، حتى بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني. ثم انصرف عني وانصرفت راجعا إلى أهلي، حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا (١) فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك، حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي. قال: قلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون، فقالت: أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم ! ماكان الله ليصنع ذلك بك مع ما أعلم منك من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وحسن خلقك، وصلة رحمك ! وما ذاك يابن عم ! لعلك رأيت شيئا ؟ قال: فقلت لها: نعم. ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد - وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والانجيل - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله (ص) أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قدوس، قدوس ! والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس (٢) الأكبر - يعني بالناموس جبرئيل عليه السلام، الذي كان يأتي موسى - وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله (ص)، فأخبرته بقول ورقة، فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم، فلما قضى رسول الله (ص)

(١) مضيفا: أي ملتصقا بها مائلا إليها، أضفت إلى الرجل، إذا ملت نحوه ولصقت به. (٢) أصل الناموس، هو صاحب سر الرجل في خيره وشره، فعبر عن الملك الذي جاء بالوحي بذلك.

[٢٥٣]
جواره وانصرف صنع كما كان يصنع، وبدأ بالكعبة فطاف بها. فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالبيت، فقال: يابن أخي، أخبرني بما رأيت أو سمعت، فاخبره رسول الله (ص) فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك اق موس الأكبر الذي جاء إلى موسى، ولتكذبنه ولتؤذينه، ولتخرجنه، ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرن الله نصرا يعلمه. ثم أدنى رأسه فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله (ص) إلى منزله. وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتا، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم. فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير، أنه حدث عن خديجة انها قالت لرسول الله (ص) فيما يثبته فيما أكرمه الله به من نبوته: يابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبرئيل عليه السلام كما كان يأتيه، فقال رسول الله (ص) لخديجة: يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءني، فقالت: نعم، فقم يابن عم، فاجلس على فخذي اليسرى، فقام رسول الله (ص) فجلس عليها، قالت: هل تراه ؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاقعد على فخذي اليمنى، فتحول رسول الله (ص) فجلس عليها، فقالت: هل تراه ؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول فجلس في حجرها، قالت: هل تراه ؟ قال: نعم، فتحسرت، فألقت نهارها ورسول الله (ص) جالس في حجرها، ثم قالت: هل تراه ؟ قال: لا، فقالت: يابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هو بشيطان (١). فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: وحدثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن، فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت

(١) سيرة ابن هشام ج ١ / ٢٥٣ - ٢٥٧. وتاريخ الطبري ج ١ / ١١٤٩ - ١١٥٣ ط. اروبا.

[٢٥٤]
الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أني قد سمعتها تقول: أدخلت رسول الله (ص) بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبرئيل، فقالت لرسول الله (ص): إن هذا لملك، وما هو بشيطان. تمحيص الروايات لعل تضافر هذه الروايات في كتب الصحاح والسنن والتفسير والسيرة والتاريخ بمدرسة الخلفاء وتعاضد بعضها بعضا الآخر يكون سببا لاطمئنان الباحثين إلى محتواها غير انها تنهار

لدى تمحيصها كالاتي بيانه: دراسة السند: أ - أم المؤمنين عائشة: ان أم المؤمنين عائشة ولدت سنة (١٤ أو ١٥ أو ١٦) بعد البعثة (١). ب - ابن عباس: إن ابن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات أو في السنة العاشرة بعد البعثة. وان عكرمة متهم بالكذب عند علماء الرجال، وكان يروي الاحاديث الموضوعة عن ابن عباس (٢). ج - عروة بن الزبير: عروة بن الزبير، ولد في زمن حكومة عمر بن الخطاب وكان يحسب من التابعين ومن الطبقة الثانية (٣).

---

(١) ترجمتها بميزان الاعتدال ج ٣ / ٩٤. (٢) ترجمة عكرمة في ميزان الاعتدال ٣ / ٩٣ - ٩٧. (٣) ترجمته بتقريب التهذيب ج ٣ / ١٩.

---

[٢٥٥]

د - عبد الله بن شداد الليثي: وعبد الله بن شداد الليثي لا يعد من الصحابة، وولد في زمن النبي (ص) ولصغر سنه لم يدرك صحبة النبي (ص) وقتل في سنة (٨١ ه) (١). ه - عبيد بن عمير الليثي قاص أهل مكة: ولد في آخر حياة النبي، وكان عبد الله بن شداد لا يعده من اصحاب النبي (٢) وعلى اي حال لم يدرك عصر الرسول (ص) بمكة ليخبر عنه. و - اسماعيل بن أبي حكيم المزني خم أحد بني فضيل وقال عنه ابن مندة لا أعرف له رؤية ولا صحبة (٣) ز - فاطمة بنت الحسين (ع): في ذيل رواية عبيد بن عمير اسندت الرواية مع تغيير في اللفظ إلى فاطمة بنت الحسين (ع) عن أم المؤمنين خديجة، ومتى رأت جدة ابيها لتروي عنها ما اسند إليها روايته ؟ * * * كان ذلكم شأن اسناد تلكم الروايات. وفي ما يأتي نقارن باذن الله تعالى بين محتوى تلك الروايات وآي من الذكر الحكيم وروايات موثقة تصرح بان الرسول (ص) كان عليما بأمر رسالته قبل ان ينزل الله الوحي إليه بواسطة جبرائيل (ع). وكذلك الاحبار والكهنة في عصره كانوا ينتظرون بعثته ويبشرون معاصريهم بقرب مبعثه.

---

(١) اسد الغابة ج ٧ / ١٨٩. (٢) تقريب التهذيب ج ١ / ٤٢٢. (٣) راجع ترجمته في اسد الغاله والاصابة.

---

[٢٥٦]

مقارنة محتوى الروايات أولا - آيات من الذكر الحكيم: قال الله سبحانه: أ - في سورة آل عمران: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاء كم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) [الاية: ٨١]. ب - في سورة الاعراف: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروة ونصروة واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون في) [الآية ١٥٧]. ج - في سورة الفتح: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثله